ديوان الوقف الشيعي
العتبة العسكرية المقدسة
مركز تراث سامراء

الإمام الحسن العسكري عليه السلام آية النبوة والإمامة

وقائع المؤتمر العالمي الدولي الثاني

الجزء الثاني

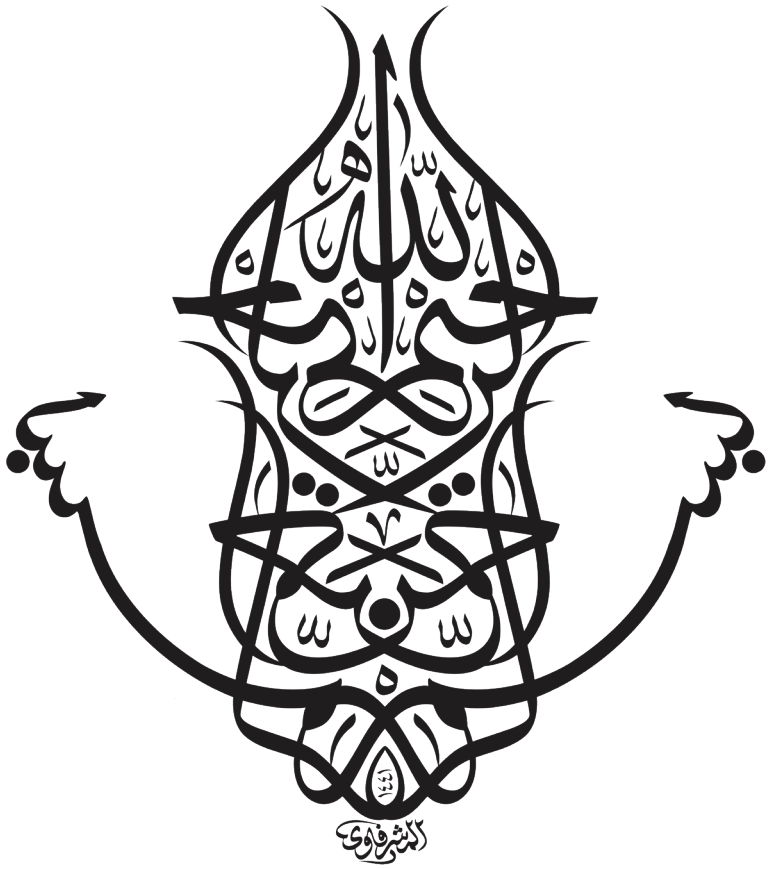
إشراف ومراجعة
مركز تراث سامراء

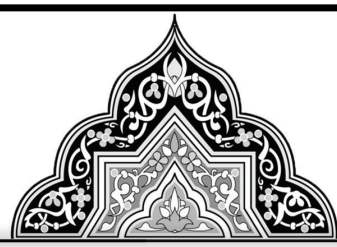
الكتاب: الإمام الحسن العسكري عليه السلام إرث النبوة والإمامة (وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثاني)/ ج٢.
المؤلف: مجموعة باحثين.
الناشر: مركز تراث سامراء.
المطبعة:
الطبعة: الأولى.
عدد النسخ: نسخة.
سنة الطباعة: ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٢م.
رقم الإصدار: ٦٢.
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٤٦٥٢) لسنة ٢٠٢٢م.
ISBN: 978-9922-21-401-6

جميع الحقوق محفوظة لمركز تراث سامرّاء.

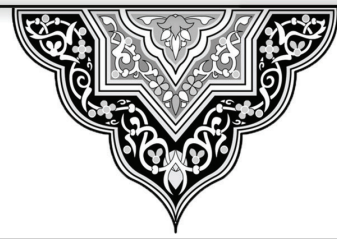
البحوث المنشورة في وقائع المؤتمر تعبر عن آراء الباحثين ولا تعبر عن رأي مركز تراث سامراء.

وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثاني الذي أقامه مركز تراث سامراء برعاية العتبة العسكرية المقدسة وبالتعاون مع جامعة بغداد / كلية العلوم الإسلامية و(٢٤) جامعة عراقية.


بسم الله الرحمن الرحيم
الشرفاوي



العقيدة



البحث الأول

التوحيد الأفعالي

عند الإمام علي الهادي عليه السلام

دراسة كلامية فقهيّة

م. د. إبراهيم صالح مهدي

كلية الإمام الكاظم عليه السلام للعلوم الإسلامية الجامعة

أقسام النجف الأشرف / قسم علوم القرآن والحديث الشريف.

المقدمة

تثميناً لمؤتمركم الموقر حول حياة الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام وما مر به من زمن عنيد ألقى بظلاله على حياته من أذى واضطهاد، فقد كان يعيش هو وأبوه الإمام علي الهادي عليه السلام في سُرّ من رأى الإقامة الجبرية، والعزلة التامة عن المجتمع الإسلامي، ولكن على الرغم من كل ما عملته السلطات العباسية ضد هذين الإمامين الهمامين إلّا أن ذلك لم يمنع من مواكبة كلٍّ من الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام للحياة الاجتماعية، فقد مارسا دورهما الريادي في الإجابة على أسئلة واستفسارات من يسأل حول جل المسائل العقائدية، والفقهية عن طريق وكلاء اعتمدوهم لهذه الغاية، ومن تلك المراسلات في موضوع التوحيد الأفعالي رسالة الإمام علي الهادي إلى أهل الأهواز والذين قدمت منهم رسالة إلى الإمام يستفسرون فيها عن الجبر، والتفويض ـ أي أفعال الإنسان، وهل أن الإنسان مجبر في أفعاله كما ذهب إلى ذلك المجبرة حيث زعموا أن لا إرادة للإنسان في تحقيق فعله الحسن أو القبيح إلّا كان فعله فعل الله، باعتبار أن لا مسبب في الوجود سواه سبحانه وتعالى، وهذه في الحقيقة مغالطة واضحة؛ إذ إن الله قال: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ**﴾، وقال تعالى: ﴿**فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾، فضلاً عن ذلك أن الله غني عن عباده ولا يرضى لعباده الكفر، ثم، تنزلوا بعد أن أحسوا بالمأزق الذي وقعوا فيه وحصر كل الأسباب بالله تعالى، تنزلوا إلى القول بالكسب، وعلى الطرف الآخر هنالك من يدعي أن الأمر قد فوّض للعباد وأنهم يختارون ما يشاؤون ـ أي خلاف قول الأشاعرة المتقدم،

والتفويض: هو الاعتقاد بأن جميع أفعال الإنسان واقعة بقدرة الإنسان نفسه وحدها، وسُمّي تفويضاً؛ لأن القائلين به لم يعتقدوا أنّ لقدرة الله مدخلاً، ولو غير مباشر في خلق أفعال الإنسان، فكأن الآمر فوض أمر وجوده للإنسان وحده وبقدرته وحدها، ويعزى هذا القول إلى المعتزلة، وحجة هؤلاء أنّه كيف أن النبي صلى الله عليه وآله يدعو الكفار إلى العدول عن الكفر إلى الإيمان بالله تعالى، وهو الخالق للكفر فيهم، والمانع عن الإيمان؟!

ومن يأمر بالمعروف كيف يأمر به والمعروف ليس من فعله ؟

وكيف ينكر المنكر وهو خلقه فيه؟!

ولماذا نجاهد الأعداء إذن والله خالقهم على هذه الشاكلة كذلك، وكيف يحسن من الله المسألة والمحاسبة، وجميع ما وقع من الأفعال، هو الذي خلقه في الإنسان كما يزعم الأشاعرة، والحال أنه تعالى يلوم العباد على الكفر كما في قوله تعالى: ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ**﴾، ويقول تعالى: ﴿**وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ**﴾[١]، وهو إشعار بلفظ الاستفهام، وهناك عشرات الآيات الدالة على أن الاختيار إنما يعود إلى الإنسان وبما أنّ المسألة تتعلّق بالعدل الإلهي من جهة، وبمسألة التحسين والتقبيح العقليين، فإن الآيات داعية إلى دعوة الناس إلى الإيمان بالله بمحض اختيارهم مع عدم رضا الله سبحانه في اختيار الكفر والضلال لهم قال تعالى: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ**﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿**أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ**﴾[٣]، وقوله: ﴿**اسْتَجِيبُوا لِلهِ وَلِلرَّسُولِ**﴾[٤].. وغير ذلك.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٥٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٣١.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

أما الاختيار فهو مذهب الإمامية وثمرة (الأمر بين الأمرين)، وأفادوا ذلك من كلمةالإمام الصادق عليه السلام: «لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين»[١].

وملخص القول: إنّ أفعال الإنسان الإرادية تصدر عنه باختياره من غير إجبار ولا إكراه، فإن شاء فعل وإنْ لم يرد لم يفعل .

وذلك ليصح التكليف ويحسن الحساب، وما يترتب عليه من ثواب وعقاب؛ ولأن الفعل الإرادي للإنسان تابع لقصده ونيته، فيستطيع فعله ويستطيع تركه بخلاف العمل غير الإرادي، وقد دلَّ على ذلك القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾[٣]، والقوم في الحقيقة، أي القائلون بالجبر والقائلون بالتفويض لم يفرقوا بين الإرادة التكوينية والإرادة التشريعية، كما في أفعال الإنسان غير الإرادية، كنشأته ونموه ومراحل تكوينه عائدة إلى الله، وأما أفعاله الإرادية على اختلاف أنماطها هي أيضاً خاضعة لإرادة الله التشريعية وأوامره ونواهيه الشرعية، وللفرق بين الإرادتين في التأثير وتحقق فعل الإنسان نقول: إنّ الإرادة التكوينية هي علة تامة لوقوع الفعل، فعند تعلّقها بالفعل مع شروط التأثير، والإيجاد لا يتخلف الفعل عن الوقوع والحدوث بحال من الأحوال، أما بالنسبة للإرادة التشريعية فهي ليست علة تامة لوقوع الفعل، وإنما هي جزء من أجزاء العلة لوقوع الفعل، وليست هي الجزء الأخير، وهذا هو معنى الأمر بين الأمرين، فالجزء الأخير الذي تتم به العلة فيصدر عن الفعل هو إرادة الإنسان، فإن أراد الفعل وجب وقوعه، وتمّت العلة ووقع، وإنْ لم يرد لم يقع، ويكفينا كثرة الأحاديث في ذلك عن أهل البيت عليهم السلام، ونوجز ذلك في قول الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الله عزّ وجلَّ خلق الخلق فعلم ما هم سائرون إليه،

(١) الصدوق، التوحيد، ص٣٦٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٧٩.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٢٣.

وأمرهم ونهاهم، فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه، ولا يكونون آخذين ولا تاركين إلا بأذن الله»[١].

وما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: أنّه سئل هل الله فوض الأمر إلى العباد؟

قال عليه السلام: «الله أعز من ذلك.

قلت: فجبرهم على المعاصي؟!

قال: الله أعدل وأحكم من ذلك.

ثم قال عليه السلام: قال الله عزَّ وجلَّ: يا ابن آدم أنا (أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بسيئاتك منّي، عملت المعاصي بقوتي التي جعلتها فيك).

وإني إذ أسهم في إبراز رسالة الإمام عليه السلام إسهاماً في بيان ما عليه أهل البيت عليهم السلام عموماً في تصحيح المعتقد من حيث إنّ عقيدة الجبر أو الكسب لا زالت متفشية إلى اليوم عند طوائف من المسلمين كالأشاعرة والسلفية والماتريدية، بل نظّروا لها واعتبروها جزءً من عقائدهم، وقد أشرت إلى أهم المصادر التي تناولت الموضوع.

علماً أنّ هذا التوحيد لله سبحانه وتعالى يتعلّق بتنزيه الخالق عن الظلم في عدله، وهنالك التوحيد الذاتي لله سبحانه وذلك بتنزيهه عن الجسمية، والجهة، والحلول في شيء والاتحاد بشيء، فهو كمال مطلق؛ إذ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوءاً أحد، وأن ذاته لا تدرك، وهنالك التوحيد الصفاتي، وهو أنّ تعتقد بأن الله سبحانه وتعالى هو عين الكمال، وأنّ صفاته تعالى هي عين ذاته، وغير مفتقر في شيء مثل الحياة، والقدرة وسائر صفاته الكمالية هي غير زائدة على ذاته سبحانه.

(١) الصدوق، التوحيد، ص ٣٥٩.

المبحث الأول: الاتجاهات الكلامية في أفعال الإنسان.

الاتجاه الأول: (القول بالجبر) وخلاصة القول فيه: إنّ كل فعل يفعله الإنسان هو من فعل الله، وهو قول الأشاعرة الذين يرون أنّ الإنسان مجبور في فعله، مسلوب الإرادة والاختيار فيه، واستدلوا على ذلك بأدلة أهمها، أن الله تعالى واسع في مشيئته مطلق فيها ولا يجري في الكون إلّا ما يشاؤه ويريده، كما يقول تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ**﴾ وأن أفعال العباد مخلوقة لله[1].

وبما أن المسألة متعلّقة بالتوحيد الأفعالي، ومعنى التوحيد الأفعالي هو أنْ لا ننسب أفعالنا التي فيها الحسن والقبيح إلى الله على نحو الجبر، وأنّ الإنسان لا إرادة له ولا اختيار مطلقاً، بشبهة أنّ أفعال الإنسان جميعها بما فيها من الحسن والقبيح هي أفعال الله وحده، وأنّ الإنسان ليس له إرادة، وهذا هو معنى الجبر المحض، ودعواهم في ذلك حصر كل سبب بالله وحده، وحيث إنّ الله تعالى حقيقة قد ربط الأسباب بمسبباتها التكوينية، فالشمس مثلاً سبب في نمو النباتات، إذ تمدها بالطاقة اللازمة لنموها مع عوامل وأسباب أخرى كالتربة، والماء، والهواء، فالماء سبب في إدامة الحياة للإنسان والحيوان، وهو سبب في إدامة النسل، وتنتهي كل العلل والأسباب التكوينية إليه، فهو تعالى مفيض الوجود وأسبابه، هذا ما يتعلّق بالإرادة التكوينية.

أما ما يتعلق بإرادته التشريعية من حيث الأوامر والنواهي، فإنّ الاختيار فيها بلا جبر عائد إلى الإنسان، والذين نسبوا أفعال العباد إلى الله لم يفرقوا بين الإرادتين التكوينية والتشريعية، فأفعال الإنسان تتعلّق بما يرادُ منه وهو التكليف المتعلّق بالإرادة التشريعة، فعدُّوا أنّ الكل منه وهو فاعله أي (الله جل وعلا)، وهذا يتناقض مع العقل والنقل معاً؛ لأن الله غني عن العالمين وغير محتاج إلى أحد أبداً حتى يكون فعل العبد فعله، وإذا صح هذا القول بطل الثواب والعقاب، وينسب هذا القول

(١) ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج١، ص٨٧.

إلى جُهم بن صفوان (ت ١٢٨هـ) ومن تبعه، وأطلق عليهم الجهمية[١] فيرى جهم الذي قُتل في آخر ملك بني أُمية، فكان يقول لا فعل ولا عمل لأحد غير الله، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز بلا فرق في هذا الخلق بين الذوات الخارجية، وأفعال العباد، فلا مؤثر في الوجود إلّا الله، وعلى هذا تكون أفعالنا مخلوقة لله تعالى وما نراه من بعض العلل، والمعاليل ما هي إلا عادة أجراها الله على ما نسميه معلولاً، والانكار هذا يعود في حقيقته إلى إنكار قانون العلية العام، والإنكار هذا هو خلاف الوجدان والواقع.

(إنّ الخالق والموجد لجميع الأشياء هو الله تبارك وتعالى، ومنها أفعال الإنسان، وإنما تنسب إلى الإنسان مجازاً)[٢]، بناءً على حصر كل الأسباب به وحده تعالى، وقد شاع هذا الفكر حتى قال به إمام الأشاعرة أبو الحسن الأشعري (ت ٣٣٠هـ) كما في كتابه الإبانة عن أصول الديانة، ثم تنبه أصحاب هذا الرأي من القول بالجبر المحض فتنزلوا إلى القول بالكسب، والكسب كما يقول صاحب التعريفات هو الفعل المؤدي إلى تحصيل نفع، أو دفع ضرر، وينسب القول في الكسب إلى الحسين بن محمد النجار (ت٢٢٠هـ) وهو كبير الفرقة النجارية من المعتزلة[٣] حيث يقول: (هو ـ أي الله ـ خالق أعمال العباد خيرها وشرها، حسنها قبيحها، والعبد مكتسب لها)[٤]، وأثبت تأثيراً للقدرة الحادثة في العبد، وسمي ذلك كسباً، وتبعه في ذلك الأشاعرة، والكسب معنى لا يخرج عن القول بالجبر أبداً، بل هو مثل التزويق له، واستناد القائلين

(١) الشهرستاني، الملل والنحل، ج١، ص٩٨.

(٢) انظر: مجلة الدليل، مجلة فصلية محكمة تُعنى بالدراسات العقدية تصدر عن مؤسسة الدليل التابعة للعتبة الحسينية المقدسة، العدد الخمسين ٢٠١٩م بحث د. صلاح سبتي.

(٣) المعتزلة هم من قال بالأصول الاعتقادية عندهم التوحيد والعدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمنزلة بين منزلتين بالنسبة لمرتكب الكبيرة والمعاد.

(٤) ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج٢، ص٢٠٠.

بالكسب مثل القاضي الباقلاني (ت٤٠٣هـ)[١]، وكذلك الغزالي (ت٥٠٥هـ) إذ ذكر أنّ الفعل يصدر من الله تعالى عند حصول القدرة في العبد، أو أنّ نظرية الكسب جاءت بوصفها بادرة تصحيحية للجبر المحض القائلين به، ومحاولة منهم للتخفيف من لوازمه الخطيرة المؤدية إلى أن أفعال الإنسان هي أفعال ربه، ولا دخل له فيها غاية ما هناك أنه مكتسب لها، وقد مرَّ أن المجبرة انما جنحوا للقول بالجبر، أو الكسب حرصا منهم في حصر الخالقية بالله وحده، أي لا سبب ولا مسبب إلّا هو، لكنهم في الحقيقة وقعوا في الجبر، فذهبوا إلى القول بالكسب، واستندوا في ذلك إلى الآيات الكريمة نحو قوله تعالى: ﴿**كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ**﴾[٢]، ونحو قوله تعالى: ﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ..**﴾[٣].

الاتجاه الثاني: نظرية التفويض.

وهذه النظرية ترى أنّ الإنسان وإن كان يستمد القوة من الله في تحقيق فعله وإيجاده؛ لأنه محتاج في أصل وجوده، وقدرته إلى الله، لكن استخدام القدرة في الفعل والترك عائدة للإنسان، فهو الذي يفعل ما يريد ويترك ما يريد بمحض إرادته وهي تنسب إلى المعتزلة قال القاضي عبد الجبار (ت٤١٥هـ) في كتابه (شرح الأصول الخمسة): (قد عُلِم عقلاً وسمعاً فساد ما تقوله المجبرة الذين ينسبون أفعال العباد إلى الله تعالى، وجملة القول في ذلك أنّ تصرفاتنا محتاجة إلينا ومتعلّقة بنا لحدوثها)[٤]، وقال أيضاً: (ذكر شيخنا أبو علي رحمه الله: اتفق أهل العدل على أن أفعال العباد من تصرفهم، وقيامهم، وقعودهم، حادثة من جهتهم، وأنّ الله عزّ وجلَّ هو القادر على

(١) ينظر: مجلة الدليل، ص١٧٩.

(٢) سورة الطور، الآية: ٣١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٤) القاضي، عبد الجبار (ت٤١٥هـ)، شرح الأصول الخمسة، ص ٣٣٢.

ذلك ولا فاعل لها ولا محدث سواهم)[١]، وأنّ الذي دفع المعتزلة إلى القول بالتفويض هو الحفاظ على العدل الإلهي، ولما كان العدل عندهم أصلاً عمدوا إلى تطبيق مسألة أفعال العباد عليه، فوقعوا في التفويض لاعتقادهم أنّ القول بكون أفعال العباد مخلوقة لله سبحانه ينافي عدله وحددوا بذلك خالقيته تعالى وسلطانه، والذي أوقعهم في هذا الخطأ أمران هما:

١ ـ خطؤهم في تفسير كيفية ارتباط الأفعال بالإنسان واليه تعالى، فزعموا أنهما عرضيان فأحدهما ينافي الآخر، ويستحيل الجمع بينهما، وبما أنّهم بصدد تحكيم العدل الإلهي لجأوا إلى القول بالتفويض، ونفي ارتباط الأفعال بالله تعالى قال القاضي عبد الجبار: (إنّ من قال: إن الله سبحانه خالقها (أفعال العباد) ومحدثها، فقد عظم خطؤه)[٢]، وأحالوا حدوث فعل من فاعلين.

ويلاحظ عليه: أنّه لا استقلالية للإنسان لا في وجوده ولا في ما يتعلّق به من الأفعال وشؤونه الوجودية، فهو كائن محتاج إلى إفاضة الوجود والقدرة إليه من الله تعالى مدى حياته، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾[٣].

٢ ـ عدم التفكيك بين الإرادة والقضاء التكوينيين والتشريعيين، فالتكويني منها يعم الحسنات والسيئات بلا تفاوت، ولكنّ التشريعي منهما لا يتعلّق إلّا بالحسنات، قال سبحانه: ﴿**قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ**﴾[٤]، و﴿**إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ**﴾[٥]، فالآيات

(١) المغني في أصول الدين، ج٦، ص٤١.

(٢) المصدر نفسه، ج٦، ص٤١.

(٣) سورة فاطر، الآية: ١٥.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٩.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٢٨.

النازلة في تنزيه الله سبحانه عن الظلم والقبائح راجعة إلى تنزيه ذاته سبحانه مطلقاً، وأما أفعال العباد القبيحة التي لا يرضاها ولا يأمر بها، بل يكرهها وينهى عنها، فهي عائدة لهم، والتفصيل بين حسنات أفعال العباد، وقبائحها إنّما يتم القول به إلى الإرادة والقضاء التشريعيين لا التكوينيين.

الاتجاه الثالث: وهو الأمر بين الأمرين.

وهذا الاتجاه يتبناه الإمامية، ويعود القول بأصل هذا الرأي أو الاتجاه إلى الأئمة من أهل البيت عليهم السلام بما فيهم الإمام علي الهادي الذي سنتناول بالشرح رسالته عليه السلام، وقد وردت روايات كثيرة بهذا الصدد منها ما ورد عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حينما سأله سائل عن الاستطاعة، فقال له عليه السلام: «سألت عن الاستطاعة تملكها من دون الله أو مع الله؟ فسكت السائل، فقال له الإمام علي: قل: قال: وما أقول؟ قال عليه السلام: تقول: إنك تملكها بالله الذي يملكها من دونك، فإن يُملكها إياك كان ذلك من عطائه، وإن يسلبكها كان ذلك من بلائه، وهو المالك لما ملكك والقادر على ما عليه أقدرك»[١].

إن مقولة الأمر بين الأمرين التي أطلقها أئمة أهل البيت عليهم السلام لتحديد الموقف من الفعل الإنساني في نسبته إلى الله سبحانه، أو إلى الإنسان، وفي التمييز بين الجبر والتفويض، لا تعني أنّ نصف الفعل للإنسان، ونصفه الآخر لله على نحو الشراكة بينهما، أو أن نصفه تفويض ونصفه جبر، فالتصور الأول شرك، والتصور الثاني لا يحل المشكلة، بل يزيدها إلتباساً وتعقيداً، فالجمع بين الجبر والتفويض ليس حلاً ولا حقاً؛ لأنه من غير المعقول الجمع بين المستحيلين، واجتماع فاعلين على مفعول واحد[٢].

---

(١) ينظر: المجلسي، بحار الأنوار، ج٥، ص٧٥.

(٢) ينظر: رسالتنا في الماجستير، التوحيد في الفكر الإمامي، كلية الفقه ـ جامعة الكوفة ـ .

وقد فسر الأمر بين أمرين على أن الإنسان غير مجبور من الناحية التكوينية على الفعل، بل هو واقع تحت إرادة الله واختياره، ولكن هذا الاختيار التكويني له حدود تشريعية جعلها الله تبارك وتعالى عن طريق الأحكام الشرعية، وهذه الأحكام هي أحكام توقيفية راجعة إلى الجعل والتشريع منه تعالى، أو ممن جعلت له الولاية التشريعية كالنبي صلى الله عليه وآله، فهذه الأحكام ليس أمرها بيد الناس، ولا هي مفوضة اليهم، بل هي كما شرعت بيد الله وتطبيقها على أرض الواقع بيد الناس إنْ أحسنوا فمن عند أنفسهم، وإنْ أساؤوا فعليها، والله غني عنهم.

فهو تعالى لا يريد الكفر من عباده، ولا يريد الفساد في الأرض، بل يريد الطاعات وفعل الخيرات، بل حتى في المباحات والمكروهات إنّما يعود الأمر لهم، إذ إن الإنسان منوط بشريعة، وعليه اتباعها تشريعاً لا تكويناً.

الاتجاه الرابع: نظرية الكسب في الأفعال عند الأشاعرة.

كان القول عند أبي الحسن الأشعري: إنّ أفعال العباد هي مخلوقة لله سبحانه لا غير فقد أوقع الشيخ نفسه في مسألة عويصة فـ (إذا كان الخالق هو الله سبحانه، فلا بد أن يكون هو المسؤول لا غير، وحينئذٍ يبطل الأمر والنهي، والوعد والوعيد، وكل ما جاءت به الشرائع السماوية، فقد لجأ الأشعري من ذلك المضيق إلى نظرية الكسب معتقداً بذلك حل المشكلة (فقالوا: إنّ الله سبحانه هو الخالق، والإنسان هو الكاسب فلو كان هناك مسؤولية متوجهة إلى الإنسان، فهي لأجل كسبه وقيامه بهذا العمل)[١]. وتبعه في ذلك القاضي أبو بكر الباقلاني[٢]، وملخص النظرية عنده أنّ واقعية الكسب إما واقعية خارجية موصوفة بالوجود، فحينئذٍ تكون مخلوقة لله

(١) ينظر: السبحاني، جعفر، بحوث في الملل والنحل، ج٢، ص١٢٦.

(٢) أبو بكر القاضي: من مشاهير أئمة الأشاعرة في بغداد وله تآليف منها إعجاز القرآن، والتمهيد وغيرها.

سبحانه ولا يكون للعبد نصيب في الفعل، أو لا تكون له تلك الواقعية، بل يكون أمراً وهمياً ذهنياً، فحينئذٍ لا يكون العبد مصدراً لشيء حتى يثاب عليه أو يعاقب، وكذلك في نظرية الإمام الغزالي في تفسير الكسب، ونظرية التفتازاني، ونظرية ابن الخطيب الذي يرى كأسلافه أنّ الكسب فعل الله يخلقه الله تعالى في العبد كما يخلق القدرة والإرادة والعلم، فيضاف الفعل إلى الله خلقاً؛ لأنه خالقه وإلى العبد كسباً؛ لأنه كذلك محلّه الذي قام به، والملاحظ على الكسب أنه نفس خلق الفعل في العبد لا يختلف، ومنه يرى أنْ لو كان الكسب أيضاً فعلاً مخلوقاً لله سبحانه تكون المحاولة المذكورة فاشلة؛ إذ يكون كلٌّ من الخلق والكسب فعل الله، فلاحظ، بل إن نظرية الكسب هذه أثرت في من اطلع على التراث العقائدي للمسلمين من الأجانب كاليرانس الفرنسي (ت ١٧١٥م) حيث نقل نظرية الأشعري حرفا بحرف[١].

ويذكر السبحاني آراء كثير من علماء أهل السنة في هذه المسألة ويسمي النظريات بأسماء أصحابها مثل ما مرَّ مثل الأشعري، والباقلاني، والغزالي، وابن الخطيب، والشعراني، ونظرية مفتي الديار المصرية، وقول الشيخ محمد عبده رحمه الله الذي يقول عنه: (وقد وقف الشيخ على خطورة الموقف وأنه مما يستحق أن يشتري بنفسه اللوم والندم، بل الأمر الأشد من ذلك في سبيل إظهاره الحقيقة، حتى يدفع الهجمات الشعواء عن وجه الإسلام والمسلمين بقوة ورصانة، وأنّ لفيفاً من المفكرين قد أدركوا مرارة القول بالجبر وأن الكسب لا يسمن، ولا يغني من جوع فرجعوا إلى القول بالأمر بين الأمرين وإن لم يصرحوا باسمه)، ومن أمثال أولئك من علماء أهل السنة فقد ذكر السبحاني آراء الشيخ الرزقاني، واستدل بأدلته، والشيخ شلتوت رحمه الله.

وهذه المسألة هي من أكثر المسائل العقائدية دقةً وتعرف بمسألة الهدى والضلال أو بمسألة الجبر والاختيار، ولمن أراد الاطلاع أكثر والوقوف على آرآء

(١) ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، مصدر سابق، ص١٤٠.

المتكلّمين فليراجع كتاب الملل والنحل[١]، فإنّه كتاب قد استعرض كل آراء علماء أهل السنة وناقشها ورد عليها، وخلاصة البحث الذي يحتاج إلى بسط القول فيه، والآراء يلزمنا في ذلك الرجوع إلى أحاديث أهل البيت عليهم السلام، فهي كافية ووافية في رد كل من نظريتي الجبر والتفويض، فمن تلك الروايات ما روي عن الإمام الحسن بن علي بن محمد عليه السلام «أنّ أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام، قال: إن الله خلق الخلق فعلم ما هم عليه صائرون فأمرهم ونهاهم، فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى الأخذ به، وما نهاهم عنه من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه، ولا يكونون آخذين ولا تاركين إلا بإذنه، وما جبر الله أحداً من خلقه على معصيته، بل اختبرهم بالبلوى كما قال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[٢].

وقوله: «ولا يكونون آخذين ولا تاركين إلا بإذنه» أي بتخليته وعلمه[٣]، وعليه فإن الإنسان مختار في فعله، والإرادة إرادته، والفرق في ذلك كالنزول من السطح إلى الأرض على الدرج وبين صدور الفعل كالسقوط منه، ولا يحصل ذلك إلّا مع القهر أو الغفلة، فإننا نقدر على الترك في الأول دون الثاني، ولو كانت أفعالنا غير واقعة باختيارنا لكانت كلها على وتيرة واحدة من غير فرق، ولكن الفرق حاصل، فتكون باختيارنا وهو المطلوب.

ونوضح هذا أكثر في حديث عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قال عند ذكر الجبر والتفويض: «ألا أعطيكم في هذا أصلاً لا تختلفون فيه ولا تخاصمون عليه أحداً إلا كسرتموه؟ قلنا: إن رأيت ذلك. فقال: إن الله عزَّ وجلَّ لم يُطع بإكراه، ولم يعص بغلبة، ولم يهمل العباد في ملكه، وهو المالك لما ملّكهم، والقادر على ما أقدرهم عليه، فإن ائتمروا بمعصيته، فشاء أنْ يحول بينهم وبين ذلك فعل، وإن لم يحل وفعلوه

(١) ينظر: السبحاني، جعفر، الملل والنحل، في مسألة خلق افعال العباد.

(٢) الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص ٣٨٧.

(٣) المصدر نفسه.

فليس هو الذي أدخلهم فيه، ثم قال عليه السلام: «من ضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه»[١].

ومثل ذلك ما ورد عن الإمام علي عليه السلام كما رواه عنه الأصبهاني، وابن عساكر: «أمر الله تعالى بالخير تخييراً ونهى عن الشر تحذيراً، ولم يعص مغلوباً ولم يطع مكرهاً، ولم يملك تفويضاً»[٢]، أي لم يملك عباده القدرة على الأفعال تفويضاً، فهو أمر بين أمرين، لا جبر ولا تفويض» ومن ما ذُكر بصدد عقيدة أهل السنة في مسألة أفعال الإنسان قال أحدهم في المذهب المختار: (ذلك أن السلف والمحققين من أهل السنة يثبتون لله تعالى مشيئة نافذة، وقضاء حاسماً في فعل العبد الذي يقع منه ،بحيث لو لم يرد الله ذلك الفعل، ولم يقدر وقوعه من العبد لما وقع، ومن ثَم يضيفون مقدور العبد إلى الله تعالى مشيئتة، وقضاءً وخلقاً، باعتبار خلق أسبابه، وإرادته، وتقديره ذلك الفعل من العبد)[٣].

وخلاصة القول هنا: (إنّ اختيار الإنسان، وحرية إرادته حقيقة مسلّمة وواضحة وفي مقدور كل أحد أنْ يدركها ويقف عليها في الفعل، والترك معاً، وإن المدح، أو الذم المقدم للأشخاص بسبب فعلهم علامة على أن المادح، أو القادح اعتبر أن الممدوح والمقدوح فيه مختار في فعله، وإلا لما كان المدح والقدح، علاوة على ذلك واننا إذا تجاهلنا اختيار الإنسان، وحرية إرادته كان التشريع لغواً، ولا يجدي نفعاً؛ لأن الإنسان كان مضطراً على سلوك من دون اختياره كما أننا شاهدنا على طول التاريخ البشري أنّ أشخاصاً قدموا على إصلاح الأفراد، أو المجتمع وبذلوا جهوداً في هذا السبيل فحصلوا على نتائج، وثمار وهذا دليل على مدى تأثيرهم بالآخرين.

(١) الصدوق، التوحيد، ص ٣٦١.

(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٢، ص٥١٢.

(٣) محمود سالم عبيدات، أستاذ مساعد في كلية الدعوة وأصول الدين جامعة البلقاء التطبيقية، للعقيدة الإسلامية، ص٦٥٧.

المبحث الثاني: الإنسان وحريته في الأفعال.

المطلب الأول: في شرح رسالة الإمام علي الهادي عليه السلام في الجبر والتفويض

استعرض هنا نصوصاً من كلمات الإمام عليه السلام بشيء من الشرح الذي يضفي على الرسالة شيئا من الإبانة والتوضيح، وإن كانت هي واضحة في غاية الدلالة والبيان، وكان الإمام قد قدم مقدمة حول الموضوع، قائلاً: «ومرادنا وقصدنا الكلام في الجبر والتفويض، وشرحهما، وبيانهما، وإنّما قدمنا ما قدمنا ليكون اتفاق الكتاب والخبر إذا اتفقا دليلاً لما أردناه، وقوة لما نحن مبينوه من ذلك إن شاء الله»(١)، يريد الإمام عليه السلام أنه لابد من تطابق كل من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة في معنى واحد غير مختلف، لأنهما غير مفترقين كما نص على ذلك الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين والذي ثبت صدوره عن رسول الله صلى الله عليه وآله في مواطن كثيرة لا في موطن واحد(٢)، ونص هذا الحديث المتواتر، وقد رواه أكثر من عشرين صحابياً: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله عزّ وجلَّ وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وأنّ اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروني كيف تخلفوني فيهما»(٣)، وهذا الحديث هو واحد من مئات الأحاديث المروية في الإمامة، ومن ثَمَّ فإن الأخذ عن أهل البيت في العقائد والتشريع إنّما هو لطفٌ وتسديد من الله سبحانه؛ لأنهم في الحقيقة الحفظة على الشرع بعد المصطفى صلى الله عليه وآله، واستمرار هذا اللطف في حفظ الشريعة، ويكون المؤمن على صلة تامة بولاة الأمر الحقيقيين الذين أوصى بهم سيد المرسلين، وأنهم خلفاؤه من بعده، علاوة على الأدلة العقلية التي

---

(١) الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص٢٥٣.

(٢) راجع ابن حجر، الصواعق المحرقة الباب (١) الفصل الأول.

(٣) مسند الإمام أحمد، ج٣، ص٢٦، وأخرجه عن طريق: أبي سعيد الخدري من طريقين، كنز العمال، ج١، ص٤٧، مستدرك الحاكم، ج٣، ص١٠٩ـ ج٣، ص٥٣٣، وقال عنه: حديث صحيح الاسناد.

لسنا بصدد الحديث عنها هنا، قال عليه السلام: « الجبر والتفويض، يقول الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام عندما سئل عن ذلك فقال: لا جبر ولا تفويض، بل أمر بين أمرين، قيل: فماذا يا ابن رسول الله؟ فقال: صحة العقل، وتخلية السرب، والمهلة في الوقت، والزاد قبل الراحلة، والسبب المهيج للفاعل على فعله، فهذه خمسة أشياء فإذا نقص العبد منها خلة كان العمل عنه مطرحاً بحسبه»، ثم قال الإمام: «وأنا أضرب لكل باب من هذه الأبواب الثلاثة وهي الجبر، والتفويض، والمنزلة بين المنزلتين، مثلاً يقرب المعنى للطالب، ويسهل له البحث من شرحه، ويشهد به القرآن بمحكم آياته، ويحقق تصديقه عند ذوي الألباب، وبالله العصمة والتوفيق»[1].

وشرحه كالآتي: يشير الإمام هنا إلى أمور خمسة يجب أن تتحقق في إتيان الفعل من الإنسان وتُحقق فعله في الخارج، فإذا انخرمت واحدة منها فلا ينسب الفعل له وهذه الخمسة هي:

١- **صحة العقل**: أي بمعنى أن يقع الفعل عن عقل ومعرفة، أي أن يكون الفاعل الذي يريد تحقيق الفعل عاقلاً مميزاً تمييزاً له عن المجنون، والساهي والناسي، والجاهل، وكذلك الفعل نفسه يجب أن يكون معقولاً .

٢ ـ **تخلية السرب**: وهي كلمة مجازية يراد بها إفساح الطريق المعبر عنه في كلام الإمام بالسرب وهو الطريق الذي يُسلك، أي كناية عن أن مالك الطريق قد أذِن للمارة بالاجتياز، وترك لهم حرية الاختيار، فعبَّر عنه الإمام عليه السلام بتخلية السرب ويا لها من حكمة تشط عن معنى الجبر بالكلية.

٣ ـ **المهلة في الوقت**: وهنا يريد الإمام عليه السلام أنْ يبين أنّ الفعل الذي يريد العبد إيقاعه لابد أن يكون له زمان يقتضي وقوعه فيه، وأنّ هذا الوقت الذي يوقع فيه العبد فعله تكون فيه مهلة، وهي كناية عن سعة الوقت لا ضيقه على المكلف، إذ نعلم أن

(١) الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص٢٥٣.

الأحكام الشرعية لها أحكام من حيث وقت وجوبها، وهذا الوقت يختلف باختلاف الواجب فقد يكون الوقت مساوياً للواجب كما في صيام يوم من شهر رمضان، فإن تمام الوجوب ينطبق على تمام الواجب من الفجر الصادق إلى الليل بلا زيادة ونقيصة، وأخرى يكون الواجب أقل من الوجوب المعبَّر عنه بالواجب الموسع كما في إتيان صلاة الظهرين بعد الزوال فإنّ وقتهما يمتد من الزوال إلى الغروب، وأنّ المستحب كذلك بل حتى المباحات والمكروهات، بل حتى ما هو محرم فيحتاج إلى زمان قطعاً.

٤ ـ والسبب المهيج للفاعل على فعله: أي الغاية والهدف التي يسعى المكلّف من أجلها لايجاد الفعل، وهو يختلف كلا بحسبه كأن يكون الفعل واجباً، أو مستحباً، أو محرماً، أو مكروهاً، أو مباحاً حسب التكاليف الشرعية الخمسة ثم قال الإمام عليه السلام فهذه خمسة أشياء فإذا نقص العبد منها خلة ـ أي واحدة ـ كان العمل مطرحا بحسبه.

ثم ذكر الإمام عليه السلام بعد هذه المقدمة في إيقاع الفعل من العبد قال (فإما الجبر فهو: قول من زعم ان الله عزّ وجلَّ جبر العباد على المعاصي وعاقبهم عليها)[١]، وذكر الإمام أنّ من قال بهذا القول فقد ظلم الله وكذبه، وردَ عليه قوله: ﴿**وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً**﴾[٢]، وقوله جل ذكره: ﴿**ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾[٣] فهذا صريح القرآن يكذب من يقول إنّ الأفعال الإنسانية مخلوقة لله، وحتى كلمة الخلق لا تتناسب ومعنى حصول الفعل لأن الخلق المتبادر منه إلى الذهن إيجاد الشي المادي، قال تعالى: ﴿**هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**﴾[٤] ثم يقول الإمام عليه السلام فمن زعم انه مجبور على المعاصي، فقد أحال بذنبه على الله وظلمه في عظمته له ومن ظلم ربه فقد كذب كتابة، ومن كذب كتابه

(١) الطبرسي، الاحتجاج، ص١٠١.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٥٠.

(٣) سورة الحج، الآية: ١٠.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٣.

لزمه (الكفر) قام بإجماع الأمة)[1].

هذا وقد أولى الإمامية في الرد على مقولة الجبر هذه في كتب المتقدمين[2] في أنّه تعالى مريداً للطاعات وكارهاً للمعاصي غير أنّه من المحقق بحثاً أنّ ما استندت إليه النظرية الجبرية في دعواها على العقل، والنقل، فكلاهما لا يصمدان أمام خطأ النظرية على الإطلاق، فقد استدل الأشعري (ت٣٣٠هـ) في كتابه (الإبانة عن أصول الديانة)، قوله: (لا خالق إلّا الله، وأن أعمال العباد مخلوقة لله مقدرة كما قال: ﴿**وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾[3]، وأنّ العباد لا يقدرون أنْ يخلقوا شيئاً وهم يخلقون كما قال سبحانه: ﴿**هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ**﴾[4]، وتبعه في ذلك الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) صياغة هذه النظرية، وضمنها العديد من كتبه كالتفسير وغيره، والرازي يؤكد صحة نسبتها في الاتجاه الأشعري ويقول في ذلك: (القول الأول أن المؤثر في حصول هذا الفعل هو قدرة الله تعالى، وليس لقدرة العبد في وجودها أثر، وهذا قول أبي الحسن الأشعري وأكثر اتباعه كالقاضي أبي بكر الباقلاني وابن فورك)[5]، ففي الجانب العقلي لاثبات مدعي القول في الجبر ملخصه فيما يأتي:

١ـ إنّ العبد غير مستقل بنفسه في الفعل، والترك.

٢ـ إن قدرة العبد غير مؤثرة في خروج شيء من العدم إلى الوجود.

٣ـ إنّ حصول الإيمان والكفر في قلوب العباد لا يمكن إلّا بتخليق الله

(١) الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص٢٥٣.

(٢) السيوري، المقداد (ت ٨٢٦)، إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين، ص٢٦٩.

(٣) سورة الصافات، الآية: ٩٦.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٣.

(٥) الرازي، محمد بن عمر، القضاء والقدر، ص٩.

سبحانه[١].

أما الأدلة السمعية التي ساقها القائلون بهذه النظرية العقدية الخطرة في حياة الإنسان المسلم، وتعتبر الإنسان مجرد آلةٍ لا حول له ولا قوة، ولا إرادة في تحقيق الفعل مطلقاً فقد استدلوا على ذلك كما مر سابقاً ومنها قوله: ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ**﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً**﴾[٣]، بل ذهبوا إلى ذلك صراحة من أن أبا لهب، الله خلقه كافرا، ومن ثَمَّ فهو ليس له أي إرادة، وهذه في الحقيقة إبطال لجهاد النبي أعداء الإسلام ودعوتهم إلى الحق والدخول في الإسلام، وفي ذلك إبطال لأسس الدعوة الإسلامية، كقوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾[٤].

ثم يضرب الإمام عليه السلام في شرح بطلان هذه النظرية مثالاً، إذ يقول: «فالمثل المضروب في ذلك مثل رجل ملكَ عبداً مملوكاً لا يملك إلا نفسه، ولا يملك عرضاً من عروض الدنيا ويعلم مولاه ذلك فيه، فأمره ـ على علم منه بالمصير ـ إلى السوق لحاجة يأتيه بها، ولم يملّكه الثمن ما يأتيه به، وعلم المالك أنّ على الحاجة رقيباً لا يطمع أحد في أخذها منه إلّا بما يرضى من الثمن، وقد وصف به مالك هذا العبد نفسه بالعدل والنصفة وإظهار الحكمة ونفي الجور، فأوعد عبده إنْ لم يأته بالحاجة يعاقبه، فلما صار العبد إلى السوق، وحاول أخذ الحاجة التي بعثه بها، وجد عليها مانعاً يمنعه منها إلّا بالثمن، ولا يملك العبد ثمنها، فانصرف إلى مولاه خائباً بغير قضاء الحاجة، فاغتاظ مولاه لذلك وعاقبه على ذلك، فقد كان ظالماً معتدياً مبطلاً لما وصف من عدله وحكمته ونصفته، وإن لم يعاقبه كذب نفسه، أليس يجب أن يعاقبه والكذب

(١) الفضلي، عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، ص١٥١.

(٢) سورة الإنسان، الآية ٣٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية ٢٥.

(٤) سورة النحل، الآية ١٢٥.

والظلم ينفيان العدل والحكمة، تعالى الله عما يقول المجبرة علواً كبيراً»[١].

وملخص هذا المثال الذي ضربه الإمام في مسألة الجبر هو أن المولى لما كلّف العبد بشراء الحاجة من السوق لم يعطه ثمنها، فكيف يتمكن العبد من جلبها من السوق، وهو لا يملك الثمن، ويقصد الإمام هنا بالثمن القدرة والاستطاعة على جلب الحاجة، والحال أن العبد لا يملك الثمن، فضلاً عن توعّد المولى له بالعقوبة إذا لم يأت بها، فإنه والحال هذه إذا عاقب العبد يكون المولى ظالماً معتدياً، وهو يصف نفسه بالعدل والحكمة.

ثم يصف الإمام عليه السلام قوله: «من زعم أنّ الله عزَّ وجلَّ جبر العباد على المعاصي وعاقبهم عليها، ومن قال بهذا القول فقد ظلم الله وكذّبه، وردعليه قوله: ﴿**وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً**﴾[٢]، وقوله جلَّ ذكره: ﴿**ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾[٣]. فمن زعم أنه مجبور على المعاصي، فقد أحالَ بذنبه على الله وظلمه في عقوبته له»[٤]. وهنا انتهى كلام الإمام.

ومن زعم أنّ الله يدفع عن أهل المعاصي العذاب فقد كذب الله في وعيده، ثم يسوق الإمام في ذلك آيات كثيرة دالة على أن الاختيار متروك للعبد في إيقاع الفعل الحسن أو السيء على حدٍّ سواء، قال تعالى: ﴿**بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ**

(١) الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص٢٥٣.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٥٠.

(٣) سورة الحج، الآية: ١٠.

(٤) الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص٢٥٣.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٨١.

﴿الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾[١]، وكثير من الآيات التي ذكرها الإمام عليه السلام من أن الفعل عائد لاختيار العبد نفسه، فهو مسؤول عنه سواء أكان حسناً أم قبيحاً[٢].

وعليه، فمعتقد الجبر باطل في الأساس يتناقض مع العقل والوجدان ويتناقض أيضاً مع القرآن والسنة المطهرة.

ثم قال عليه السلام: «إن الله خلق الخلق بقدرته وملّكهم استطاعة تعبّدهم بهه من الأمر والنهي، وقَبل منهم اتباع أمره ونهيه ورضي بذلك لهم، ونهاههم عن معصيته وذم من عصاه وعاقبه عليها، ولله الخيرة في الأمر والنهي يختار ما يريده ويأمر به ...)[٣].

المطلب الثاني: لا تنافي بين علم الله الازلي وحرية الإنسان.

(نحن مع اعتقادنا باختيار الإنسان وحرية إرادته، نعتقد أنّ الله هو عالم بأفعالنا ولا تنافي بين علمه وأفعال الإنسان؛ إذ إنّ علم الله سابق لا سائق، ولا منافاة بين العقيدتين، فإن على الذين لا يمكنهم الجمع بين هذين الاعتقادين أنْ يعلموا أنّ علم الله الأزلي هو متعلّق بصدور الفعل من العبد على نحو الاختيار ولا تنافي بين علمه تعالى واختيار الإنسان في كونه حراً مختاراً.

وبعبارة أخرى إنّ العلم الإلهي كما تعلّق بأصل صدور الفعل من الإنسان تعلّق كذلك بكيفية صدور الفعل من الإنسان أيضاً، وأنّ علمه تعالى لا يتنافى مع اختيار الإنسان مطلقاً، بل يثبت ذلك ويؤكده؛ لأنّ الفعل لو لم يصدر من اختيار الإنسان لم

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠.

(٢) الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين (من أعلام القرن الرابع) تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، ص٣٤١.

(٣) الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص٢٥٥.

يكن علم الله آنذاك كاشفاً عن الواقع؛ لأن كاشفية العلم إنّما تكون إذا تحققت على النحو الذي تعلق بالشيء، ومن الطبيعي أن العلم الإلهي تعلّق بصدور الفعل البشري على نحو الاختيار لا على نحو الجبر ولا التفويض ولا الإلجاء، أي بمعنى أنّ الإنسان يقوم من تلقاء نفسه بإيقاع الفعل بكامل إرادته، ومن هنا يتبين عدم تنافي إرادة الله الأزلية (التكوينية) مع اختيار الإنسان، وكونه حرّاً في إرادته)[1].

ومن أجل تجلية الحال بأمثلة مستقاة من الواقع، مثلاً أنّ جهاز التلفاز هو لا يعمل إلا باتصاله بالكهرباء؛ لأنها الطاقة التي تمده ليعمل، ولكن الاختيار يعود للإنسان في اختيار برامجه وقنواته الفضائية، وهذا المثال يبين حقيقة أن الجهاز كونه لا يعمل إلا بتوصيل الأسباب، وعلى هذا فمذهب الإمامية بنظرية (الأمر بين الأمرين) هي برزخ بين نظريتي الجبر والتفويض؛ إذ لا إفراط ولا تفريط، وقد غفل عنها علماء أهل السنة قديماً وحديثاً ومردُّ ذلك إلى أن العصور السالفة من الزمن لم تكن بالمستوى العقلي لفهم تلك النظرية، ولعدم رواج علم الكلام، والمنطق، والفلسفة في تلك الحقبة الزمنية[2]، فالأشاعرة وإنْ تضمنت نظريتهم إثبات السلطة المطلقة لله تعالى إلا أنها أجحفت بعدالته عَزّ وجَلّ، وقضت عليها من الأساس، وأما المعتزلة فعلى عكسها فهي وإن تضمنت إثبات عدالته تعالى غير أنّها نفت وبشكل قاطع سلطته المطلقة واسرفت في تحديدها .

وأما حقيقة نظرية (الأمر بين الأمرين) التي أشار إليها الإمام الهادي عليه السلام في رسالته كما أوضحناها في أحاديث أهل البيت، وضمناها فنقول أيضاً: إنّ أفعال العباد تتوقف على مقدمتين.

---

(١) ينظر: السبحاني، جعفر، العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ص ١١١. بتصرف

(٢) ينظر: حمود، محمد جميل، الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية، نقلاً عن بداية المعارف، ج١، ص١٧٠.

الأولى: تحقق الحياة للموجود الفاعل.

الثانية: تحقق القدرة المنبثقة من الموجود الحي.

ومعنى الأولى في إفاضة الحياة والوجود الكلي منه تعالى، وهذا يعود إلى ارتباط الممكن بواجب الوجود ارتباطاً ذاتياً وخضوعاً تاماً، فلو انقطعت الإفاضة من الله في وقتٍ ما لانقطعت الحياة حتماً وتعلق الإمكان الوجودي وهو حقيقة قيام المعلول بعلته تماماً كقيام المعنى الحرفي بالمعنى الإسمي، وفي مراحل ثلاث هي: التصور، والدلالة، والتحقق، مثال ذلك: كما لو قلت: سرت من البصرة إلى الكوفة، فعندنا معنى حرفي هو (في)، و(إلى) وعندنا معاني اسمية هي البصرة والكوفة فالمعنى الحرفي دائماً مرتبط بالمعنى الاسمي ابتداء وانتهاء (فمن وإلى) فاقدان للاستقلالية في مجال التصور، فهما دائماً مرتبطان بالمعاني الاسمية في الجملة في المراحل الثلاث المتقدمة، وهذا يمثل لنا ارتباط المعنى الحرفي بالمعنى الاسمي، وعلى هذا، فلا يمكن انكار صلة الموجودات الإمكانية به تعالى من غير فرق بين الإنسان وغيره، وبما أنّ فيض الوجود والقدرة تكون بإفاضته تعالى آناً فآناً بحيث لو انقطع الفيض لما تمكن العبد من إيجاد الفعل، فالفعل مستند إليه تعالى، وكل من الإسنادين حقيقي، فالفعل مستند إلى العبد من جهة وإلى الله تعالى من جهة أخرى، فكونه مستنداً إليه تعالى؛ لأنه واهب القدرة، وكونها مستندة إلى العبد باعتبار صدورها منه على نحو الاختيار بتوسط المدد والفيض الإلهي فلا يصدر أي فعل من العبد من دون تحقق المقدمتين، وهما تحقق الحياة للموجود الفاعل وتحقق القدرة المنبثقة من الموجود الحي كما أوضحت، ويمكن توضيح ذلك من خلال هذا المثال: لو أنّ مولىً من الموالي يختار عبداً من عبيده ويزوّجه إحدى بناته ثم يعطيه داراً وأثاثاً وغير ذلك مما يحتاج إليه في حياته إلى حين محدود وأجل مسمى، فإن قلنا: إنّ المولى وإنْ أعطى لعبده ما أعطى وملّكه ما ملك، فإنّ العبد لا يملك شيئاً فأين العبد والملك؟ كان ذلك قول المجبرة، وإنْ قلنا: إنّ للمولى بإعطائه المال لعبده وتمليكه له جعله ملكاً وانعزل عن المالكية كان الملك هو العبد كان ذلك قول المعتزلة،

ولو جمعنا بين الملكين بحفظ المرتبتين، وقلنا: إنّ المولى مقامه في المولوية، والعبد مقامه في الرقية، وإنّ العبد إنّما يملك في ملك المولى، فالمولى ملك في حين أنّ العبد مالك، فهنا ملك على ملك كان ذلك القول الحق الذي رآه أئمة أهل البيت عليهم السلام، وقام عليه البرهان[١] ويتضح ذلك من قول الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في قوله: «... هو المالك لما ملكهم والقادر على ما قدرهم عليه) إذاً فمشيئة العبد متفرعة من مشيئة الرب وسلطنة العبد فرع من سلطنة المولى، وقد أشار القرآن الكريم في كثير من آياته:

منها قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾[٢] فأثبت القرآن أن مشيئة العبد في طول مشيئة الله تعالى.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾[٣] فالآية واضحة الدلالة في أن العبد لا يكون فاعلاً لفعل ما إلّا أن يشاء الله تعالى مثل بقاء حياته، وقدرته، ونحوها مما يتوقف عليه الفعل خارجاً، ومن دون ذلك لا يعقل أنّ العبد فاعل لفعله، فالإنسان العارف بمقام ربه المسلّم له لا يرى نفسه سبباً مستقلاً لفعله مستغنياً عن الله سبحانه الذي أمده بالوجود، والحياة، والعقل والاختيار.

ومنها قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[٤]، فقد أسندت هذه الآية مسألتي الضلال، والهدى إليه سبحانه مع أنّهما من أفعال الإنسان، ولكن المراد هو غير هذا المعنى الظاهر، بل هناك شيء مقدر وهو أنّه سبحانه يضل من يشاء الضلالة والسيئة باختياره، وكذا يهدي إلى طاعته من يشاء الهداية، والخير، والقدرة

(١) ينظر: حمود، محمد جميل، الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية ج١، ص٣٤٦ـ ٣٤٧.

(٢) سورة الإنسان، الآية ٣٠.

(٣) سورة الكهف، الآية ٢٣-٢٤.

(٤) سورة النحل، الآية ٩٣.

منه تعالى، فالإسناد حقيقي أي إسناد الهدى والضلال إليه تعالى وإلى العبد من المجاز والعناية في البين[١].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾[٢]، أي إنّه سبحانه لم يتخلَّ عن عباده بعد خلقه لهم كما يدعي المفوضة، بل هو معهم محيط بهم لا يغيبون عنه تعالى أينما كانوا وفي أي زمان عاشوا، فنسبته تعالى إلى الأمكنة والأزمنة والأحوال سواء، ومثلها قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ إلى أمثال ذلك من الآيات الدالة على نظرية (الأمر بين الأمرين)، فهي في واقعها ليست بدعاً من خارج القرآن الكريم، بل إنّما جاءت منسجمة مع العقل والنقل.

المبحث الثالث: الأحكام الفقهية لمن قال بالجبر، أو التفويض.

١ ـ القول بالجبر: وبناءً على أن الله تعالى يريد الطاعات ويكره المعاصي، وأنّنا فاعلون لافعالنا باختيارنا[٣]، فلا يمكن على الإطلاق أنْ ننسب أفعالنا القبيحة فضلاً عن الحسن منها إلى الله، بل السيئات نحن نقترفها؛ لذا أوعد عليها الدخول في النار، أو المغفرة، والطاعات نفعلها بتوفيق منه ورحمة ويتبعها الأجر والثواب، وعليه فإن من اعتقد بالقول بالجبر، أو الكسب هو في الحقيقة واهم وينسب معاصيه إلى الله وبذلك اطلق الإمام عليه كلمة الكفر، إذ قال: «فمن زعم أنه مجبور على المعاصي فقد أحال بذنبه على الله، وظلمه في عقوبته له، ومن ظلم ربه فقد كذَّب كتابه، ومن كَذَّب كتابه لزمه الكفر بإجماع الأمة»[٤] ونحن نعقب على ذلك أنه حقيقة مثل ما يلزم على المسلم أنْ يوحد الله سبحانه وتعالى في ذاته، وأنّ ذاته لا تدرك وليس الله سبحانه حالٌ

(١) ينظر، حمود، محمد جميل، الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية ج١، ص٢٤٨.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٥.

(٣) ينظر: الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر (٦٤٨ـ ٧٢٦هـ)، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، قدم له وعلق عليه المحقق الشيخ جعفر السبحاني، ص٦٨.

(٤) ينظر: الاحتجاج مصدر سابق، ج٢، ص٢٥٣.

في مكان، أو في السماء، أو فوق السماء السابعة، أو متحد بشيء، فإن مثل هذه المزاعم اما تجسيم أو هي منافية للتوحيد الذاتي، وما يسميه المتكلمون بالتوحيد الذاتي[1]، وكذا القول في التوحيد الأفعالي هنا حيث يجب على المسلم أنْ لا ينسب افعاله التي يفعلها إلى الله، وفي ذلك يقول الإمام الهادي عليه السلام: (فمن زعم أنّه مجبور على المعاصي فقد أحال بذنبه على الله وظلمه في عظمته له)، فإن من اعتقد ذلك عن يقين فلا شك انه خاطئ الفكرة ومن ثَمَّ هو إما جاهل قاصر أو مقصر، وكل له حكمه الفقهي كما ذكر الفقهاء ذلك[2]، فإنّ الجاهل القاصر غير المقصر في عرف الفقهاء، وقد يطلقون عليه بالمستضعف كما أن الكفر على أنواع منه كفر الجحود وكفر النعمة وغيرهما.

فالقائلون بالجبر إن التزموا بتوالي عقيدتهم من إبطال التكاليف، والثواب والعقاب، بل وإسناد الظلم إلى الله تعالى؛ لأنه لازم إسناد الأفعال الصادرة عن المكلفين إليه سبحانه ونفي قدرتهم عنها نظير حركة يد المرتعش، فلا تأمل في كفرهم ونجاستهم؛ لأنه إبطال للنبوات والتكاليف، وأما إذا لم يلتزموا بها ـ كما لا يلتزمون ـ حيث اعترفوا بالتكاليف، والعقاب، والثواب بدعوى أنهما لكسب العبد، وإن كان فعله خارجاً عن تحت قدرته، واختياره، واستشهدوا عليه بجملة من الآيات كقوله عزّ من قائل: ﴿**وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا**﴾، وقوله: ﴿**لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾، وقوله: ﴿**كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ**﴾ إلى غير ذلك من الآيات، فلا يحكم بكفرهم، فإنّ مجرّد اعتقاد الجبر غير موجب له، ولا سيّما بملاحظة ما ورد من أنّ الإسلام هو الاعتراف بالشهادتين اللّتين عليهما أكثر الناس؛ لأنّ لازمه الحكم بطهارة المجبِّرة وإسلامهم؛ لاعترافهم بالشهادتين، علاوة على استبعاد نجاستهم وكفرهم على كثرتهم، إذ إنّ القائل بذلك القول هم الأشاعرة وهم أكثر من غيرهم

(١) ينظر: العاملي، حسن مكي، بداية المعرفة، منهجية حديثة في علم الكلام.

(٢) ينظر: الحكيم، محسن، مستمسك العروة الوثقى ـ السبزواري، عبد الأعلى، مهذب الاحكام في مسائل الحلال والحرام، ج١.

من العامّة . نعم، عقيدة الجبر من العقائد الباطلة في نفسها.

٢. **أما بالنسبة للتفويض**: فهو مما يظهر أنّ القائلين به من النجاريّة، أو في ما ينسب إلى المعتزلة فإنهم منقرضون ولا وجود لهم في العصر الحاضر، بل بقي فكرهم فقط، ونحن إذ نلفت إلى نظرية (الأمر بين الأمرين) التي ذهب إليها الإمامية تبعاً لأئمتهم عليهم السلام لتصحيح الاعتقاد؛ ولعدم الوقوع في الخطأ الفاحش من دون تروٍّ وعلم.

(وأمّا المفوِّضة فحالهم حال المجبِّرة؛ فإنهم إذا التزموا بما يلزم مذهبهم من إعطاء السلطان للعبد في قبال سلطانه تعالى، فلا مناص من الحكم بنجاستهم؛ لأنه شرك لا محالة، وأما إذا لم يلتزموا بلوازم اعتقادهم كما هو الواقع. إذ إنهم أرادوا بذلك الفرار عما يلزم المجبّرة من إسناد الظلم إلى الله سبحانه، لوضوح أنّ العقاب على ما لا يتمكّن منه العبد ظلم قبيح، وإن وقعوا في محذور آخر أشدّ من حيث لا يشعرون وهو إيجاد الشريك لله تعالى في سلطانه، فلا يستلزم اعتقادهم هذا شيئاً من النجاسة والكفر) . وأمّا ما ورد في بعض الروايات من أن القائل بالتفويض مشرك فظهر جوابه مما ذكرناه سابقاً من أن للشرك مراتب عديدة وهو غير مستتبع للكفر على إطلاقه كيف ولا إشكال في إسلام المرائي في عبادته مع أن الرياء شرك بالله سبحانه، فالشرك المستلزم للكفر إنما هو الإشراك في ذاته تعالى، أو في عبادته؛ لأنه المقدار المتيقن من قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ**﴾ على تقدير دلالته على نجاسة المشرك؛ لأن هؤلاء المشركين لم يكونوا إلّا عبدة الأصنام، والأوثان، فالذي يعبد غير الله تعالى، أو يشرك في ذاته هو المحكوم بكفره دون مطلق المشرك .

ثم إنّ القول بالجبر والقول بالتفويض لما كانا في طرفي النقيض، وكان يلزم على كل منهما محذور فقد نفاهما الأئمة الهداة (عليهم صلوات الله الملك المتعال)، وأثبتوا الأمر بين الأمرين قائلين: «بأنه لا جبر ولا تفويض بل منزلة بينهما» فإن في الفعل إسنادين: إسناد إلى الله سبحانه وهو إسناد الإفاضة والأقدار دون إسناد الفعل إلى فاعله وإسناد العمل إلى عامله، وقد ذكر شيخنا الأستاذ قدس سره أن في هذه الأخبار

الشريفة المثبتة للمنزلة بين المنزلتين لدلالة واضحة على ولايتهم (صلوات الله عليهم أجمعين)؛ إذ إن الالتفات إلى هذه الدقيقة التي يتحفظ فيها على كلتا الجهتين عدالة الله وسلطانه لا يكون إلّا عن منشأ إلهي)[1].

وهذه الأحكام الفقهية عادة ما يذكرها الفقهاء في الكتب الاستدلالية الفقهية وتعضيدها بالقرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام لبيان قول الفصل فيها، وعادة ما تبحث في كتاب الطهارة على اعتبار أن الإسلام هو المطهر الذاتي لمن يدين به على الصعيد العقائدي، فهو مطهر معنوي لنفس الإنسان المسلم، وما يحمله من عقيدة صحيحة، وتميزه عن الكافر بالله، أو المشرك به؛ لأن لكل منهما أحكاماً تخصهما من حيث الطهارة بعنوانها العام، وكذلك في العناوين الأخرى من حيث النكاح، والميراث؛ لأن الشرك بالله سبحانه كما قيل قد يدب إلى الإنسان كدبيب النمل في الصفا، وأنّ مسألة توحيد الله سبحانه بذاته، وصفاته، وأفعاله تتصدر المفاهيم الاعتقادية على الإطلاق، ولقد اتفق المسلمون جميعهم أنهم يوحدون الله من حيث الذات والفعل والعبادة بل حتى فيما يخص الأحكام في الحياة من حيث التحريم والتحليل وسائر الأحكام الأخرى، فالله سبحانه ـ عندهم جميعاً واحد في ذاته، وأنه لا مؤثر في الوجود الكوني سواه ولا معبود غيره، وأنّ كل ما في الكون من مجرات، وكواكب، ونجوم والأرض وما فيها من بحار وجبال هو خالقها، وأن كل ما ينسب إلى هذه الذوات والمخلوقات هي غير مستقلة التأثير بنفسها سواه سبحانه، وكل ما فيها من تأثير ينتهي إليه تعالى وان بعضها يرتبط ببعض على نحو السبب والتسبيب، وهي مخلوقة له إلّا بعض الشبهات التي تسربت إلى عقائدهم وهي ترتفع بالاحتكام إلى القرآن، والسنة، والعقل.

هذا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رَبِّ العالمين .

---

(١) التنقيح في شرح العروة الوثقى، تقريراً لأبحاث السيد أبو القاسم الخوئي (١٣١٧-١٤١٣ هـ)، ج٣، ص٧١.

الخاتمة

مما ينبغي إدراكه على كل مسلم موحد لله أنّ التوحيد الحقيقي لله سبحانه ينطوي على كثير من المعاني فهناك التوحيد الذاتي له سبحانه ويراد به أنّ الله سبحانه لا تدرك ذاته، وأنه ليس في جهة أو يحويه زمان أو يحده زمان، وأنّه وجود غير متناه. وأما التوحيد الصفاتي، فيراد به أنّ الله سبحانه هو الكمال المطلق، وأنّ ما يطلق عليه من صفات الكمال والجمال، هي عين ذاته، وغير زائدة على ذاته المقدسة، وأنّ الزيادة في الصفات معناها أنه تعالى مركب من ذات زائداً صفات فتصبح ذاته مركبة، وهذا القول باطل ويدعيه غير الإمامية، وأمّا التوحيد في الأفعال فهذا الذي استعرضناه هنا في هذا البحث، وفيه ثلاثة اتجاهات .

الاتجاه الأول: وهو القائل بالجبر، وهو مذهب (الأشاعرة)، وأنّ أفعال الإنسان حسنة أو قبيحة، هي أفعال الله تعالى (تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً)؛ لأنه جلّ وعزّ هو السبب في ذلك حسب زعمهم، وهذا منطق سقيم ورأي عقيم؛ لأنّه ينفي التكليف بالمرة إذ لا ثواب ولا عقاب، وأنّ الإنسان مجرد آلة لا حول له ولا قوة، وهذا يتناقض مع العقل والشرع والقانون والعرف؛ فإن كل إنسان حقيقة هو مسؤول عما يفعل أمام القضاء سواء أكان قضاء الله، أم القضاء الوضعي.

الاتجاه الثاني: وينسب إلى المعتزلة وهو الاتجاه القائل بالتفويض، بمعنى أنّ الله سبحانه فوض الأمر إلى الإنسان فهو مختار محض اختياره، ولإرادته وحده.

الاتجاه الثالث: وهو مذهب أهل البيت عليهم السلام القائل برفض كل من الجبر والتفويض، والذهاب إلى أنّ الأمر بين أمرين وسمّاه الإمام الهادي عليه السلام في رسالته في (الرد على أهل الجبر والتفويض)، وهي مذكورة في كتاب (تحف العقول) وفي كتاب (الاحتجاج للطبرسي)، وسمّاها بالعدل، و(المنزلة بين المنزلتين).

المصادر والمراجع:

١. ابن حجر، الصواعق المحرقة.

٢. أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد.

٣. الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين (من أعلام القرن الرابع) تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله.

٤. الحسيني، هاشم معروف، سيرة الأئمة الاثنا عشر، منشورات الإمام الرضا، بيروت.

٥. الحكيم، محسن، مستمسك العروة الوثقى.

٦. حمود، محمد جميل، الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية.

٧. الرازي، محمد بن عمر، القضاء والقدر، ط١، دار الكتاب العربي.

٨. سبتي، صلاح، مجلة الدليل، مجلة فصلية محكمة تُعنى بالدراسات العقدية تصدر عن مؤسسة الدليل التابعة للعتبة الحسينية المقدسة، العدد الخمسين، ٢٠١٩م.

٩. السبحاني، جعفر، بحوث في الملل والنحل ـ دراسة موضوعية مقارنة للمذاهب الإسلامية، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم، ١٤٢٧هـ.

١٠. الشهرستاني، أبو الفتح، الملل والنحل.

١١. صالح، إبراهيم، رسالتنا في الماجستير، التوحيد في الفكر الإمامي دراسة كلامية مقارنة، كلية الفقة ـ جامعة الكوفة ـ.

١٢. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي، التوحيد.

١٣. الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب، الاحتجاج، تعليق محمد باقر الموسوي الخراساني.

١٤. عبيدات، محمود سالم، أستاذ مساعد في كلية الدعوة وأصول الدين جامعة البلقاء التطبيقية، للعقيدة الإسلامية، العقيدة الإسلامية، دار الفرقان، الأردن، ١٩٩٨م.

١٥. الفضلي، الشيخ عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، دار التعارف للمطبوعات ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٦. القاضي، عبد الجبار (ت٤١٥هـ) شرح الأصول الخمسة.
١٧. الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ) أصول الكافي، دار الكتب الإسلامية.
١٨. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار ط٣، دار إحياء التراث العربي/ بيروت، ١٩٨٣م، ٥/ ٧٥.
١٩. المقداد السيوري، جمال الدين أبو عبد الله المقداد (ت ٨٢٦)، إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين، تحقيق مهدي رجائي.

البحث الثاني

دلائل التوحيد عند

الإمام الحسن العسكري عليه السلام

البسملة أنموذجاً

د. مسلم شاكر جبر

كلية الإمام الكاظم عليه السلام

أقسام الديوانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيّه الكريم، وآله الطيبين وصحبه الأخيار الأبرار.

أما بعد...

يختص هذا البحث ببيان دلائل التوحيد عند الإمام الحسن العسكري عليه السلام من خلال النظر في البسملة، وما تحتويه من أسماء الله الحسنى، فقد اختلفَ المفسرون في عدّ البسملة من القرآن الكريم أم لا إذ تفرقوا في هذا الأمر إلى مذاهب شتّى.

وعند النظر في تفسير الإمام نجده يعدها من فاتحة الكتاب، وله في ذلك غايات سنتلمسها خلال البحث.

وقد استقام البحث، وتطلّب ذلك تقسيمه إلى مبحثين تناول:

أوّلهما: أسماء البسملة بين توحيد الذات والصفات.

وتعرض: ثانيهما إلى: مقاربات بين البسملة والسبع المثاني.

وتطلّب هذا البحث أن أرجع إلى مؤلّفات المفسرين، والدارسين في التوحيد فضلاً عن كُتب اللغة التي تعينني في الوصول إلى غايات البحث.

وأسأل الله تعالى التجاوز عن السهو الخطأ، والتوفيق في تقديم شيء نافع.

المقدمة:

الحمدُ لله الذي علّمَ الإنسان ما لم يعلم، فنزل الكتاب المعجز بنظم آياته، وتناسب سوره وفواصله، والصَّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد نبي الهدى والرحمة، وعلى آله الطيبين، وصحبه الغُر الميامين.

وبَعْدُ...

على الرغم من الظروف السياسية الحاكمة استطاع الإمام الحسن العسكري عليه السلام أن يقدم للأمة عطاءً واسعاً، ويمثل دوراً فاعلاً في إيصال سنن جَدّه المصطفى صلى الله عليه وآله، وإنقاذ الأمة من حالة التعثر في مهاوي الضلال والتيه عن طريق مقاومة التيارات الفكرية المنحرفة عن الجادة، ولسنا ندعي هنا أننا قد أحطنا بكلّ الجوانب للإمام الهمام المعطاء، ولكنّ جهداً بسيطاً متواضعاً نرجو أن يفي بعض الحق في أعناقنا، فكان أثره عليه السلام في باب العقائد الذي أبدى حُباً واهتماماً بكتاب الله تعالى فكان من أئمة التفسير عند المفسرين، وقد احتوى تفسيره المنسوب له عليه السلام تفسير سورتي الفاتحة، والبقرة مع استطرادات كثيرة، ففي باب التوحيد لم يدع عليه السلام مناسبة من دون أن يوجه أصحابه إلى التوحيد الخالص، والتحذير من رواسب الشرك مهما صغرت، وقد جاء في التفسير المنسوب له لقوله تعالى: ﴿**وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ**﴾[1]، أي: إله واحد لا شريك له، ولا نظير، ولا عديل، هو الرزاق البارئ المصور هو الرحمن يرزق المؤمن، والكافر، والرحيم بعباده.

لذا اختص هذا البحث ببيان دلائل التوحيد عند الإمام الحسن العسكري عليه السلام من خلال النظر في البسملة، وما تحتويه من أسماء الله الحسنى، وقد كان عنوان هذا البحث: «دلائل التوحيد عند الإمام الحسن العسكري عليه السلام، البسملة أنموذجاً» وتطلّب ذلك تقسيمه على مبحثين:

---

(١) سور البقرة، الآية ١٦٣.

المبحث الأول: أسماء البسملة بين توحيد الذات والصفات.

المبحث الثاني: مقاربات بين البسملة والسبع المثاني.

المبحث الأول: أسماء البسملة بين توحيد الذات والصفات.

في باب التوحيد لم يَدَعِ الإمام الحسن العسكري عليه السلام مناسبة دون أن يوجه أصحابه إلى التوحيد الخالص، والتحذير من رواسب الشرك مهما حضرت، وكان الجدل محتدماً في صفات الله جل جلاله منذُ عهد الإمام الباقر حتى عهد العسكري عليهما السلام وهي مسألة الرؤية، والتجسيم، وكانوا عليهم السلام يتكلّمون لغة القرآن، وبمفرداتهِ في العقيدة؛ ليقربوا للناس ويوجهوهم إلى الأخذ بالعناوين الكبرى في العقيدة من القرآن الكريم لا من غيره[١]، ومثال ذلك ما ورد عن سهل بن زياد قال: «كَتبت إلى أبي محمد عليه السلام سنة خمس وخمسين ومأتين: قد اختلف يا سيدي أصحابنا في التوحيد، منهم من يقول: هو جسم، ومنهم من يقول: هو صورة فإن رأيت يا سيدي أن تعلمني من ذلك ما أقف عليه، ولا أجوزه فعلت متطولاً على عبدك، فوقع بخطه عليه السلام: سألت عن التوحيد وهذا عنكم معزول، الله واحد أحد لم يلد، ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، خالق وليس بمخلوق، يخلق تبارك وتعالى ما يشاء من الأجسام وغير ذلك، وليس بجسم، ويصور ما يشاء وليس بصورة جلَّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه أن يكون له شبه، هو لا غيره، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير»[٢].

فإنّ البسملة التي هي اسم الكلمة (بسم الله)، وقد صيغ هذا الاسم على مادة مؤلفة من حروف الكلمتين (باسم) و(الله) على طريقة تسمى النحت، ينطق به الناس اختصاراً عن ذكر الجملة كلها لقصد التخفيف لكثرة دوران ذلك على الألسنة. وقد استعمل ذلك العرب النحت في النسب إلى الجملة، أو المركب إذا كان في النسب إلى صدر ذلك، أو إلى عجز الناس، وقالوا في النسبة إلى عبد شمس: (عبشمي)؛ خشية الالتباس بالنسب إلى عبد، أو إلى شمس، وكذلك إلى عبد الدار (عبدري)،

(١) ينظر، الكعبي، الإمام العسكري سيرة وتاريخ، ج٩، ص١٤١-١٤٢.

(٢) الكليني، الكافي، ج١، ص١٠٣.

وإلى حضرموت (حضرمي) وغيرها [١]، قال عمر بن أبي ربيعة:

لقد بسملت ليلى غداة لقيتها ألا حبذا ذلك الحبيب المبسمل

ومثل بسمل: حوقل إذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، وهَيْلَلَ إذا قال: لا إله إلا الله، وسبحل إذا قال: سبحان الله، وحَمْدَلَ إذا قال: الحمد لله، وهذا مشهور عند العرب أي: أنهم يأخذون اسمين فينحتون منها اسماً واحداً فينسبون إليه قولهم، وقد كانت قريش قبل البعثة تكتب في أول كتابها: «بسمك اللهمّ»، وكان أميّة بن أبي الصّلت أول من كتب: باسمك اللهم، إلى أن جاء الإسلام، ونزلت بسم الله الرحمن الرحيم[٢].

وينحصر كلامنا عليها في ثلاثة مطالب: بين توحيد الذات، والصفات الآتية:

المطلب الأول: لفظ الجلالة (الله):

(الله) عَلَمٌ لا يطلق إلا على المعبود بحقّ خاص لا يشاركه فيه غيره، وهو مرتجل غير مشتق عند الأكثرين، وإليه ذهب سيبويه في أحد القولين، فلا يجوز حذف الألف واللام منه، وقيل: هو مشتق، ولهم في اشتقاقه قولان:

القول الأول: إنّ أصله إلاه على وزن فِعال من قولهم: أَلِهَ الرّجل يأله إلاهة، أي: عبد عبادة، ثم حذفت الهمزة تخفيفاً؛ لكثرة وروده واستعماله، ثم أدخلت الألف واللام للتعظيم ودفع الشيّوع الذي ذهبوا إليه من تسمية أصنامهم، وما يعبدون آله من دون الله.

القول الثاني: إنّ أصله لاهٍ، ثم أدخلت الالف واللام عليه، واشتقاقه من لاه يليه إذا تستر كأنّه ـ وقدرته سبحانه جل جلاله ـ يُسمىَّ بذلك لاستتاره، واحتجابه

(١) ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١، ص١٣٧.

(٢) ينظر، الدرويش، محيي الدين، إعراب القرآن وبيانه، مجلد١، ج١، ص٢٦.

عن إدراك الأبصار.

وما أجمل قول الشريف الرَّضي: تاهت العقلاء في ذاته تعالى وصفاته، لاحتجابها بأنوار العظمة، وتحيروا أيضاً في لفظ الجلالة، كأنه انعكس إليه من تلك الأنوار أشعة بهرت أعين المستبصرين، فاختلفوا: أسريانيّ هو أم عربي؟ اسم أم صفة؟ مشتق وممّ اشتقاقه؟ أم غير مشتق؟ علم أم غير علم؟[١].

ولو لاحظنا الأخبار الدالة على اشتقاقه، وهي كثيرة:

فمنها: ما جاء في الكافي عن هشام بن الحكم، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أسماء الله واشتقاقه، فقلت: الله ممّا هو مشتق؟، فقال: «يا هشام، الله مشتق من إله، وإله يقتضي مألوهاً، والاسم غير المسمّى، فمن عَبَدَ الاسم دون المعنى فقد كفر»[٢].

وعن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: معنى الله: المعبود الذي يأله فيه الخلقُ عن درك ما هيّته، والإحاطة بكيفيته، ويقول العرب: أَلِهَ الرجل إذا تحيّر في الشيء فلم يُحِط به عَلْماً، ووله إذا فَزِعَ إلى شيء ممّا يَذرُه ويخافه، فالإله هو المستور عن حواس الخلق»[٣].

وقد جاء في تفسير الإمام عن أمير المؤمنين عليهما السلام: «الله هو الذي يتأله إليه كلّ مخلوق عند الحوائج والشدائد، إذا انقطع الرجاء من كل وجه من دونه، وتقطع الأسباب مِن كل مَنْ سواه، تقول: بسم الله، أي: استعين على أموري كلها بالله الذي

(١) ينظر، الفراهيدي، العين، ج٤، ص٩١، وينظر، الرازي، التفسير الكبير، ج١، ص١٦٢، وينظر، إعراب القرآن وبيانه، ج١، ص٢٣.

(٢) الكليني، الكافي، ج١، ص٨٧، باب المعبود، ج٣، ١١٤، باب معاني الأسماء واشتقاقاتها، ج١، الصدوق، التوحيد، ص٢٢٠، باب أسماء الله تعالى، ج١، ص١٣.

(٣) ينظر، الصدوق، التوحيد، ص٨٩، باب تفسير قل هو الله أحد.

لا تحقّ العبادة إلا له، المغيث إذا استغيث به والمجيب إذا دُعي»[1].

وقد ظهر لنا ـ والله اعلم ـ مِن قول الإمام عليه السلام أن لفظة (الله) مشتقة لا جامدة، وكذا يظهر أنّ مبدأ اشتقاقها أَلِهَ بمعنى فُزِعَ إليه عند الحوائج والشدائد؛ ولذلك تظهر أنّ الباء في البسملة هنا للاستعانة، وكذلك ـ والله اعلم ـ قوله: «المغيث إذا استغيث والمجيب إذا دعي» لعلّه أن يكون بمنزلة التعليل لقوله: «الذي لا تحقّ العبادة الا له».

وكذلك جاء في تفسير الإمام عليه السلام أيضاً عن أمير المؤمنين عليهما السلام سأله رجل عن (بسم الله الرحمن الرحيم) ما معناها؟ فقال: «إنّ قولك: (الله) أعظم الأسماء من أسماء الله تعالى، وهو الاسم الذي لا ينبغي أن يسمى به غير الله تعالى، ولم يَتَسمَّ به مخلوق، فقال الرجل: فما تفسير قوله (الله)؟، فقال عليه السلام: هو الذي يَتَأَلّه إليه عند الحوائج والشدائد كل مخلوق»[2].

وقد استدلّ القائلون بأن اللفظة الشريفة هي الاسم الأعظم، واستدلوا له كذلك بوجوه أُخر: منها: أنّ جميع أسماء الله تعالى تنسب إليها، ولا تنسب إلى شيء منها كما نسب جل جلاله في قوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ**﴾[3]، ومنها: أنه لا يجوز تسمية غير الله تعالى به، لا تسميةً ولا توصيفاً، ومنها: أنه مقدم على الأسماء الكريمة جميعاً في الذكر، ومنها: أنه دال على الذات المستجمع لجميع صفات الكمال بحيث لا يخرج عن تحت حيطته شيء من الصفات، ومنها: تكثّره في القرآن أكثر من سائر الأسماء الكريمة، ومنها: إناطة التوحيد والإسلام به، ومنها: انتساب أشرف الأنام به، وقد أطالوا الكلام في هذا المرام، ولا نريد أنْ نكرره.

(١) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، ص٢١ ـ ٢٢، ح٥؛ معاني الأخبار، ص٤، باب معنى الله عزَّ وجلَّ، ح٢، التوحيد، ص٢٣، باب معنى بسم الله، ح٥.

(٢) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام ح٩، ص٩٧، وينظر، التوحيد، باب معنى بسم الله الرحمن الرحيم، ح٥، ص٢٣١.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٨٠.

ولذا تُعَدُّ معرفة الله تعالى والإقرار بوجوده من الأمور الفردية الفطرية التي غرسها الله تعالى في فطرة الناس، وشهد بها عقولهم، بل فطر القلوب عليه؛ ولذا فقد أشار أهل البيت عليهم السلام ومن خلال بعض الأحاديث التي نقلناها قبل قليل نستشف منها تحقيق كمال وحدانيته أصل الدين، وقوامه، ولُبّه وصحيحه، وهذا الأمر لا يحتاج إلى سرد الأدلة، وحشد البراهين، وإنّما الأدلة يصار إليها ليزداد المؤمن إيماناً ويقيناً، ومعرفة بالله وتعظيماً له، وجِمَاع القول هنا: إن الإقرار بوجود الله، والاعتراف به مستقر في القلوب جميعاً، إن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء وكانوا مع هذا مشركين، قال تعالى: ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ**﴾[١]، ولذلك وجه القرآن الكريم لهم ثلاثة أسئلة جاءت في سورة المؤمنون تسألهم من خلق السموات والأرض؟ فيقولون: الله، وهم مع هذا يعبدون غيره، فقال تعالى: ﴿**قُل لِّمَنِ الأَرضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُم تَعلَمُونَ * سَيَقُولُونَ للهِ قُل أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾[٢]، وهذا السؤال الأول تذكير، وقال تعالى: ﴿**قُل مَن رَّبُّ السَّمَٰوٰتِ السَّبعِ وَرَبُّ العَرشِ العَظِيمِ * سَيَقُولُونَ للهِ قُل أَفَلَا تَتَّقُونَ**﴾[٣]، وهذا السؤال الثاني وهو أكثر تأكيداً لهم بالعبادة والتقوى، وقوله تعالى: ﴿**قُل مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيهِ إِن كُنتُم تَعلَمُونَ * سَيَقُولُونَ للهِ قُل فَأَنَّىٰ تُسحَرُونَ**﴾[٤]، وهذا السؤال الثالث توبيخ وتقريع لهم فليس كل من أقر بأنّ الله تعالى رَب كل شيء وخالقه يكون عابداً له دون سواه داعياً له دون سواه راجياً له خائفاً منه دون أحدٍ غيره يوالي فيه ويعادي فيه، هذا ما جاء في تفسير الإمام الحسن العسكري عن جدّه أمير المؤمنين عليهما السلام في الحديث الذي ذكرناه في الصفات التي سبقت، وأوضح قرار بوجود الله وربوبيته لم يكن ينازع

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٦.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٨٤-٨٥.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٨٦-٨٧.

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ٨٨-٨٩.

فيه المشركون الذين دعتهم رسلهم إلى عبادة الله وحده، إذ قال تعالى: ﴿**قَالَت رُسُلُهُم أَفِي اللهِ شَكٌّ**﴾[١]، فالرّبُّ معروف بالفطرة.

ومن ذلك قول محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى: ﴿**وَإِذ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِم ذُرِّيَّتَهُم**﴾[٢]، «أقرت الأرواح قبل أن تخلق أجسادها»[٣]، وكذلك قول مجاهد بن جبر في قوله تعالى: ﴿**صِبغَةَ اللهِ**﴾[٤]: «فطرة الله التي فطر الناس عليها»[٥]؛ ولذا كان المشركون في زمن النبي صلى الله عليه وآله مقرين بالله رباً خالقاً، رازقاً، مدبراً ولكن كان شركهم هي من جهة (العبادة)، إذ اتخذوا الأنداد والشركاء، يدعونهم ويستغيثون بهم، وقد دل القرآن الكريم في مواطن عديدة.

وبذلك يتبين أن الإقرار بتوحيد الربوبية وحده من دون الإثبات بلازمة الإلوهية لا يكفي، ولا ينجي من عذاب الله، بل هو حجة بالغة على الإنسان تقتضي إخلاص الدين لله وحده لا شريك له، وهذا يستلزم إفراد (الله) وحده بالعبادة، هذا هو التعليل لقول الإمام علي عليه السلام في قوله: «الذي لا تحق العبادة إلا له»[٦].

المطلب الثاني: ﴿**الرَّحمَٰنِ الرَّحِيمِ**﴾.

لَمَّا اختص تعالى الاستعانة باسمه المبارك فعقّبه بالاسمين المباركين، فقال: ﴿الرَّحمنِ الرَّحِيمِ﴾ فكأنّه علل استحقاقه الاستعانة باسمه المبارك، واختص

(١) سورة إبراهيم، الآية ١٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٧٢.

(٣) تفسير الطبري، ج٦، ص١١٦.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٣٨.

(٥) تفسير الطبري، ج١، ص٦٢٣.

(٦) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام ص٢١-٢٢، ح٥؛ الصدوق، معاني الأخبار، باب معنى الله عزَّ وجلَّ، ح٢، ص٤، التوحيد، ص٢٣، باب معنى بسم الله، ح٥.

استحقاقه بها، وإن كان ذكر (الله) أيضاً بمنزلة التعليل لذلك، فكأنهما تعليلان بعد التعليل، وهما اسمان للمبالغة، والأول أولّ عليها، كعلاّم والعليم، مشتقان من الرحمة، واختلف جمع في لفظة (الرحمن) لما رأوا عدم جواز إطلاق الرحمن على غير الله تعالى اضطربت كلماتهم، وآراؤهم حذراً من استلزام المجاز بلا حقيقة، فقال بعضهم: إنّه غير مشتق وإلّا لا يقبل المرحوم، فلا يقال: رحمن بعباده، ولا يقال: رحيم بعباده[١]. وقال بعضهم: إنّه عبري لا عربي؛ ولذا لا يعرف بالجاهلية، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسجُدُواْ لِلرَّحمنِ قَالُواْ وَمَا الرَّحمَنُ**﴾[٢]، ومن ثَّم كان في التوراة مذكوراً كثيراً؛ ولذا قال بعض اليهود لرسول الله صلى الله عليه وآله: إنك لَتُقِلّ ذكر الرحمن وقد أكثر الله تعالى في التوراة، فنزلت قوله تعالى: ﴿**قُلِ ادعُواْ اللهَ أَوِ ادعُواْ الرَّحمَنَ**﴾[٣]، ولكن لا ينبغي التأمل في اشتقاقه، وفي كونه عربيا؛ لجريان قواعد الاشتقاق فيه، ولتصريح عدد كبير من أهل الفنّ [٤].

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «الرحمن اسم خاص بصفة عامة، والرحيم اسم عام بصفة خاصة»[٥]، ذلك أنّ الرحمن لا يطلق على غيره جل جلاله، وأمّا صفة عمومه فلأن رحمته في الدنيا واسعة شاملة للمؤمن والكافر، وأمّا الرحيم فيطلق على غيره جل وعلا، وأمّا صفة خصوصه؛ فلأنّ رحمته في الآخرة لا تشمل إلا المؤمن. ولقد جاء في الصحيفة السجادية: «يا رحمن الدنيا، والآخرة ورحيمهما»[٦]، فما وجه

(١) ينظر، الطوسي، التبيان، ج١، ص٢٩-٣٠.

(٢) سورة الفرقان، الآية٦٠.

(٣) سورة الإسراء، الآية١١٠.

(٤) ينظر، الطبرسي، مجمع البيان، ج١، ص٢٠، وينظر، ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٢٣١.

(٥) الطبرسي، مجمع البيان، ج١، ص٢١.

(٦) الصحيفة السجادية، الدعاء ٥٤، وينظر، الكافي، باب الدعاء، ج٢، ص٥٥٢.

الاختلاف؟

وجواب ذلك أنّ اختلاف العبارات باختلاف الاعتبارات؛ لأنّ الرحمن أكثر بلاغةً من الرحيم؛ لدلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى، واعتبار الأغلبية فيه باعتبار الكمية، فانظر إلى كثرة أفراد المرحومين عبر بـ «رحمن الدنيا ورحيم الآخرة»[١]، ولشمول رحمته في الدنيا المؤمن والكافر، واختصاص رحمة الآخرة بالمؤمن.

وروي عن الصادق عليه السلام: «الرحمن اسم خاص بصفة عامة، والرحيم اسم عام بصفة خاصة»[٢]، وجه خصوصية الرحمن عدم جواز إطلاقه على غير الله شرعاً ولغة؛ لأنّ الرحمن من حيث الوضع اللغوي هو صاحب جميع النعم بالنسبة إلى جميع المنعمين، ولا يصح إطلاق ذلك لغير الله، وصاحب النعمة الشاملة هو الله جل جلاله لا غير، فيقال لغير الخالق: رحيم، ولا يقال: رحمن.

وعلى نحو الإجمال فإن (الرحمن) صاحب كل رحمة ونعمة في الدنيا والآخرة في كل زمان ومكان، وهذا العموم يستفاد من مبالغته، فبمبالغته بحسب الكمّية والرحيم صاحب النعمة العظيمة الجليلة، فالمبالغة الرحيم؛ لأنَّه يعم النعم العظيمة أيضاً.

وورد فيما نسب للإمام العسكري عليه السلام من تفسير ما نصّه: «الرحمن: العاطف على خلقه بالرزق، لا يقطع عنهم مواد رزقه، وإن انقطعوا عن طاعته»[٣]، و«الرحيم: رحيم بعباده المؤمنين، ومن رحمته أنّه خلق مائة رحمة، وجعل منها رحمة واحدة في الخلق كلهم، فيها يتراحم الناس، وترحم الوالدة بولدها، وتحنو الأمهات من الحيوانات على كل أولادها، فإذا كان يوم القيامة أضاف هذه الرحمة إلى تسعة وتسعين

(١) كشف الأسرار، ج١، ص٧.

(٢) الطبرسي، مجمع البيان، ج١، ص٢١.

(٣) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، ص٣٤، ح١٢.

رحمة، فيرحم بها أمة محمد صلى الله عليه وآله ثم يشفعهم فيمن يحبون له الشفاعة... فإن المؤمن أكرم على الله مما يظنون»[١].

ونخلص في هذا المطلب إلى القول: إنّ واصلة المكانة لاسميه جلّ وعلا بكثرة ورودهما في القرآن الكريم، فقد ذكر اسم الله (الرحمن) سبعاً وخمسين مرة [٢]، وورد اسم الله (الرحيم) مئة وأربع عشرة مرة، وما ذلك العدد إلا توكيد على اتصاف الله بالرحمة، واتساع رحمته بعباده؛ ولهذين الاسمين شأن كبير ومكانة عظيمة، منها:

١. الاسمان اللذان افتتح الله بهما أم القرآن وجعلها عنوان ما أنزله من الهدى والبيان.

٢. وافتتح بهما رسول الله صلى الله عليه وآله كتبه إلى الملوك، والعظماء لدعوتهم إلى الإسلام.

٣. وافتتح بها نبي الله سليمان عليه السلام كتابه الذي أرسله إلى ملكة سبأ يدعوها إلى توحيد الله.

٤. وكان جبريل عليه السلام ينزل بها على النبي صلى الله عليه وآله عند افتتاح كل سورة من القرآن.

٥. وبهما تفتتح جُلّ الأعمال الصالحة.

وإذا تدبرنا سورة (الرحمن) من أولها إلى آخرها فإنها عبارة عن شرح وتفصيل لرحمة الله تعالى، فكل ما فيها من ضروب المعاني وتعاريف الألوان من رحمة الرحمن[٣]، وقد روي عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «لو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة، ما قنط من جنته أحد»[٤]. فعندما يعلم العبد قدر رحمة الله وانها وسعت كل

(١) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، ص٣٧، ح١٣.

(٢) ينظر، عبد الرحمن، سعد، مفهوم الأسماء والصفات، ص٤٥-٩٤.

(٣) ينظر، السعدي، تفسير أسماء الله الحسنى، ص٢٠٢.

(٤) رواه البخاري، ٦٤٦٩، مسلم، ٢٧٥٥.

شيء فلن يقنط من رحمته، ولن ييأس من روحه، قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[1].

المطلب الثالث: اختصاص البسملة بهذه الأسماء وسر تقديم (الرحمن) على (الرحيم):

إن اختصاص البسملة بهذه الأسماء الشريفة له وجوه منها:

الأوّل: أنْ يعلم العبد أنّ المستحق للاستعانة في جميع الأمور هو المعبود المتقي المعطي لجميع النعم العاجلة منها والآجلة، هو (الرحمن الرحيم) فبعد علمه ومعرفته بهذا يتوجه إلى الله تعالى ويستعين به في جميع الأحوال.

الثاني: أنّ للعبد حالات ثلاث: إحداها: حاجتهُ إلى الوجود وهو لم يكن شيئاً، ثانيها: بعد الوجود حاجته إلى أسباب البقاء والتربية، وثالثها: حاجته في القيامة إلى المغفرة. هذه الأسماء الثلاثة إشارة إلى هذه المقاصد، فالله هو الخالق البارئ المصور، والرحمن هو الذي وسعت رحمته كل شيء، ولم يخرج عن تربيته شيء، والرحيم هو المتعطف على المؤمنين قال تعالى: ﴿**وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا**﴾[2].

الثالث: أنّ النبي صلى الله عليه وآله كان مبعوثاً إلى الناس كافة، وهم بين ثلاث فرق: عبدة الأصنام، واليهود، والنصارى، فالفرقة الأولى كانوا يعرفون من أسمائه تعالى اسم (الله) قال تعالى: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾[3]، والثانية: كانوا يعرفون (الرحمن) كما مر في الحديث من أنّ بعض اليهود، قالوا: يا رسول الله إنك لَتُقِلّ ذكر (الرحمن)، وقد أكثر الله تعالى في التوراة، والثالثة: كانوا

(١) سورة الزمر، الآية ٥٣.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٤٣.

(٣) سورة الزمر، الآية ٣٨.

يعرفون (الرحيم) وكَان في لغة الإنجيل رحيماً، ولما أمر الله تعالى نبيه بدعوة تلك الفرق الثلاث افتتح كتابه بهذه الثلاثة[١].

الرابع: إشارة إلى المعبود الحقّ كما روي عن جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنهما واقعان على المريدين والمرادين، فاسم الرحمن للمرادين لاستغراقهم في أنوار الحقائق، والرحيم للمريدين لبقائهم مع أنفسهم واشتغالهم بالظاهر... ومن جميع ما مرّ قد ظهر سر ما ورد في الخبر من أنّ كتاب أصحاب اليمين: بسم الله الرحمن الرحيم»[٢].

أما سِرُّ تقدّيم (الرحمن) على (الرحيم): فقد ذكروا أسباباً لتقدم (الرحمن) على (الرحيم)، ولاختصاص الاسمين المباركين بعد اسم الله بالبسملة.

أما الأوّل فهو: أن (الرحمن) اشارة إلى الرحمة الواسعة السابقة في عالم الناسوت من حيث الظهور والبروز، فيقدم على (الرحيم)، وإن كانت الرحمة الرحيمية هي المقصودة بالإحالة، كتقدم الشجرة على الثمرة، وإنْ كانت الثمرة هي الأمل.

الثاني: أنّ الرحمة الرحمانّية أكثر سعةً وأكثر عموماً، فتقدم لسعتها وعمومها.

الثالث: اختصاص اسم (الرحمن) بالله (جل جلاله)؛ لعدم جواز إطلاقه على غيره.

الرابع: امتيازه واختصاصه من بين الأسماء بحيث صار قريناً باسم الله تعالى[٣]، وكذلك نلاحظ اسم (الرحمن) في القرآن الكريم كثرة وروده لم يذكر في شيء منها بعد اسم من الأسماء إلّا بعد اسم (الله)، أو الضمير العائد إلى الذات المطلق والهوية الغيبية، بخلاف (الرحيم)، فإنّه قد وقع رديفاً لكثير من الصفات الفعلية، كالغفور،

(١) ينظر، البروجردي، المولى محسن، مجمع المطالب ومنتهى المآرب، مجلد٢، ص٦٥٧.

(٢) الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص٥، الباب ٣٠، ح١١.

(٣) ينظر، الهيتمي، مجمع الزوائد، ج٨، ص٤٩، وينظر، المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٦، ص٤١٧.

والرّبّ، والرؤوف، بل لم يأت متصلاً بما يدل على ذات الخاصّ، الأوّل مختص بالدنيا، والآخر بالآخرة، والأول سابق على الآخر.

الخامس: اختصاص (الرحمن) على العرش في قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَٰنُ عَلَى العَرشِ استَوَىٰ**﴾[١]، و(الرحيم) بالكرسي، ولا ريب في فضل الأول [٢].

واختتم هذا المبحث بتوحيد الذات (الله) (جل جلاله) توحيد الإلوهية، والإلوهية هي العبادة بمعنى: إفراد الله تعالى بأفعال العبادة التي يفعلونها على وجه التقرب، وهذا النوع هو موضع دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم، قال تعالى: ﴿**وَمَآ أَرسَلنَا مِن قَبلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فاعبُدُونِ**﴾[٣]، كما قال نوح عليه السلام، وهود، وصالح، وشعيب في قوله تعالى: ﴿**يٰقَومِ اعبُدُواْ اللهَ مَا لَكُم مِّن إِلَٰهٍ غَيرُهُۥ**﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿**وَإِبرٰهِيمَ إِذ قَالَ لِقَومِهِ اعبُدُواْ اللهَ وَاتَّقُوهُ**﴾[٥]، وأنزل على محمد صلى الله عليه وآله في قوله تعالى: ﴿**قُل إِنِّيٓ أُمِرتُ أَن أَعبُدَ اللهَ مُخلِصاً لَّهُ الدِّينَ**﴾[٦]، وأول ما أوجب على المكلف: شهادة أن لا إله إلا الله والعمل بها، فإنّ توحيد الإلوهية هو مقر دعوة الرّسل، وسمي بذلك؛ لأن الإلوهية وصف (الله) تعالى الدال عليه اسمه تعالى (الله) ذو الإلوهية، أي: المعبود بحق.

(١) سورة طه، الآية ٥.

(٢) ينظر، البروجوردي، محسن، مجمع المطالب ومنتهى المآرب، ص٦٥٥.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٢٥.

(٤) سورة الأعراف، الآية ٥٩.

(٥) سورة العنكبوت، الآية ١٦.

(٦) سورة الزمر، الآية ١١.

المبحث الثاني: مقاربات في البسملة والسبع المثاني:

لسورة الفاتحة أسماء عديدة، فالقرآن الكريم قد عبّر عنها بـ(السبع المثاني) كما ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله تسميتها بـ(أم الكتاب)، و(الشافية)، و(الواقية) وغيرها.

سورة الفاتحة كنز إلهي، وكل مهموم سيجد فيها تفريج همه، ولها علاقة قوية وارتباط وثيق مع ما تليها من السور؛ فلها كذلك مقاربات، وارتباطات مع آيتها الأولى البسملة، وهذا ما يطلق عليه (السياق)، ومن المعلوم أنّ الكلام يقيم بحسب سابقه وسياقه، وفي ضوء ذلك يمكن التفطن إلى هذه المقارنة، والتناسب بين البسملة والسبع المثاني، وبما أنّ سورة الفاتحة أول سور القرآن الكريم، فليس قبلها سورة، ولكن إذا قدرنا في بداية السورة فعلاً يكون هذا الفعل بمثابة سياقها العام، وكذلك يمكن اعتبار البسملة الآية الأولى للسورة أيضاً سياقاً لها؛ يمكن تقدير هذا المتعلق بـ(اقرأ) أو (قل) في بداية الفاتحة، وفاتحة كل شيء في الوجود نزلت على القلب التقي المبارك لأفضل بشر، وبعد أن نزلت تفرعت أغصانها، وأفانينها، وانتشرت ظلالها حتى لو كان الإنس والجن جميعهم دخلوا تحت ظلال أجنحتها، فهي كافية وافية يحل كل معضلات البشرية.

إن البسملة تبدأ باسم الله، إذ: «كان الله ولم يكن شيء قبله»[1]، وتختم كذلك باسم هو (الرحيم) الذي وصف به النبي صلى الله عليه وآله في القرآن في قوله تعالى: ﴿**لَقَد جَآءَكُم رَسُول مِّن أَنفُسِكُم عَزِيزٌ عَلَيهِ مَا عَنِتُّم حَرِيصٌ عَلَيكُم بِالمُؤمِنِينَ رَءُوف رَّحِيم**﴾[2]. إنّ في البسملة جاذبية نابعة من رحمة الحق جلّ ذكره، ولكل شيء نصيبٌ من هذه الجاذبية حتى سورة الفاتحة، فإننا نبدأ بتلاوة القرآن بالبسملة، ونبدأ بتلاوة الفاتحة كذلك، وفي بدايةٍ كهذه يواجهنا سؤال: على أي كيفية وبأي حالة ستقفون بين يدي

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، ح٦٦٤٤.

(٢) سورة التوبة، الآية ١٢٨.

الله (جل جلاله) الذي يتحدث عن نفسه في البسملة بالرحمانية والرحيمية؟ وبأي كلام ستقبلون تلك الرحمة الجذابة التي تتجلى بجلالها وجمالها؟

وسيجاب عنه هذه الأسئلة المقدرة على نحو قوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ فنكون قد قلنا: الحمد والثناء لله الذي أحاطنا ورعانا برحمته، فالحمد لله على أن أوجدنا، والحمد لله على أنّ خلقنا من أمة محمد تلك الأمة التي هي الإنسانية الكبرى، وهذا يعني أنّ الحقيقة التي كانت مكنوزة في الأول، وفي البسملة أصبحت الآن تفصح عن نفسها في الفاتحة وفي وضعنا الحالي، ومن باب التفسير لهذا اللغز يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «لقد تجلّى الله لخلقه بكلامه، ولكن لا يبصرون»[١]، وكل ما مر بنا خلال البحث عبارة عن المناسبة، والمقارنة بين البسملة والسبع المثاني، وهكذا فهما مترابطتان ومتعانقتان في مستوى ترابط أبيات القصيدة الواحدة، وكأننا نصل إلى طمأنينة داخلية تامة في البسملة، وكذلك نصل إليها في الفاتحة أيضاً؛ لأن صاحب عنوان: (رَبّ العالمين) يأخذ بأيدينا ويَسبْح بنا في حنايا الكون، فنحن إنما ندرك كنه الأشياء، والحوادث، ونفهمها في ضوء هذا العنوان: (رَبّ العالمين) فكل القوانين، والنواميس الجارية في الكون إنما تجري تحت هذا العنوان الإلهي، ولكن الأحداث مدهشة ومخفية، والإنسان أنْ ينظر إلى هذا العنوان فحسب، سيظل واجماً في مكانه جرّاء ما ينتابه من الحيرة والدهشة.

ولذلك جاءت الأخبار المنقولة في فضلها، ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «من قرأ الفاتحة أعطاه الله تعالى بعدد كل آية نزلت من السماء ثواب تلاوتها»[٢]، وعن الصادق عليه السلام: «السبع المثاني هي الفاتحة»[٣]، وكذلك ورد عنه أنّه سُئِل عن قوله تعالى:

---

(١) الصدوق، عيون الأخبار، ج١، ص١١٦، المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٨، ص١٠٧.

(٢) الصدوق، الأمالي ص١٦٣، المجلسي، بحار الأنوار، ص٣٥.

(٣) الطوسي، تهذيب الأحكام، ج٢، ص٢٨٩.

﴿وَلَقَد ءَاتَينٰكَ سَبعاً مِّنَ المَثَانِي وَالقُرءَانَ العَظِيمَ﴾[١]، فقال: «هي سورة الحمد، وهي سبع آيات منها التسمية، وانما سميت بالمثاني؛ لأنها تثنى في الركعتين»[٢]، كما جاء في التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله: «كل أمر ذي بال لم تذكر فيه التسمية فهو أبتر»[٣].

أتى كثير من المفسرين على ذكر مثل هذه المقاربة، والمناسبة لآيات سورة الفاتحة مع بعضها البعض، وقد حاول الباحث هنا أن يجمع خلاصة أقوال العلماء في وجه المناسبة بين البسملة، وآيات السبع المثاني (الفاتحة):

- مناسبة ﴿الحَمدُ للهِ رَبِّ العٰلَمِينَ﴾، وقوله: ﴿بِسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

لما ابتدأ الإنسان بآية التسمية استفتاحاً باسمه تعالى، واعترافا بالألوهية، وبياناً لذكر فضله ورحمته، اشتغل بالشكر لربه، والحمد له فقال (الحمد لله)، ولما رأى نعم الله تعالى على غيره واضحة كما شاهد آثارها على نفسه، وعرف أنّه تعالى رَبُّ الخلائق أجمعين فقال: (رب العالمين)[٤].

- مناسبة ﴿الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ﴾، بقوله: ﴿الحَمدُ للهِ رَبِّ العٰلَمِينَ﴾.

واما أن نثبت بقوله (الحمد لله) أنه استحق لجميع المحامد لا شيء غير ذاتهِ الحائز على جميع الكمالات من حيث كونه رباً مالكاً منعماً، فقال: (رَبُّ العالمين) وأشار بقوله: (العالمين) إلى الدليل الدال على وجود الإله القادر الحكيم، وفيه إشارة إلى أنّ كل ما سواه فهو مفتقر إليه تعالى، ومحتاج في وجوده إلى إيجاد، وفي بقائه إلى إبقائه، ولما كانت مرتبة الربوبية لا تستجمع الصلاح إلّا بالرحمة اتبع ذلك يقضي (الرحمن

(١) سورة الحجر، الآية ٨٧.

(٢) تفسير العياشي، ج١، ص١٠٠، ح٧٦.

(٣) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام ص٥، ح٧.

(٤) ينظر، الطبرسي، مجمع البيان، ج١، ص٦٥-٦٦.

الرحيم) ترغيباً في لزوم حمده [١].

- مناسبة ﴿مُلكِ يَومِ الدِّينِ﴾ بقوله: ﴿الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

لما كان الرَّبُّ المنعوت بالرحمة قد لا يكون مالكاً، وكانت الربوبية لا تتم إلا بالملك المفيد لقيام التعرف، وكان المالك قد لا يكون ملكاً، ولا يتم ملكه إلّا بالملك المقيد للعزة، المقرون بالهيئة المثمرة للبطش، والقهر المتتبع لنفوذ الأمر اتبع ذلك بقوله: (مالك يوم الدين) ترهيباً من سطوات مجده [٢].

- مناسبة ﴿إِيَّاكَ نَعبُدُ وَإِيَّاكَ نَستَعِينُ﴾ بقوله: ﴿مُلكِ يَومِ الدِّينِ﴾.

لما ذكر (جل جلاله) أنّه (مالك يوم الدين) ناسب ذلك أنّه لا معبود سواه، ولا يستعان إلّا به، فمن المقتضي بالعبادة إلّا الملك؟ ومن الجدير بطلب العون إلّا هو؟ فتبين الآيتان تمام ارتباط واتصال، وفيهما التفاتة من الغيبة إلى الخطاب، فإنّ العبادة، وطلب العون ثناء على الله بما هو أصله، فناسب ذلك أسلوب الخطاب في (إياك) و(إياك) [٣].

- مناسبة ﴿اهدِنَا الصِّراطَ المُستَقِيمَ﴾ بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعبُدُ وَإِيَّاكَ نَستَعِينُ﴾.

لما ذكرت هذه الآية العبادة والاستعانة، وأنهما يجب أنْ يكونا لله، ناسب ذلك أنْ يأتي بآية الدعاء بعد العبادة والاستعانة، فقال: (اهدنا الصراط المستقيم)، فالدعاء مُخّ العبادة وطلب الهداية من الله، فكان بين الآيتين تمام ارتباط [٤].

---

(١) ينظر، البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج١، ص١٤.

(٢) المصدر نفسه، ص١٤.

(٣) المصدر نفسه، ص١٥-١٦.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ص١٨.

- مناسبة ﴿صراطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا الضَّآلِّينَ﴾ بقوله: ﴿اهدِنَا الصِّرَٰطَ المُستَقِيمَ﴾.

لما طلب المؤمنون من الله تعالى أشرف طريق، سألوا بعد ذلك أحسن رفيق، فقالوا: (صراط الذين انعمت عليهم...)، واستعانوا وتبرأوا من الاقتداء بالحائدين عن الصراط المستقيم، فقالوا: (... غير المغضوب عليهم ولا الضالين)[1].

ولا شك في أن من تدبر السبع المثاني في تلاوة عامة، أو في صلاته خاصة رأى من غزارة المعاني وجمالها، وروعة المقاربة والتناسب بين آياتها ما يأخذ بلبه، ويضيء جوانب قلبه متيمناً بالبسملة باسم الله الموصوف بالرحمة التي تظهر آثار رحمته متجددة في كل شيء، فإذا استشعر هذا المعنى، ووقر في نفسه، انطلق لسانه بحمد هذا الإله الرحمن الرحيم.

والآن لِنُلَخّصَ ما سردناه في خلاصة هذا المبحث، فنقول: إنّ القرآن الكريم مستجمع لجميع الكتب والصحف السابقة، فكذلك السبع المثاني (سورة الفاتحة) فهي الجامعة والحاوية لملخص ما في القرآن الكريم، نعم أنّ الفاتحة مع أنّها سبع آيات لكنها في انسجام آية واحدة؛ فإذا كانت آية منها سبباً، فالآية التي تليها نتيجة مرتبة على هذا السبب، وإذا كانت آية منها تتحدث عن حكمة، فإنّ الآية التي بعدها تبين سبب تلك الحكمة وهكذا.

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج١، ص٢٠.

الخاتمة

بعد هذه الزبدة الميسرة والمختصرة اختصاراً لباً:

- فقوله تعالى: ﴿**بِسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ**﴾ ظاهر في أنّ المراد تعليم العباد ابتداء فعلهم بعد راجحيّة التسمية في نفسها على ما قاله، وأكثر المفسرين أنْ تبدأوا بها في أوائلها، كما فعل الله تعالى في القرآن الكريم ويؤيده الحديث المشهور: «كل أمرٍ ذي بالٍ لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر»[1].

- من أظهر الألفاظ اختصاصاً، وأشرفها تميزاً وانفراداً لفظ الجلالة (الله) تعالى مسماه الذي جاء اختصاصه من اختصاص مسمّاه (جل وعلا) في البسملة من كثرة استعماله. فإنّ للفظ الجلالة (الله) ما يناسب تفرد مسماه بالوحدانية، واستحقاق الإلوهية، فهو لفظ ينفرد بشرف اختيار الله تعالى له ليكون اسمه الدال على أسمائه الحسنى جميعها وصفاته العليا بدلالته على إلهيته المتضمنة ثبوت صفات الإلهية له.

- الرحمن والرحيم اسمان مشتقان من الرحمة بني الرحمن على وزن (فعلان) والرحيم على وزن (فعيل)، وقد تصدرت الأقوال في الفرق بينهما على ثلاثة أقوال:

أ- الرحمن أكثر مبالغة من الرحيم.

ب- الرحمن مختص بالله (جل جلاله) لا يجوز أن يسمى به غيره، ويجوز في (الرحيم) أنْ يسمى به غير الله سبحانه.

جـ- الرحمن صفة لازمة ذاتية لله (جل جلاله)، والرحيم تدل على فعله المتعدي للمخلوق.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين.

---

(١) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام ص٢٥، وينظر، نظم الدر المنشور، ج١، ص٢٦.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. ابن الأثير، علي بن محمد الجزري، أسد لغابة في معرفة الصحابة، طهران.

٢. ابن الجزري (ت٨٣٣هـ)، النشر في القراءات العشر، تحقيق، علي بن محمد الصباغ، تحقيق رجب علي مظلوم، طهران، ١٣٥٩هـ.

٣. ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن الكريم، ٧٧٤هـ، تحقيق، يوسف عبد الرحمن المرعشي، ط٢، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٧هـ.

٤. ابن منظور (ت٧١١هـ)، لسان العرب، لقم، أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ، طبعة بيروت، ١٣٧٦هـ.

٥. أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود)؛ بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٦. الاسترآبادي، السيد شرف الدين علي الحسيني، تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، ط١، قم، ١٤٠٧هـ.

٧. أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، ٦٨٥هـ، ط١، بيروت، ١٤١٠هـ.

٨. البخاري، محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، تحقيق، مصطفى ديب البُغا، ط٤، دمشق وبيروت، دار ابن كثير للطباعة والنشر، ١٩٩٠م.

٩. تفسير الإمام العسكري عليه السلام، المنسوب إلى أبي محمد الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام، (ت٢٦٠هـ)، تحقيق، ونشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، ط١، قم، ١٤٠٩هـ.

١٠. الجوهري، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، ٣٩٣هـ، تحقيق أحمد عبد

الغفور العطار، ط٢، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩م.

١١. الدمشقي، إسماعيل بن كثير (ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ.

١٢. الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط٣، بيروت، دار الكتاب العربي، ٢٠٠١م.

١٣. رسائل في تفسير سورة الفاتحة، مجموعة من المحققين، مجموعة الطالب ومنتهى المآرب، محسن البروجردي، ط١، قسم إحياء التراث الإسلامي، ٢٠٠٦م.

١٤. الزركشي، (ت٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبو الفضل، إبراهيم، ط٢، بيروت، دار المعرفة.

١٥. الزِرِكْلي، خير الدين، الأعلام، ط٦، بيروت، دار العلم، ١٩٨٤م.

١٦. الصدوق، التوحيد، ٣٨١هـ، تحقيق، السيد هاشم الحسيني الطهراني، ط١، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٢٢٢هـ.

١٧. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت٥٨٤هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، ط١، بيروت، ١٩٩٥م.

١٨. الطبرسي، جامع البيان (في تأويل القرآن)، (ت٣١٠هـ)، ط٣، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م.

١٩. الطوسي، (ت٤٦٠هـ)، البيان في تفسير القرآن، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٢٠. الطوسي، (ت٤٦٠هـ)، أمالي الطوسي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، ط١، قم، دار الثقافة، ١٤١٤هـ.

٢١. العاملي، محسن الأمين، أعيان الشيعة، إعداد السيد حسن الأمين، ط٥،

بيروت، دار المعارف، ١٩٨٣م.

٢٢. العاملي، محمد بن الحسن (ت١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة، تحقيق ونشر، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، أصفهان، ١٤١٢هـ.

٢٣. الفيض، الكاشاني، الأصفى في تفسير القرآن، تحقيق الأبحاث الإسلامية، ط١، قم، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٢٠هـ.

٢٤. الكتاب لسيبويه عمرو بن عثمان (ت١٨٠هـ)، قم، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٤هـ.

٢٥. المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي (ت١١١٠هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، ط٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٣م.

٢٦. النيسابوري، بن الحجاج ٢٦١هـ، صحيح مسلم، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، ط٢، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨هـ، تحقيق، علي أكبر الغفاري، ط٢، بيروت، دار صعب ودار المعارف، ١٤٠١هـ.

٢٧. النيسابوري، علي بن أحمد الواحدي، أسباب النزول، تحقيق طارق طنطاوي، القاهرة، مكتبة القرآن (د.ط)، (د.ت).

البحث الثالث

إمامة الحسن العسكري عليه السلام

وظروفها السياسية

م. هدى جواد كاظم

جامعة ذي قار

كلية التربية للعلوم الإنسانية

المقدمة:

تميزت مدة إمامة الحسن العسكري عليه السلام بالأهمية القصوى؛ لأن مهمتها كانت التمهيد لإمامة الإمام المهدي عليه السلام والنص على إمامته وتعريف الشيعة به والتمهيد لغيبته وربط الوكلاء به والتنسيق لاستمرار الارتباط الصحيح به، بحيث لا تنهار كل الأواصر التي أوجدها الأئمة الأطهار مع شيعتهم، ولا يتفتت الكيان الذي أسسوه على مدى قرنين ونصف من النشاط المباشر في تربية أتباعهم، وضرورة الانتقال بهم من الارتباط المباشر إلى الارتباط غير المباشر مع المحافظة على استقلال الكيان الشيعي في الوسط غير الشيعي الذي يهدد وجودهم كل هذه النقاط تشير إلى دقة وحراجة الظرف الذي كان يعيشه الإمام الحسن العسكري عليه السلام، إذ كان عليه أن يقوم بكل التمهيدات اللازمة خلال هذه المدّة القصيرة من مدة إمامته والتي لم تتجاوز الست سنوات، عاش خلالها الإمام الحسن العسكري عليه السلام ظروفاً حرجه لقيام العباسيين بمراقبة تحركات المعصومين عن كثب، ومحاولتهم السيطرة على كل نشاطاتهم، وهم يتوقعون كسائر المسلمين ولادة الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف وهو من نسل الحسين بن علي عليهما السلام.

لقد عاصر الإمام العسكري عليه السلام أعواماً عصيبة من الخلافة العباسية مع سلاطين مستبدين توالوا على عرش الدولة منذ أن قَدِم سامراء مع أبيه الإمام الهادي عليه السلام أيام المتوكل عام (٢٤٣هـ).

المحور الأول: التعريف بشخصية الإمام الحسن العسكري عليه السلام ونشأته.

أولاً: نسبه الشريف عليه السلام.

الإمام الحسن بن الإمام علي الهادي بن الإمام محمد الجواد بن الإمام علي الرضا بن الإمام موسى بن جعفر الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي السجاد بن الإمام الحسين بن الإمام علي ابن أبي طالب (عليهم السلام أجمعين)، وهؤلاء هم الأئمة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، هم سفينة النجاة.(١)

ثانياً: أُمّه رضي الله عنها.

هي أم ولد يقال لها: سوسن، وتكنى أم الحسن، وتعرف بالجدّة، أي جدّة الإمام صاحب الزمان عليه السلام، ولها أسماء أخرى، فيقال لها: حُديث، وحُديثه، وسليل، وسمانة، وشُكَل النوبية وغيرها(٢).

ورجّحَ صاحب عيون المعجزات أن اسمها الأصل هو سليل، فقال: «اسم أُمّه عليه السلام ـ على ما رواهُ أصحاب الحديث ـ سليل رضي الله عنها، وقيل: حديث، والصحيح سليل، وكانت من العارفات الصالحات».(٣)

ولعل ذلك مبني على الحديث الوارد عن المعصوم، وهو يشيد بفضلها وعفتها وصلاحها، رواه المسعودي عن العالم عليه السلام أنه قال: «لما إذ أدخلت سليل أم أبي محمد على أبي الحسن عليه السلام، قال: سليل من الآفات، والعاهات، والأرجاس والأنجاس»(٤).

---

(١) خلصان، مالك مهدي، شخصية الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص٧.

(٢) الكعبي، علي موسى، الإمام الحسن العسكري عليه السلام سيرة وتاريخ، ص٩٣.

(٣) القزويني، محمد كاظم، الإمام الحسن العسكري من المهد إلى اللحد، ص٨.

(٤) المصدر نفسه، ص٨.

ثالثاً: ولادته عليه السلام.

ولد الإمام الحسن العسكري عليه السلام يوم الجمعة الثامن من شهر ربيع الآخر سنة ٢٣٢هـ في مدينة جده رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو القول المشهور في ولادته عليه السلام.(١)

ويؤيده ما رواه الطبري الإمامي بالإسناد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، أنه قال: «كان مولدي في ربيع الآخر سنة ٢٣٢ من الهجرة»(٢)، ووقع اختلاف في تاريخ الولادة ومكانها، فقيل: ٢٣٣هـ، وقيل: في شهر رمضان من سنة ٢٣٢هـ، وقيل: يوم الاثنين الرابع من شهر ربيع الآخر، أو السادس، أو العاشر، من سنة ٢٣٢هـ، وقيل: في السادس من شهر ربيع الأول، أو الثامن منه.(٣)

هذا من حيث تاريخ الولادة، أما من حيث مكانها فقد ذكر بعضهم أنه ولد عليه السلام في سامراء سنة ٢٣١هـ، أو في ربيع الآخر سنة ٢٣٢هـ، وهذا لا يصح؛ لأن الثابت في التاريخ أن المتوكل هو الذي استدعى الإمام أبا الحسن الهادي عليه السلام إلى سامراء، وقد تولى المتوكل ملك بني العباس في ذي الحجة سنة ٢٣٢هـ، فكيف تكون ولادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام في سامراء سنة ٢٣١هـ، أو في ربيع الآخر سنة ٢٣٢هـ، وكلا التاريخين في زمان الواثق وهو عليه السلام لما ينزل في المدينة.(٤)

رابعاً: ألقابه عليه السلام.

أشهر ألقاب الإمام أبي محمد عليه السلام هو العسكري، وقد أطلق عليه وعلى أبيه عليهما السلام، لأنهما سكنا عسكر المعتصم الذي بناهُ لجيشه، وهو اسم سرّ من رأى(٥).

---

(١) آيت اللهي، سيد مهدي، الإمام الحسن العسكري، ص٤.

(٢) الكعبي، علي موسى، المصدر السابق، ص٩٥.

(٣) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام العسكري (دراسة وتحليل)، ص١٨.

(٤) الكعبي، علي موسى، المصدر السابق، ص٩٦-٩٧.

(٥) الحداد، عبد السادة محمد، الإمام الحسن العسكري ورواياته الفقهية (دراسات في دلالات

وقيل: هو اسم محلة في سامراء، قال الشيخ الصدوق: سمعت مشايخنا رضي الله عنهم يقولون: إن المحلة التي يسكنها الإمامان علي بن محمد والحسن بن علي عليهما السلام بسُرَّ من رأى كانت تسمى عسكراً؛ فلذلك قيل لكل واحد منهما: العسكري. وكان هو وأبوه وجده عليهم السلام يعرف كل منهم في زمانه بابن الرضا.(١)

وثَمَّة ألقاب أخرى تطلق على الإمام العسكري عليه السلام وفي كل منها دلالة على كمال من كمالاته أو مظهر من مظاهر شخصيته، ومنها الخالص، والشافي، والزكي، المرضي، والصامت، والهادي، والرفيق، والنقي، والمضيء، والمهتدي، والسراج، وغيرها من الألقاب التي تحكي مكارم أخلاقه وخصائصه السامية وصفاته الزكية.(٢)

خامساً: كنيته عليه السلام.

اشتهر الإمام العسكري عليه السلام بكنية واحدة عرف بها عند سائر المؤرخين، هي أبو محمد، وذكر الطبري الإمامي أنه عليه السلام يُكنى أيضاً أبا الحسن ولم أجدهُ في غيره، بل هي كنية أبيه عليه السلام.(٣)

سادساً: حليته عليه السلام.

وصفه أحد معاصريه من رجال البلاط العباسي، وهو أحمد بن عبيد الله بن خاقان بقوله: «إنه أسمر، أعين ـ أي واسع العين ـ، حسن القامة، جميل الوجه، جيد البدن، له جلالة وهيئة حسنة»، وقال ابن الصباغ: «صفته بين السمرة، والبياض».(٤)

المتون)، ص٣٠.

(١) الحداد، عبد السادة محمد، الإمام الحسن العسكري ورواياته الفقهية (دراسات في دلالات المتون)، ص٣٠.

(٢) الشيرازي، محمد حسين، من كلمات الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص١٧-١٨.

(٣) الكعبي، علي موسى، المصدر السابق، ص٩٩.

(٤) القرشي، باقر شريف، المصدر السابق، ص٢٠.

وجاء في صفة لباسه: «أنه كان يلبس ثياباً بيضاء ناعمة، ويلبس مسحاً أسود خشناً على جلده، ويقول: «هذا لله، وهذا لكم».[١]

سابعاً: نقش خاتمه عليه السلام.

كان نقش خاتمه: سبحان من له مقاليد السماوات والأرض، وقيل: أنا لله شهيد. وفي نسخة من البحار: إن الله شهيد. وقال الطبري الإمامي: «كان له خاتم فضّة: الله وليي»[٢].

ثامناً: زوجته عليها السلام.

وهي أم ولد يقال لها: نرجس عليها السلام، وكان الإمام أبو الحسن الهادي عليه السلام قد أعطاها إلى أخته حكيمة بنت محمد الجواد عليه السلام، وقال لها: «يا بنت رسول الله، أخرجيها إلى منزلك، وعلميها الفرائض والسنن، فإنها زوجة أبي محمد وأم القائم».[٣]

وكما اختلفت الروايات في اسم أم الإمام العسكري عليه السلام كما مّر، فقد اختلفت أيضاً في اسم زوجته، ويستفاد من أخبار أسرها وجلبها إلى بغداد وابتياعها، أن اسمها مليكة بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم، وأمها من ولد الحوارين تنسب إلى شمعون وصي المسيح عليه السلام، ولما أسرت سمت نفسها نرجس؛ لئلا يعرف الشيخ الذي وقعت في سهمه من الغنيمة أنها من سلالة الملوك[٤].

وقد تعددت أسماؤها، فجاء في رواية: أنها ريحانة، ويقال لها: صقيل، ويقال لها: سوسن إلا أنه قيل لها بسبب الحمل: صقيل.[٥]

---

(١) الكعبي، علي موسى، المصدر السابق، ص٩٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٩٩.

(٣) المصدر نفسه، ص١٠٠.

(٤) المصدر نفسه، ص١٠٣.

(٥) القزويني، محمد كاظم، المصدر السابق، ص٢٥.

ثامناً: ولدهُ عليه السلام.

ذكر النسابة والمؤرخون أنه عليه السلام لم يخلّف ولداً غير الإمام الحجة القائم المهدي عليه السلام، إذ قال الشيخ المفيد: كان الإمام بعد أبي محمد عليه السلام ابنه المسمى باسم رسول الله صلى الله عليه وآله المكنى بكنيته، ولم يخلّف ولداً غيره ظاهراً ولا باطناً، وخلفه غائب مستتر، وكانت سنه عند وفاة أبيه خمس سنين، آتاهُ الله فيها الحكمة وفصل الخطاب، وجعله آية للعالمين وآتاه الحكمة كما آتاها يحيى صبياً، وجعله إماماً في حال الطفولية الظاهرة كما جعل عيسى بن مريم عليه السلام في المهد نبياً.(١)

وقال الطبرسي وغيره: خلف ولده الحجة القائم المنتظر لدولة الحق، وكان قد أخفى مولده؛ لشدة طلب سلطان الوقت له، واجتهاده في البحث عن أمره فلم يره إلا الخواص من شيعته(٢).

وقيل: إن للإمام العسكري ذكراً وأنثى، وجاء في رواية للشيخ الصدوق أنه له ولدان هما محمد عليه السلام وموسى، وعد بعضهم سبعة أولاد للإمام العسكري عليه السلام، وهم: القائم عليه السلام ـ وهو الإمام بعد أبيه ـ، وموسى، وجعفر، وإبراهيم، وعائشة، وفاطمة، ودلاله(٣).

وإذا سلّمنا بصحة هذه الأقوال فلا بد أن نفترض كونهم ممن درجوا في حياة أبيهم عليه السلام، ويدل عليه ما رواه الشيخ الطوسي بالإسناد عن إبراهيم بن إدريس، قال: «وجه إليَّ مولاي أبو محمد عليه السلام بكبش، ثم لقيته بعد ذلك، فقال لي: المولود الذي وُلدَ لي مات، ثم وجه إليَّ بكبشن، وكتب، بسم الله الرحمن الرحيم، عقّ هذين الكبشين عن مولاك، وكل هنأك الله، وأطعم إخوانك، ففعلت، ولقيته بعد ذلك فما ذكر لي

(١) الكعبي، علي موسى، مصدر سابق، ص١٠٣.

(٢) المصدر نفسه، ص١٠٣.

(٣) المصدر نفسه، ص١٠٤.

شيئاً».[1]

تاسعاً: إخوته عليه السلام.

ذكر المؤرخون أن له ثلاثة أخوة، وهم محمد المتوفى في حياة أبيه، والحسين، وجعفر المعروف بالكذاب، وقيل: إن له من الإخوة اثنين وحسب، وهما: جعفر وإبراهيم، وهذا خطأ واضح لشهرة السيد محمد بن الإمام الهادي عليه السلام في كتب الأنساب، والتاريخ، والحديث، وله أخت واحدة مختلف في اسمها فقيل: حكيمة، أو عائشة، أو علية، أو عالية، وقيل: له أختان وهما: عائشة ودلاله.[2]

عاشراً: نشأته عليه السلام.

نشأ الإمام أبو محمد عليه السلام في بيت الرسالة ومهبط الوحي، والتنزيل، ومنبع العلم والهداية، ذلك البيت الذي أذهب الله عن أهله الرجس وطهرهم تطهيراً، فهو فرع من تلك الدوحة المحمدية الفواحة بالشذى التي غرسها النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله[3]، وأنبأ بها الحكيم في كتابه الكريم بقوله: ﴿**كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا**﴾[4].

فترعرع في حجر والده الإمام علي الهادي عليه السلام يشمُ نسيم الإمامة الكبرى وتغمر قلبه أنوار الولاية العظمى، ويتغذى بأنواع الحكمة والمعرفة (جعله الله امتداداً لخط الإسلام الصحيح، وانتخبه حاملاً لشريعته، واصطفاه حافظاً لدينه وكتابه، واختاره إماماً، ونوراً لبريته، ومناراً لعباده)[5].

---

(١) الكعبي، علي موسى، مصدر سابق، ص١٠٤.

(٢) الحداد، عبد السادة محمد، المصدر السابق، ص٣٣-٣٤.

(٣) المصدر نفسه، ص٣١.

(٤) سورة إبراهيم، الآية ٢٤-٢٥.

(٥) القزويني، محمد كاظم، المصدر السابق، ص١١.

أما طفولته الطاهرة فقد تغافل التاريخ، ولم يذكر شيئاً كثيراً عنها سوى أمور عامة. وكان (سلام الله عليه) إنساناً متميزاً يفوق أقرانه بالفضل والكمالات الإنسانية وكأنما قطع في ليلة واحدة مسيرة مائة سنة[١]، أضف إلى ذلك أن الخشية من الله تعالى كانت ظاهرة متميزة في طفولة الإمام الحسن عليه السلام، إذ كان خائفاً وجلاً منه، وروى المؤرخون[٢] أن البهلول رأى الإمام الحسن عليه السلام وهو صبي يبكي والصبيان يلعبون فظن أنه يتحسر على ما بأيديهم، فقال للإمام العسكري عليه السلام: أشتري لك ما تلعب به؟، فقال الإمام عليه السلام: يا قليل العقل ما للعب خلقنا، فقال له البهلول: فلماذا خُلقنا؟ قال الإمام عليه السلام للعلم والعبادة، فقال البهلول: من أين لك ذلك؟ فقال الإمام عليه السلام[٣]: من قوله تعالى: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾[٤]، ثم سأل البهلول الإمام الحسن عليه السلام: ما نزل بك وأنت صغير ولا ذنب لك؟ فقال الإمام الحسن عليه السلام: إليك عني يا بهلول، إني رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار فلا تتقد إلّا بالصغار وإني أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم[٥]، ولقد كان الإيمان بالله وخشيته من جملة معالي أموره، وصفاته البارزة فيه عليه السلام.[٦]

وامتاز الإمام الحسن عليه السلام بوقاره وكمالاته، وعلمه، وفضائله الأخلاقية عن غيره امتيازاً فائقاً، وترى آيات الإمامة والمستقبل الباهر على قسمات وجهه المتلألئ.[٧]

---

(١) الاشتهاردي، محمد محمدي، سيرة المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام، ص٢٣٩.

(٢) القرشي، باقر شريف، المصدر السابق، ص٢٢.

(٣) الاشتهاردي، محمد محمدي، المصدر السابق، ص٢٤٠.

(٤) سورة المؤمنون، الآية ١١٥.

(٥) الاشتهاردي، محمد محمدي، المصدر السابق، ص٢٤٠-٢٤١.

(٦) الحداد، عبد السادة محمد، المصدر السابق، ص٣٦.

(٧) الاشتهاردي، محمد محمدي، المصدر السابق، ص٢٣٩.

المحور الثاني: تداعيات الاحداث السياسية خلال إمامة الحسن العسكري عليه السلام.

أولاً: محطتان مهمتان في حياة الإمام العسكري عليه السلام.

أ- المحطة الأولى: حياته في كنف أبيه عليه السلام.

عاش الإمام أبو محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام في ظل حياة أبيه الإمام علي الهادي عليه السلام اثنين وعشرين عاماً، وقد لازمه طوال هذه المدة من الزمن، فلم يفارقه في حله وترحاله[١]، وترعرع فيها إلى جانبه. إن تلك الفترة كانت من أشد المدد الزمنية على الأئمة عليهم السلام؛ لأن الحكم العباسي حينها كان سليب الإرادة، مغلول اليد، ليس له من الأمر شيئاً، أما المتصرف الحقيقي في الأمور، واليد التي تحرك بيادق الشطرنج على رقعة الخريطة السياسية، والاقتصادية، والعسكرية وغيرها للدولة الإسلامية، فهم الأتراك الذين تبوؤا أعلى المناصب وأهمها، والذين حكموا البلاد حكماً حقيقيّاً، فسيطروا على مقدراتها، وعلى السلطات التنفيذية والقضائية وغيرها من دون أن يتركوا للعباسيين شيئاً سوى الاسم، إذ سلبوا الحكم من العباسيين، وتصرفوا بأموالهم، وجعلوا من خلفائهم مجرد علامات على رقعة هذه الدولة، فهم يقومون بتحريك تلك العلامات وتغييرها متى شاؤوا.[٢]

ولكن المفارقة المثيرة للعجب أن الخلفاء العباسيين بدلاً من أن يصبوا غضبهم على الأتراك أنفسهم؛ لأنهم هم الذين سلبوهم حكمهم وسلطانهم ودولتهم، ومنعوهم من الأموال التي كانوا يرتعون ويسرحون فيها، ويبعثرونها كيف شاؤوا وأنّى شاؤوا من دون وازع من ضمير، ودون خوف من الله تبارك وتعالى، ودون رعاية لجنبة حق أكل اموال الناس، ولأنّه بحق أو بباطل، فإننا نجدهم يميلون على أهل البيت العلوي الطاهر عليهم السلام؛ ويصبون عليهم غضبهم، ويضغطون عليهم بشكل

---

(١) الحداد، عبد السادة محمد، المصدر السابق، ص٣٢.

(٢) الوائلي، أحمد، سيرة أهل البيت عليهم السلام، ص٢٥٤-٢٥٥.

لا يمكن أن يطاق.[١]

فهل أن هؤلاء الخلفاء قد تناسوا كل شيء تقدم به الأتراك تجاههم، وتوجهوا بكل ما عندهم من سلطان متبق لديهم إلى تعذيب آل بيت علي عليه السلام، وإلى تهجيرهم وسجنهم وتقتيلهم، وكأنه ليس هنالك من خطر آخر يتهدّد دولتهم ووجودهم وسلطانهم المنقوص.[٢]

وبما أن الإمام الهادي عليه السلام كان موجوداً في هذه الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها ـ وهي مدة حياة الإمام العسكري عليه السلام في كنف أبيه عليه السلام ـ وبما أن الإمام علياً الهادي عليه السلام يمثل واجهة الأسرة العلوية المشرفة، بل هو الشخص الأبرز والمبرّز فيها، فإن من الطبيعي عند أهل الباطل أن يتوجه غضب السلطات إليه. ويحدثنا التاريخ عن أن الإمام الهادي عليه السلام كان منزلهُ بين آونة، وأخرى يتعرض إلى المداهمة من قبل سلطات الدولة العباسية بدعوى أنه يجمع الأموال، والسلاح للقيام بثورة ضد نظام الحكم القائم آنذاك.[٣]

إذن فمنزل الإمام الهادي عليه السلام لم تكن له حرمة أبداً، فما بين آونة وأخرى تأتي قوات الأمن لتكبس منزله عليه السلام متهمة إياه بأنه يجمع الأسلحة، ثم يعرضون كتباً ملفقة ومزورة على الإمام عليه السلام متهمين إياه فيها[٤]، بأنه قد راسل بها شيعته طالباً منهم نصرته في الثورة على العباسيين، ومن البدهي أن ينكر الإمام عليه السلام ذلك؛ لأنه لم يكن قد فعله، فيحاول أن يبين لهم بأن هذه الكتب ليست بخطه، ولا هي من كتابته دون جدوى، ونحن نعلم بأنه عليه السلام لم يكن ممن يتنصل عن مسؤوليته التي إن كان قد

(١) الوائلي، أحمد، سيرة أهل البيت عليهم السلام، ص٢٥٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٥٥.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٥٥-٢٥٦.

(٤) القرشي، باقر شريف، المصدر السابق، ص٢٣٩.

ولجها وحملها على عاتقه فعليه المضي فيها؛ لأنه عليه السلام لا يتنصل عن مسؤولية يتقمصها أبداً، ثم يذهب الإمام عليه السلام يبين لهم بأنه ليس من خلقه ولا من واقعه أن يفعل شيئاً ثم ينكره؛ لأنه عليه السلام (لا يكذب أبداً تقدس وتنزه عن ذلك)، ولا يمكن أن يتنصل عن مسؤولية يتلبسها كذلك أبداً[١].

وعلى أية حال فقد عاش الإمام الهادي عليه السلام هذا الجو الإرهابي المتعمد، والمفتعل من بداية عهد المتوكل، وانتهاء بعصر المهتدي ابن المعتصم حيث توفي الإمام الهادي عليه السلام في عهده سنة ٢٥٤هـ.[٢]

ب- المحطة الثانية: حياته بعد تبوئه أعباء الإمامة.

بعد أن توفي الإمام الهادي عليه السلام انتقلت أعباء الإمامة إليه عليه السلام، فتقلّد قيادة الأمة الإسلامية روحياً، وأصبح هو المرجع العلمي والروحي لأمة جده صلى الله عليه وآله، وفي هذه المدة التي بقيت من عمره الشريف التي تبلغ ست سنوات تحمل ما تحمل، وتكبد ما تكبد من عناء من الدولة العباسية، ومن أسياد خلفائها، أي الأتراك الذين عملوا جهد إمكانهم على إلحاق الأذى، والضرر بالإمام عليه السلام بأي صورة كانت، وبأي شكل كان ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً[٣].

وعليه فإنه عليه السلام منذ أول لحظة فتح فيها عينيه، وصافحهما فيها نور الحياة، بادر إلى أن يمشي على خط آبائه عليهم السلام، وجده الرسول صلى الله عليه وآله، ويسير على خطاهم حتى في حياة أبيه الإمام الهادي عليه السلام، ولكن كل ما في الأمر أن الإمام المعصوم مع وجود الإمام الذي سبقه عليهم السلام، وفي حياته فإن إمامته تكون محجوبة حتى ينتقل سلفه إلى الرفيق الأعلى، حيث تنتقل إليه أعباء الإمامة حينئذٍ كاملة، ويرفع الحجب عنها، فيمارس

(١) الوائلي، أحمد، المصدر السابق، ص٢٥٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٥٦.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٥٧.

دوره ومهامه، ووظيفته الدينية على وفق المنهج الذي رسمته السماء لهذه الإمامة التي أرادت لها أن تكون امتداداً لخط النبوة، ومكملة له على يديه الشريفتين على أيدي آبائه عليهم السلام.(١)

ثانياً: النص على إمامته عليه السلام.

ورد النص على إمامة الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام ضمن ما ورد من الروايات الكثيرة في النص على الأئمة الاثني عشر صريحة بأسمائهم وغير صريحة، من قبل الرسول صلى الله عليه وآله وعترته الطاهرة، وقد أثرت عن الإمام علي الهادي عليه السلام في النص على إمامة الحسن العسكري عليه السلام بصورة مستقلة عدة أخبار منها(٢):

١. عن أبي بكر الفهفكي أنه قال: كتب إليّ أبو الحسن عليه السلام: «أبو محمد ابني أنصح آل محمد غريزة وأوثقهم حجة، وهو الأكبر من ولدي وهو الخلف واليه ينتهي عُرى الإمامة وأحكامها، فما كنت سائلي فسله عنه، فعنده».(٣)

٢. أن يأتي جماعة إلى الإمام عليه السلام مثلاً، فيسألونه عن خليفته أو الإمام الذي يكون بعده، فيجيبهم الإمام عليه السلام بأن ينص على خلفه، فيقول لهم مثلاً: إنّ الإمامة من بعدي لابني فلان. وهذا ما حصل مع الإمام الهادي عليه السلام حينما حضرته الوفاة، حيث دخل عليهم جماعة من أصحابه فيهم علي بن مهزيار، فقال له: إن كان كون ـ وأعوذ بالله ـ فإلى من، فقال عليه السلام: «عهدي إلى الأكبر من ولدي» يعني الحسن عليه السلام.(٤)

بناءً على ما تقدم من النصوص الشريفة فهم المسلمون ـ وتأكد لدى الخاصة من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام والعامة من المسلمين ـ أنّ الإمامة من بعده في ولده

(١) الوائلي، أحمد، سيرة أهل البيت عليهم السلام، ص٢٥٧.

(٢) الحداد، عبد السادة محمد، المصدر السابق، ص٣٩.

(٣) خلصان، مالك مهدي، المصدر السابق، ص٢١.

(٤) الوائلي، أحمد، المصدر السابق، ص٢٥٨.

الحسن عليه السلام، لذلك أقبل الناس عليه واعترفوا له بالإمامة عملاً بتلك النصوص الشريفة، وإقناعاً بما امتاز به الإمام الحسن العسكري عليه السلام من علم وخلق وتقوى.[١]

ثالثاً: الأحداث السياسية خلال إمامة الحسن العسكري عليه السلام.

توطئة.

تولّى الإمام الحسن العسكري عليه السلام الإمامة، وهو الإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام بعد وفاة أبيه الهادي عليه السلام عام ٢٥٤هـ[٢]، يكون عمره آنذاك حين تسلّمه مركز الإمامة الفعلية لمواليه والمؤمنين بقيادته اثنين وعشرين عاماً[٣]، إذ قام خلال سني إمامته بإدارة الشيعة الذين أصبح وزنهم السياسي متعاظماً في عهد الإمام موسى الكاظم عليه السلام، واعترف بهم قوة سياسية في العهود التي تلت ولاية العهد من قبل الإمام الرضا عليه السلام، وحتى غيبة الإمام المهدي عليه السلام.[٤]

عاصر الإمام العسكري عليه السلام إبان إمامته أعواماً عصيبة من الخلافة العباسية مع سلاطين مستبدين توالوا على عرش الدولة منذ أن قدم سامراء مع أبيه الإمام الهادي عليه السلام أيام المتوكل عام (٢٤٣هـ)[٥]، إذ واكب في عصر إمامته عليه السلام عاماً واحداً من أيام المعتز، ثم المهتدي حتى ثار عليه الأتراك، وقتلوه عام ٢٥٦هـ، ثم واكب من أيام المعتمد حوالي أربعة أعوام حيث توفي عليه السلام عام ٢٦٠هـ. على حين استمر المعتمد في الحكم إلى عام ٢٧٩هـ، فخرج من سامراء وقتل، وبذلك انتهت هذه البلدة عن

---

(١) الحداد، عبد السادة محمد، المصدر السابق، ص٤٠.

(٢) الكرخي، نبيل محمد حسن، الوجود الشيعي في سامراء عبر التاريخ، ص٥.

(٣) الصدر، محمد، تاريخ الغيبة الصغرى، ص١٧٣.

(٤) المدرسي، محمد تقي، الإمام العسكري قدوة وأسوة، ص٢٧.

(٥) مركز نون للتأليف والترجمة، بحوث في الحياة السياسية لأهل البيت عليهم السلام، ص٣١٢.

كونها عاصمة للخلافة العباسية، وعادت الخلافة إلى بغداد.[١]

وفي عصر الإمام الحسن العسكري عليه السلام جدت ظروف وملابسات، ضعفت معها السلطة العباسية إلى درجة سيطرة الموالي والأتراك على مقاليد الحكم، وكان من المتوقع، وفي هذا الجو من ضعف السلطة، أن يخف الضغط والإرهاب على الإمام وأصحابه، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث، بل ازدادت موجة الضغط والإرهاب، وبلغت أوجها على يد الخليفة المعتمد؛ لأن الخوف والتوجس من نشاط الإمام العسكري وتحركاته لم يكن ليقتصر على الخليفة وحده، بل أن هذه تمثلت في خط اجتماعي عام، لم يكن الخليفة إلا أحد أفراده.[٢]

فكان هذا الخط الاجتماعي العام، يقف دوماً ضد خط الإمام العسكري عليه السلام وأطروحته الفكرية، والسياسية، والمتميزة والمتناقضة مع أطروحة الحاكم المتمثل في هذا الخط الاجتماعي العام، والطبقة المستأثرة المنحرفة، ومن هنا كان الصراع الدائم بين الخطين المتناقضين، ومحاولات الحاكم لعزل أطروحة الإمام العسكري عليه السلام وقيادته على المسرح الاجتماعي، والسياسي، ومحاسبته على كل بادرة، أو نشاط، أو تحرك حتى لو كانت وشاية تافهة أو خبر صغير عن نشاط الإمام عليه السلام، وقد حبسه المتوكل ولم يذكر سبب ذلك، ولا شك أن سببه العداوة، والحسد، وقبول وشاية الواشين كما جرى لآبائه مع المتوكل من التشريد، والحبس، والقتل، وأنواع الأذى.[٣]

(١) الصدر، محمد، المصدر السابق، ص١٣٧-١٧٤.

(٢) الأديب، عادل، الأئمة الاثنا عشر (دراسة تحليلية)، ص٢٣٥.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٣٥.

رابعاً: موقف الإمام الحسن العسكري عليه السلام تجاه الاحداث العامة.

إذا نظرنا إلى موقف الإمام العسكري عليه السلام وأعماله نجدها امتداداً طبيعياً لمواقف وأعمال والده عليه السلام، ولدى مقارنة بعضها ببعض، ومعرفة أنها تستقي من معين واحد وتتجه اتجاهاً متشابهاً، فضلاً عن تخطيطه وتمهيده لغيبة ولده الحجة ابن الحسن عليه السلام[١].

الموقف الأول: موقفه من خلفاء عصره.

كانت السياسة العباسية تجاه الأئمة عليهم السلام تلك السياسة التي سنها المأمون تجاه الإمام الجواد وطبقها المتوكل تجاه الإمام الهادي عليه السلام، وهي ربط الإمام بالبلاط ودمجه بالحاشية توصلاً إلى دوام مراقبته، ودقة الإطلاع على أمره وفصله عن قواعده الشعبية الموالية له ... كانت هذه السياسة سارية المفعول تجاه الإمام العسكري عليه السلام، فكان كوالده عليه السلام محجوزاً في سامراء مسؤولاً عن الذهاب إلى بلاط الخلافة كل اثنين وخميس.[٢]

إلا أنّ علاقته بالخلفاء كانت باحتراس وحذر مضاعفين، وكانت خالية من الضجيج الذي كان يثار حول والده عليه السلام بل كانت تقام بشكل روتيني رتيب تمسكاً بتلك السياسة العامة من دون أن ينقل خبر في التاريخ عن تفاصيل العلاقات بينه، وبين كل واحد من خلفاء عصره، وإنّما اقتصر التاريخ على نقل تنبؤات الإمام العسكري عليه السلام، بموت من مات في عصره من الخلفاء، وهم اثنان: المعتز والمهتدي[٣].

أما بالنسبة إلى المعتز، فنجد الإمام العسكري عليه السلام يكتب إلى أحد أصحابه قبل موت المعتز بنحو من عشرين يوماً: «إلزم بيتك حتى يحدث الحادث»[٤] فيتخيل

(١) الأديب، عادل، المصدر السابق، ص٢٣٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٣٦.

(٣) الصدر، محمد، المصدر السابق، ص١٧٧.

(٤) المصدر نفسه، ص١٧٠.

الرجل أن المراد الإشارة إلى حادث آخر، فلما قتل بريحة كتب: قد حدث الحادث فما تأمر لي. فكتب الإمام العسكري عليه السلام إليه: «ليس هذا الحادث، الحادث الآخر»، فكان من المعتز ما كان[١]، وكلنا يعرف ما الذي كان من مقتل المعتز عام ٢٥٥هـ بيد الأتراك على أساس ضيق يده على دفع الرواتب والأرزاق، وبخل أمه عن إمداده بالمال.[٢]

ولاحظ معي هنا قول الراوي: فكان من المعتز ما كان، بما فيه من تعمد الإغماض وبعد الإشارة إلى مقتل المعتز وأنّ تعبير الإمام العسكري عليه السلام عن ذلك أشد غموضاً. ومثله في الغموض تنبؤه الآخر بقتل المعتز، حيث يروى أن المعتز أمر سعيداً الحاجب بقتل الإمام بعيداً عن عيون الناس، قائلاً له: أخرج أبا محمد إلى الكوفة، ثم اضرب عنقه في الطريق، قال الراوي: فجاء توقيعه عليه السلام إلينا ـ يعني إلى أصحابه: «الذي سمعتموه تكفونه»، فخلع المعتز بعد ثلاث وقتل[٣].

ولا يخفى ما في هذه العبارة الغامضة تجاه الجهاز الحاكم من وضوح تجاه أصحابه عليه السلام، ورفع لمعنوياتهم، أن يعلموا أن إمامهم، وقائدهم المهدد سيبقى على قيد الحياة، وأن الذي هدده هو الذي سيبوء بالفناء والدمار. مضافاً إلى أنها ستكون دليلاً جديداً على إيمانهم، وصدق مقاعدهم عند تحقق النبوءة فتزيدهم قوة في العمل وتحملاً للتضحية في سبيل الحق.[٤]

– أما بالنسبة إلى المهتدي العباسي، فما قد يلحظه التاريخ من كونه متحنثاً متديناً يتشبه بعمر بن عبد العزيز، وكان يواصل الصيام، وكان يركع ويسجد إلى أن يدركه

(١) الخزعلي، أبو القاسم، موسوعة الإمام العسكري عليه السلام، ج٢، ص١٣١.

(٢) الصدر، محمد، المصدر السابق، ص١٧٨.

(٣) المصدر نفسه، ص١٧٨.

(٤) المصدر نفسه، ص١٧٨.

الصبح، وأنه بنى قبة للمظالم جلس فيها للعام، والخاص، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر وحرم الشراب، ونهى عن القيان، وأظهر العدل... هذا وأن كان تقدماً نحو الحق بالنسبة إلى أسلافه، وتخلصاً من كثير من العثرات، والانحرافات التي وقعوا فيها، إلا أنه على أي حال حق بمقدار فهمه وادراكه ... حق مبتور ناقص ... لا يمكن أن يكون هو التطبيق الصحيح للإسلام، ومن ثمّ وقف الناس منه موقف الرافض المستنكر؛ وذلك انطلاقاً من إحدى وجهتي النظر :[1]

أ- وجهة النظر الأولى يُمثلها قول المسعودي: (فثقلت وطأته على العامة والخاصة، فاستطالوا خلافته وسئموا أيامه وعملوا الحيلة عليه حتى قتلوه).

ب-وجهة النظر الثانية: هي وجهة الإمام العسكري عليه السلام الواعية لحقيقة المشكلة الأساسية في المجتمع من ناحية وللعدل الإسلامي من ناحية أخرى، فليست المشكلة الأساسية في المجتمع ما أدركه المهتدي من سوء القضاء، أو انصراف الخليفة عن مصالح الناس، أو كثرة البذخ في البلاط، أو زيادة مكتسبات القواد ورواتبهم ... فإن ذلك وإن كان ظالماً خارجاً عن حكم الإسلام ... إلا أن ذلك كله فرع الحقيقة الكبرى للمشكلة، وهو انحراف المجتمع أساساً عن العدل الإسلامي وعدم وعيه به، وعدم استعداده لتطبيقه والتضحية في سبيله، والحل لابد أن ينطلق من محاولة إيجاد الوعي، وتثقيف الناس حتى يخضعوا للحكم العادل.

وأن العدل الإسلامي ليس هو ما يقضي به المهتدي، فإنه على أية حال ليس جامعاً لشرائط القاضي العادل في الإسلام، وبالنتيجة فإن هذا الرجل ثمرة لحظ طويل، منحرف ـ في نظر الإمام العسكري عليه السلام ـ وغاصب للحق الأولي الذي يؤمن به الإمام لنفسه ولآبائه، ومن ثم لم تكن سيرة المهتدي لتشفع تجاه الإمام بحيث يخرج

(١) الصدر، محمد، المصدر السابق، ص١٧٨-١٨٠.

بهذا الرجل عن كونه ظالماً إلى كونه عادلاً[١].

زاد على ذلك أن هذا الرجل يدعي العدل، قد مارس سجن الإمام العسكري عليه السلام، إذن فهو ـ على ما هو عليه ـ ممثل للخط التقليدي للدولة العباسية تجاه الإمام عليه السلام.

وقد صرح الإمام العسكري عليه السلام في سجنه لأحد أصحابه المسجونين معه، قائلاً: «في هذه الليلة يبتر الله عمره»، قال الراوي: (فلما أصبحنا شغب الأتراك وقتل المهتدي وولي المعتمد مكانه).[٢]

– أما موقف المعتمد تجاه الإمام العسكري عليه السلام، فكان غريباً لم يسبق لأحد من أسلافه أن قام به، وهو موقف التذلل للإمام، والتضرع إليه.[٣]

فإنه كان يكفي هذا الرجل أدنى تفكير ... ليتوصل إلى الشك في بقائه في الخلافة يوماً أو بعض يوم فضلاً عن العام والأعوام، إذ يكفي أن يستعرض آجال أسلافه من الخلفاء وكيف كتبها الموالي، والأتراك بسيوفهم وآرائهم؛ ليدرك ضعف موقف الخلافة بشكل عام لا في السيطرة على الحكم فقط، بل في السيطرة على الخلافة نفسها.

إذن فهو بصفته سائراً في هذا الخط، فلن يكون أحسن حالاً من أسلافه، بل قد يكون ـ في نظره ـ أسوأ حالاً باعتبار كونه مغلوباً على أمره مسلوباً عن التعرف بالكلية، على حين كانوا أقوى منه وأكثر حرية وأنفذ حكماً.[٤]

ولذا فقد وجد أقرب طريق لدفع الشر المستطير عن نفسه وضمان طول عمره

(١) الصدر، محمد، المصدر السابق، ص١٨٠.

(٢) المصدر نفسه، ص١٨٠.

(٣) المصدر نفسه، ص١٨٢.

(٤) المصدر نفسه، ص١٨٢.

وامتداد حكمه، ولا زال في أول أعوام خلافته، هو أن يقصد الإمام العسكري عليه السلام في داره ويتضرع إليه ويسأله أن يدعو له بالبقاء عشرين سنة في الخلافة، فيجيبه الإمام العسكري عليه السلام قائلاً: مد الله في عمرك[١].

وأمّا موقف الإمام العسكري عليه السلام في استجابته لطلب المعتمد في الدعاء له فقد كان واضحاً كل الوضوح، وهو أن الإمام عليه السلام لم يرد إعلان التمرد والخلاف على الدولة للذي عرفناه من سياسته وسياسة أبيه عليهما السلام، وكان رفضه لطلب الخليفة بالدعاء له تجسيداً لموقف التمرد والخلاف على الدولة، وهو ما لا يريده الإمام عليه السلام. زاد على ذلك أراد الإمام العسكري عليه السلام إثبات الحجة على هذا الرجل، وعلى غيره ممن يعرف الواقعة، أنه قد أستجيب دعاؤه عليه السلام، وقد استمرت مدة حكمه بالفعل عشرين سنة فيتأكد بذلك عدالة قضية الإمام، وانحراف الخط الحاكم[٢].

وعلى الرغم كل ذلك لم يتوان المعتمد عن اعتقال الإمام العسكري عليه السلام عدة مرات، فقد روي أنه سلم إلى نحرير وكان يضيق عليه ويؤذيه، مثلما حبس عند علي بن جرين عام ٢٦٠هـ، وكان المعتمد يسأل علياً عن أخباره في كل مكان ووقت، فيخبره أنه يصوم النهار ويصلي الليل.[٣]

ولقد شدد المعتمد على حصار الإمام العسكري عليه السلام واعتقاله؛ لأنه يعلم أنه الإمام الحادي عشر، وأنّ ما بعدهُ هو آخر أئمة أهل البيت عليهم السلام الذي يقضي على دعائم الظلم، والجور، ويطيح بدولة الظالمين وينشر العدل والقسط؛ ولهذا أراد أن يطفئ النور الثاني عشر، ولكن الله أبى إلا أن يتم نوره.[٤]

---

(١) الصدر، محمد، المصدر السابق، ص١٨٢.

(٢) المصدر نفسه، ص١٨٤.

(٣) الكعبي، علي موسى، المصدر السابق، ص٩٠.

(٤) المصدر نفسه، ص٩٢.

- الثورات الداخلية:

كان من الطبيعي أن تنطلق الشعوب الإسلامية في مسيرتها النضالية، وترفع علم الثورة ضد الحكم العباسي الذي استأثر بمقدراتها الاقتصادية، وقد حدثت ثورات محلية متعددة كان باعثها التخلص من الاستبداد، والظلم، والجور، زد على ذلك هي دليل مهم على عدم الاستقرار السياسي، واضطراب الأمن في ذلك العصر ونذكر منها :[١]

١. ثورة الشهيد يحيى بن عمر الطالبي.

٢. ثورة الزنج.

٣. ثورة الشام.

سنتعرض هنا إلى ثورة الزنج بالتفصيل؛ لأنّها من أهم الثورات الداخلية التي واجهها الحكم العباسي، وكذلك نجد فيها موقفاً للإمام الحسن العسكري عليه السلام.

- ثورة الزنج من أهم الثورات المحلية التي حيرت الحكم العباسي في ذلك العصر، وقد تزعمها علي بن عبد الرحيم من بني عبد القيس، وقد ادعى أنه علوي ينتهي نسبه إلى الشهيد الخالد زيد بن علي بن الحسين عليه السلام، وذلك لتلتف حوله الجماهير، وتؤيد ثورته، فإن الانتماء إلى هذه الأسرة الكريمة التي تبنت القضايا المصيرية للعالم الإسلامي، وأصبحت رمزاً للثورة والتمرد على الظلم، والطغيان يعطي دعماً كبيراً لنجاح الثورة.[٢]

وقد تلخص موقف صاحب الزنج من الدولة العباسية في ثلاثة أمور، فهي :[٣]

---

(١) القرشي، باقر شريف، المصدر السابق، ص٢١٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٢١٧.

(٣) الصدر، محمد، المصدر السابق، ص١٨٩.

١. خروجه على الدولة العباسية وخلافتها.

٢. ادعاؤه الانتساب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، إذ زعم أنّه علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي.

٣. خروجه على القانون الاجتماعي السائد بما فيه تعاليم الإسلامي نفسه من قتله الرجال، وسلبه الأموال، وإحراقه المدن وسبيه النساء، كل ذلك بالجملة ومن دون حساب وبآلاف الأعداد[١].

فما هو موقف الإمام الحسن العسكري عليه السلام من صاحب الزنج؟

تجلى موقف الإمام العسكري عليه السلام من صاحب الزنج بالاستنكار والرفض التام القاطع لكل تلك الأعمال على أساس منافاتها الفاضحة لعدالة الدين وتعاليم سيد المرسلين تلك التعاليم التي يمثل الإمام عليه السلام قمتها العليا في نظره على الأقل.[٢]

والأمر الآخر الذي وردنا عن الإمام العسكري عليه السلام بخصوص تلك الثورة، نفيه فإنه بصفته أعظم فرد في عصره من الذرية العلوية، ويكون هو المسؤول عن إيضاح صحة نسبة هذا المدعي وبطلانه، ولا سيما بعد أن توجه السؤال إليه في ذلك فأجاب قائلاً ـ ضمن كلام له: وصاحب الزنج ليس منا أهل البيت.[٣]

ولم يسأل الإمام العسكري عليه السلام عن التفاصيل السياسية لثورة الزنج؛ لعدم تحمله مسؤولية بيانها باعتباره ليس حاكماً ولا في طريق الحكم، زد على ذلك رغبة الإمام عليه السلام في عدم بيان آرائه السياسية.[٤]

---

(١) الأديب، عادل، المصدر السابق، ص٢٣٨.

(٢) الصدر، محمد، المصدر السابق، ص٩٠.

(٣) المصدر نفسه، ص١٩٠.

(٤) المصدر نفسه، ص١٩١.

ولابد من الإشارة إلى أن هنالك فائدة أخرى قد يناها الإمام العسكري عليه السلام وأصحابه من وراء حركة صاحب الزنج، فهي في نظرهم وإن كانت واقعاً مؤسفاً غير أنّها حقيقة واقعة يمكن استغلالها؛ لأن الدولة لم تكن من القوة بحيث يمكنها أن تحارب في جبهتين، وأن تعطي لكل جبهة ثقلها المطلوب(١).

رابعاً: تمهيد الإمام الحسن العسكري عليه السلام لغيبة ولده المهدي عليه السلام.

إنّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام حين يعلم بكل وضوح تعلق الإرادة الإلهية الأزلية بغيبة ولده لأجل أن يكون مذخوراً لإقامة دولة الحق، وتطبيق العدل الإسلامي على الإنسانية(٢).

والغيبة التي يجد الإمام العسكري عليه السلام نفسه مسؤولاً عن التخطيط لها، حادثة قلّ نظيرها في تاريخ البشرية ويحتوي إلى حد كبير على عنصر غيبي، خارج عن حدود المحسوس والمعتاد من الحياة، فإن عنصر اختفاء المهدي عليه السلام وإنْ أمكن تفسيره تفسيراً طبيعياً، إلا أن طول عمره متمحض بالإرادة الإلهية الخاصة، وبالعامل الروحي النازل من فوق الكون المنظور... لأجل حفظ مصلحة الإسلام العليا، وإنجاز يوم الله الموعود(٣).

إذن فتكون الغيبة التي يمهد لها الإمام العسكري عليه السلام أمراً غريباً على الأذهان بعيداً عن الطباع، ويحتاج إلى تكرار، وتفهيم وجهد مضاعف كبير(٤).

كانت الإرهاصات المسبقة والتبليغات المتوالية عن المهدي متواترة عن النبي صلى الله عليه وآله، ومتتابعة، ومتواترة عن الأئمة عليهم السلام يرثها أصحابهم جيلاً بعد جيل

(١) الصدر، محمد، المصدر السابق، ص١٩١.

(٢) المصدر نفسه، ص٢١٢-٢١٣.

(٣) المصدر نفسه، ص٢١٤.

(٤) المصدر نفسه، ص٢١٤.

حتى أصبحت من ضروريات المذهب، بل من قطعيات الإسلام، إذ كان لكل هذه التبليغات أثرها الكبير في ترسيخ فكرة المهدي في نفوس المسلمين بشكل عام[١].

وإنما الأمر الكبير الذي يتحمل الإمام العسكري عليه السلام مسؤوليته، بصفته والداً مباشراً للمهدي عليه السلام ... وهو فكره التطبيق وأنّهم قد أظلهم زمان الغيبة، وأوشكت على الوجود والتنفيذ، وهو أمر صعب بالنسبة إلى الفرد العادي أستطيع أن أسميه بـ (الصدمة الإيمانية)، ومن ثمّ كان على الإمام العسكري عليه السلام أن يبذل جهداً اجتماعياً مضاعفاً لتخفيف هذه الصدمة وتذليلها، وتهيئة الذهنية العامة لتقبل الفكرة الجديدة، وتعويد أصحابه على الالتزام بما تتطلبه الغيبة من أنحاء من السلوك والعقيدة، ولا سيما وهو يريد تربية جيل واعٍ، متحمل للمسؤولية تجاه ذلك ليكون هو البذرة الأساسية لتربية الآجيال الآتية[٢].

فإذا عطفنا على ذلك ما عرفناه من ظروف الإمام العسكري عليه السلام وأصحابه، والمعاناة الصعبة التي كانوا يعيشونها من قبل الدولة، وأخذنا بنظر الاعتبار أن فكرة المهدي ـ وهي الفكرة الإصلاحية الثورية الكبرى ـ تعتبر في منطق الحكام أمراً مخوفاً يهدد كيانهم ويقض مضاجعهم، ويعدّ التصريح بها والدعوة إليها خروجاً على قانونهم وتمرداً على أساس دولتهم على حين كان الإمام العسكري عليه السلام قد أخذ سياسة السلبية، والمسالمة مع الدولة، وعدم مصارحتها بالخلاف[٣].

من كل ذلك نستطيع أن نتميز بكل وضوح دقة مهمة الإمام وصعوبة موقفه في التوفيق بين سلبيته تجاه الدولة، وبين إيضاح فكرة المهدي للأجيال، ومن ثم سار الإمام على خطط معين، توصل به إلى كلا الغرضين وحقق كلا الهدفين، ونستطيع

---

(١) الأديب، عادل، المصدر السابق، ص٢٤٢.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٤٣.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٤٣.

أن نقسم نشاط الإمام العسكري عليه السلام حول ذلك على قسمين، أولهما: نشاطه بلحظة ولادة المهدي عليه السلام وتربيته وحياته وحجبه عن أعين الناس مع إظهاره لبعض خاصته ونحو ذلك، وثانيهما: بيانه لفكرة الغيبة وإفهام الناس تكليفهم ومسؤوليتهم الإسلامية تجاهها، وتطبيعهم على متطلباتها[١].

خامساً: شهادته عليه السلام الأليمة.

انتهت قصة صراع الإمام العسكري عليه السلام مع خلفاء بني العباس بشهادته مسموماً في الثامن ربيع الأول سنة ٢٦٠هـ، على المشهور من الأقوال في وفاته، وهو في الثامنة والعشرين أو التاسعة والعشرين من عمره الشريف، ليبدأ بعد هذا التاريخ فصلاً جديداً من المأساة الكبرى على المعتمد وجهازه الحاكم لمّا تزل آثاره باقية ولن تزول إلى أن يأذن الله بفرج وليه القائم المؤمل، والعدل المنتظر عليه السلام ليملأها قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً[٢].

(١) الأديب، عادل، المصدر السابق، ص٢٤٣-٢٤٤.

(٢) الكعبي، علي موسى، المصدر السابق، ص٩٢.

الخاتمة:

توصل الباحث إلى عدة نتائج:

١. عاصر الإمام العسكري عليه السلام أعواماً عصيبة من الخلافة العباسية مع سلاطين مستبدين توالوا على عرش الدولة منذ أن قدم سامراء مع أبيه الإمام الهادي عليه السلام أيام المتوكل عام (٢٤٣هـ).

٢. النفوذ الذي تمتع به الأتراك الذين غلبوا الخلفاء في سلب زمام إدارة الدولة، وما اتصفوا به من سلوك شائن في التعامل مع الأهالي، وقد اضطر سابقاً المعتصم لنقل عاصمة الخلافة من بغداد إلى سامراء بسبب سلوك الأتراك السيء وشكاية أهالي بغداد منهم فضلاً عن قدرة الأتراك التي تمثلت في خلع، وتعيين الخلفاء.

٣. تدهور الوضع السياسي للدولة العباسية، حيث تَمَّ استيلاء الموالي والذين كان أغلبهم من الأتراك، وسيطرتهم على مقاليد السلطة في العاصمة، والأمصار.

٤. اللهو والمجون، وحياة الترف التي كان يحياها الحاكم وأتباعه.

٥. إتساع دائرة حوادث الشغب، والفتن التي حدثت في بغداد.

٦. نشوء الحركات الانفصالية في أطراف الدولة التي يعود سببها إلى ضعف سلطان الخليفة، وكثرة حوادث الخروج على الدولة.

٧. تعرض غالبية المسلمين للذل وهوانهم.

٨. تعطيل أحكام الله.

المصادر:

١. الأديب، عادل، الأئمة الاثنا عشر (دراسة تحليلية)، ط٣، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٥.

٢. الاستشهاردي، محمد محمدي، سيرة المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام، هاشم الصالحي، مؤسسة البلاغ، لبنان، ٢٠٠٨.

٣. آيت اللهي، سيد مهدي، الإمام الحسن العسكري، كمال السيد، مؤسسة أنصاريان، إيران، د.ت.

٤. الحداد، عبد السادة محمد، الإمام الحسن العسكري ورواياته الفقهيّة (دراسات في دلالات المتون)، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء المقدسة، ٢٠١٥.

٥. الخزعلي، أبو القاسم، موسوعة الإمام العسكري عليه السلام، مؤسسة ولي العصر للدراسات الإسلامية، د.م، د.ت.

٦. خلصان، مالك مهدي، شخصية الإمام الحسن العسكري عليه السلام، مؤسسة لؤلوة للطباعة والنشر، د.م، ٢٠١٧م.

٧. الشيرازي، محمد حسين، من كلمات الإمام الحسن العسكري عليه السلام، هيئة محمد الأمين صلى الله عليه وآله، بيروت، ٢٠٠٠م.

٨. الصدر، محمد، تاريخ الغيبة الصغرى، دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١١.

٩. القريشي، باقر شريف، حياة الإمام العسكري عليه السلام (دراسة وتحليل)، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.

١٠. القزويني، محمد كاظم، الإمام الحسن العسكري عليه السلام من المهد إلى اللحد، إيران،

١٤١٢هـ.

١١. الكرخي، نبيل محمد حسن، الوجود الشيعي في سامراء عبر التاريخ، د.م، ٢٠١٥.

١٢. الكعبي، علي موسى، الإمام الحسن العسكري عليه السلام سيره وتاريخ، مركز الرسالة، سلسله المعارف الإسلامية (٣٦)، ٢٠٠٥م.

١٣. المدرسي، محمد تقي، الإمام العسكري قدوة وأُسوة، ط٢، مركز العصر للثقافة والنشر، لبنان، ٢٠١٠.

١٤. مركز نون للتأليف والترجمة، بحوث في الحياة السياسية لأهل البيت عليهم السلام، جمعية المعارف الإسلامية، بيروت، ٢٠١١.

١٥. الوائلي، أحمد، سيرة أهل البيت عليهم السلام، مصطفى آل مرهون، منشورات دار المصطفى لإحياء التراث، لبنان، ٢٠١٠م.

البحث الرابـع

البُعد العقائدي في

فكر الإمام الحسن العسكري عليه السلام

أ.د. سلمان باقر الخفاجي

العراق ـ النجف الأشرف

المقدمة

الرسالة الإسلامية رسالة كونية وجودية مثلت امتداداً لرسالات السماء الأولى والمصطفى صلى الله عليه وآله مكمل لرسالات الأنبياء والرسل الماضين، ولكنه خاتمهم ورسالته خاتمة الرسالات، فلتحقيق الديمومة لها إلى نهاية الخليقة تستوجب أن يحملها رجال لهم كمالات النبي صلى الله عليه وآله إلا النبوة، فهم حجج على الخلق (الثقلين) أئمة هدى وحق، فلا مراء في ذلك.

وخلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله الأئمة الأطهار عليهم السلام هم الامتداد الطبيعي للنبوة وهم حملة مسؤولية الديمومة التامة، والصادقة للرسالة وحفظها من الزيغ والأهواء، وصيانتها من أعاصير التشويه، والتحريف، والتضليل، ولقد جاء في الذكر الحكيم مخاطباً النبي إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿**وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾[1].

والإمام الحسن العسكري عليه السلام هو الامتداد الحادي عشر لهؤلاء الأبرار الذين حملوا الرسالة هماً وجهاداً، واجتهاداً ليؤدوا الأمانة لله سبحانه الذي ائتمنهم عليها، فهو الصابر المجاهد، الحليم الحكيم بمجابهة الضلال والانحراف، حمل هموم الأمة وأعباء الرسالة التي تمثلت بالتركة الثقيلة الهائلة، والتراكمات الشديدة من التحريف والتشويه للعقيدة الإسلامية الحقّة، والترويج للأفكار والنظريات التي تخدم السلاطين وتهدم الدين من حيث انقلبت الأمة على أعقابها بمحكم الآية المباركة: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ**

(١) سورة البقرة، الآية ١٢٤.

﴿إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَائِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾(١).

ووقف الإمام العسكري مع أبيه الهادي عليهما السلام وقفة صلبة شجاعة وجهاً لوجه من قادة الضلال، ودعاة حرب الدين الحنيف مع جموح شَرِّ الأتراك الذين أرادوا للأمة السقوط، والخذلان للحق وأهله، والمنهج الذي اعتمده الأئمة الأطهار عليهم السلام هو التركيز على بناء الجماعة الصالحة اليقينية العقيدة لتحفظ أصول الدين ولئلا يتعرض كما تعرضت الديانات السالفة للتحريف التام، ولم يبق منها إلا اللّمم يساندهم في ذلك الوعد الحق من رب العزة جل شأنه بأن يحفظ القرآن المجيد من التحريف، والزيادة والنقص بقوله تعالى: **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾**(٢).

فإنهم صلوات الله وسلامه عليهم حققوا بجهودهم، وجهادهم حفظ العقائد الحقة وتثبيت جذورها نصاً ومصداقاً وعملاً، فالإمام العسكري عليه السلام حقق هذه الحقيقة بأصدق صورها وحالاتها فهو أينما حلَّ في الحياة العامة بين أبناء أمته أمام السلطان ودعاة الضلال لا تأخذه في الله لومة لائم، مهمته الأهم والأصدق هي تهيئة عقيدة الأمة للاعتقاد بالإمام الثاني عشر الخلف الصالح وتعبئة استعدادهم للانتظار لغيبته المباركة التي اقتضت ديمومة الرسالة الإسلامية الحنيفة؛ لئلا تخلو الأرض من حجة لله تعالى على خلقه، وقد أكدها الإمام عليه السلام بقوله لأحمد بن إسحاق: «يا أحمد بن إسحاق، إن الله تبارك وتعالى لم يخل الأرض منذ خلق آدم، ولا يخليها إلى أن تقوم الساعة من حجة على خلقه، به يدفع البلاء عن أهل الأرض، وبه يُنزِلُ الغيث وبه يخرج بركات الأرض»(٣).

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٤٤.

(٢) سورة الحجر، الآية ٩.

(٣) الشيخ الصدوق، ابن بابويه القمي، إكمال الدين، ص٢١٦، ٢١٧.

هذه الحقيقة أملت علينا واجباً شرعياً هو التصدي لهذه القضية المقدسة (العقائد في فكر الإمام العسكري عليه السلام) ليتحقق لنا الأمر، هل أنّ الإمام عليه السلام بلغ غاية هذه القضية فتمكن من بناء عقيدة جلية يقينية في وجدان شيعته؟ وليس هذا فحسب بل، هل أنه عليه السلام مكّن أتباعه من حمل هذه العقيدة يقيناً وتصديقاً، فكراً وعملاً؟ عقيدة الإيمان بالإمام محمد بن الحسن المهدي المنتظر (عليه الصلاة والسلام)، وذلك يظهر جلياً في رسالته إلى الفقيه علي بن الحسين، بقوله عليه السلام: «وعليك بالصبر وانتظار الفرج فإن النبي صلى الله عليه وآله، قال: أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج، ولا تزال شيعتنا في حزن حتى يظهر ولدي الذي بشّرَ به النبي صلى الله عليه وآله، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئَتْ ظلماً وجوراً»[1]، وما هذه الجماعة الكريمة المباركة الكبيرة التي ملأت أركان الأرض، وتجلّى صوتها أعلى من أصوات الضلال إلا أجلى مصداق لما حققه الإمام العسكري عليه السلام من عقائدية رسالة آبائه وأجداده.

وعلى هذا جاء هذا البحث المتواضع، فترتب في محاور ثلاثة:

- **المحور الأول**: من هو الإمام العسكري؟

- **المحور الثاني**: العقيدة، مفهومها اللغوي والاصطلاحي، البيئة العقائدية التي عاشها الإمام، والفرق العقائدية والفكرية التي سادت آنذاك، وكم كان أثر الإمام عليه السلام فيها؟

- **المحور الثالث**: بحث في الأبعاد العقائدية في فكر الإمام، من حيث: دعائه عليه السلام، رسائله، ودرره، وبدائعه الحِكمية، ثم العقيدة المهدويّة.

وكانت للبحث خاتمة أوجزت نتائجه التي تمخض عنها، ثم ختم البحث بفهرست للمصادر، وقد صدر هذا البحث عن عقلٍ قاصرٍ فقد تكتنفه الهفوات والهنات، وهي سنة في خلق الله تعالى نعتذر لمشايخنا وأساتذتنا الباحثين آملين

(١) الخوانساري، محمد باقر الموسوي، روضات الجنات، ج٤، ص٢٧٣، ٢٧٤.

التصويب، وجعله لدراسة هذه القضية الخطيرة في الفكر الإنساني وهي (العقائد) وما تكتنفها من التحولات والمتغيرات تبعاً للطبيعة الإنسانية المتجددة والنزوع نحو الكمال لكل إنسان ضالته الحقيقة، آملين القبول من المولى تعالى شأنه والمباركة من المصطفى المختار، والأئمة الأطهار (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) وسبحان ربك ربِّ العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله ربِّ العالمين.

المحور الأول: مَنْ هو الإمام الحسن العسكري عليه السلام؟

١ - اسمه ونسبه:

هو الحسن بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي السجاد بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

وهم من شرّفهم الله تعالى بشهادة: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[١].

أمه: هي سليل، وقد وردت فيها شهادة عن الإمام الهادي عليه السلام، وهو زوجها: «سليل مسلولة من الآفات والأرجاس والأنجاس»[٢]، وهي أم ولد نُوبية[٣]، ووردت روايات في أسماء أخرى لها منها: سوسن[٤]، حديث[٥]، وحريبة[٦].

ولادته: ولد الحسن العسكري عليه السلام في المدينة المنورة[٧]، وقيل: في سامراء، والراجح عندنا أن ولادته كانت في المدينة المنورة مع اختلاف روايات زمان الولادة،

---

(١) سورة الأحزاب، الآية٣٣.

(٢) الأمين العاملي، محسن، أعيان الشيعة، ج٣، ص٢٨٩.

(٣) البخاري، أبو نصر سهل بن عبد الله ٣٤١هـ سر السلسلة العلوية، ص٣٩، والنوبية نسبة إلى بلاد النُوبة الواسعة العريضة في جنوب مصر وقد مدح أهلها النبي صلى الله عليه وآله بقوله: «مَنْ لم يكن له أخٌ فليتخذ أخاً من النُوبة»، وأم ولد هي التي دخل بها مولاها وولدت له ولداً، المعجم الوسيط. الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٠٩.

(٤) المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار، ج٥، ص٢٣٧.

(٥) الشيخ المفيد، الإرشاد، ج٢، ص٣١٣.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) القرماني، أحمد بن يوسف، أخبار الدول، ص١١٧. الحسيني، محمد بن أحمد، بحر الأنساب، ص٢.

فقد استُقْدِم مع والده الإمام الهادي عليه السلام من قبل المتوكل العباسي الذي تولى الحكم سنة (٢٣٢هـ)، وذلك بعد متابعة، وملاحظة الإمام من ولاته وجواسيسه، ولم يقرَّ له قرار حتى استقدم الإمام الهادي عليه السلام وكان بصحبته الإمام العسكري عليه السلام، فالمتيقن أنّه عليه السلام ولادته كانت في المدينة المنورة.

أما زمان ولادته فاختلفت الروايات فيه كذلك: فقيل: سنة (٢٣٠هـ) في شهر ربيع الأول، وقيل: (٢٣١هـ)، وقيل: (٢٣٢هـ)، وقيل: (٢٣٣هـ).

٢- نشأته:

نشأ الإمام العسكري في مدينة جده رسول الله صلى الله عليه وآله في أحضان أبيه الإمام الهادي عليه السلام في بيت أشاد به العلماء، ومنهم الشبراوي قال: «فلله درّ هذا البيت الشريف، والنسب الخضم المنيف، وناهيك به من فخار، وحسبك فيه من علوّ مقدار، فهم جميعاً في كرم الأرومة، وطيب الجرثومة، كأسنان المشط متعادلون، ولسهام المجد مقتسمون، فيا له من بيت عالي الرتبة، فلقد طاول السماء علاً ونبلاً، وسما على الفرقدين منزلة ومحلاً، واستغرق صفات الكمال، فلا يستثنى فيه بـ(غير) ولا بـ(إلّا) انتظم في المجد هؤلاء الأئمة انتظام اللآلي، وتناسقوا في الشرف فاستوى الأول والثاني، وكم اجتهد قوم في خفض منارهم والله يرفعه، وركبوا الصعب، والذلول في تشتيت شملهم والله يجمعه، وكم ضيّعوا من حقوقهم ما لا يهمله الله ولا يضيّعه»[١].

وفي هذه البيئة الكريمة المباركة، إذ الكنف الطاهر، والتربية السامية، نشأ العسكري، فتكاملت فيه الأصول السامية، والحضن الإسلامي الدافئ والتربية التكاملية التامة، فكان الإمام العسكري عليه السلام قويم السلوك نابغ العلم، ينهل من القرآن المجيد، والسنة المحمدية السامية يهتدي بهدي إمام الأمة، وسيدها الإمام

(١) الشبراوي، الإتحاف بحب الأشراف، ص٦٨.

الهادي عليه السلام يفيض عليه بمثله المقدسة ليتحقق له الامتداد المحمدي الحيدري الحسيني الأكمل. فكان مثال العقلانية، والإدراك الفكري التام، وكان جوابه لرجل أراده أن يلعب، ويلهو مع الصبية أقرانه في عمره الشريف فقال له: «خلقنا للعلم والعبادة لا للهو والعبث»، فقال له: من أين لك هذا؟ قال من قوله تعالى: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً**﴾»[١][٢].

وقد شهد له مربيه الأول الإمام الهادي عليه السلام بقوله: «أبو محمد ابني أصحُّ آل محمدٍ صلى الله عليه وآله غريزة، وأوثقهم حجةً، وهو الأكبر من ولدي وهو الخَلَفُ، وإليه تنتهي عُرى الإمامة وأحكامنا»[٣].

٣- البيئة التي نشأ فيها:

أولاً: الحياة الاجتماعية:

تقدم البيئة العائلية التي نشأ فيها العسكري عليه السلام، أما البيئة الاجتماعية الأوسع، فإنه ولد في بيئة المدينة المنورة، حيث العلاقات الاجتماعية الكريمة التي تسودها قيم السماء: من المودة المحبة، والاحترام، والتعاون، والتكافل، والمُثل القيّمة، فكان سويّاً مثالياً.

أما حياته في مدينة سامراء بعد أن استُقدِمَ من المدينة مع أبيه الإمام الهادي عليه السلام، فعاش واقعاً مريراً بفرض الإقامة الجبرية عليهم في خان الصعاليك، يعانون حصاراً اجتماعياً خانقاً، فقد حرّموا على أي أحد أن يصلهم، وحتى منعوا عليهم العطاء ومنعوا وصول الحقوق الشرعية لهم من اتباعهم، وشيعتهم إلا النزر القليل

---

(١) سورة المؤمنون، الآية١١٥.

(٢) القراغولي البغدادي، جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام، ص١٥٥؛ بطرس البستاني، دائرة المعارف، ج٧، ص٤٥.

(٣) الأمين العاملي، أعيان الشيعة، ج٤، ص٢٩٥.

الذي كان يوصله بعض باعة السمن لهم بحجب الأموال في ظروف السمن التي يتظاهرون بأنهم يبيعوها عليهم، فخرج من الحياة القاسية هذه بشخصية قوية يحصنها الصبر، والحكمة، والحنكة في التعامل مع جور السلاطين. وتحمل معاناة سجن أبيه عليه السلام، وما كان ينالهم من بطش السلطان وجوره، وللمزيد في ذلك تراجع المصادر التاريخية أدناه[١].

ثانياً: الحياة السياسية:

عاصر الإمام العسكري عليه السلام من خلفاء بني العباس: المتوكل وما عُرف عنه من انهماكه باللهو واللّذات[٢]، وكذا كان مولعاً بالجنس غارقاً فيه إلى حد أن أحد عبيده قال: أحلف بالله لو لم يقتل المتوكل لما عاش من كثرة جماعه[٣]، وكان المتوكل يتصف بالجبروت، والطغيان، والتعسّف ولا سيّما حين استتب له أمر السلطة، فقد طغى وتجبّر. وعُرِفَ عنه عداؤه للعلويين، فقد ضيّق عليهم الحصار الاقتصادي والعزل الاجتماعي[٤]، واشتُهر عنه بغضه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقام بهدم قبر الإمام الحسين عليه السلام بواسطة جماعة من اليهود، أمرهم بذلك في عام (٢٣٧هـ).

تطيّر المتوكل من مقام الإمام الهادي عليه السلام، ورفعة شأنه وحب المسلمين له واقبالهم عليه حتى حمله إلى سامراء، وفرض عليه الحصار المشدد، وكم داهم بيته ليلاً

(١) أخبار الدول، تاريخ الخلفاء، مآثر الكبراء، عيون التواريخ، مرآة الزمان، مقاتل الطالبيين، مروج الذهب وغيرها.

(٢) غير استرانج، بين الخلفاء والخلفاء، ترجمة، رشيد فرنسيس، ص١١٥؛ والثعالبي، ثمار القلوب، ص١٢٢.

(٣) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٦، ص٦٩.

(٤) للمزيد ينظر، أخبار البحتري، ص٨٩؛ أبو الفرج الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص٥٩٧، ٥٩٩. أما هدم القبر فينظر، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٦، ص١٣٦.

خوفاً مما وشت به الخاصة الضالّة بأنّ الإمام يجمع المال والسلاح للثورة عليه[١]، وفي قضية مشهورة استدعى المتوكل الإمام الهادي عليه السلام وطلب إليه أن ينشد شعراً، فحينما كان، ولابد أنشد الشعر المشهور:

باتوا على قلل الأجبـال تحرسهم غُلْبُ الرجال فما اغنتهم القُلَلُ
واستنزلوا بعد عزّ عن معاقِلهم فأودعوا حُفراً يا بئس ما نزلوا[٢]

وعاصر الإمام عليه السلام الحاكم المنتصر بعد أن انقلب على أبيه، وكان الرجل منصفاً إلى حدٍّ ما مع الإمام والعلويين، فردَّ فدكاً، ورفع الحجر عن أوقافهم، واستبدل والي المدينة صالح بن علي الذي أساء للعلويين بعلي بن الحسين بن إسماعيل، وأمره بانصاف العلويين وتوزيع الأموال عليهم[٣].

وجاء بعده المستعين عام (٢٤٨هـ)، وكان مسرفاً متلافاً، معانداً للحق، مبغضاً لأئمة الهدى عليهم السلام، وكان آلة بيد الأتراك[٣]، ومن تعسفه وجوره اعتقل الإمام العسكري عليه السلام، وكان معه في السجن عيسى بن الفتح الذي دعا له الإمام عليه السلام أنْ يرزق ولداً وأجاب عيسى عن سؤاله: هل للإمام ولد؟ فأجابه عليه السلام: «والله سيكون ولد يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، أما الآن فلا»[٤].

وخُلِعَ المستعين من الأتراك حينما خافوه على سطوتهم، وأخرجوا المعتز من السجن، وبعد صراع مسلح بين المستعين، وانتهى الأمر إلى خلع المستعين وتنصيب

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين، ج٦، ص٤٣٧.

(٢) الحلواني، نزهة الجليس، ج٢، ص١٣٨؛ وسبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص٣٦١؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج٢، ص١٦٠.

(٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٥٧؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٤٧٨.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٩٠.

(٤) القراغولي، جوهرة الكلام، ص١٥٥.

المعتز الذي قام بقتله بإيعاز من الأتراك[١].

بعد تولي (المعتز) الحكم وتحكّم الأتراك به لضعف شخصيته، أظهر حقده على الإمام عليه السلام، واعتقله وشدد عليه حينما عرف أنّ الإمام العسكري عليه السلام، هو والد الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، فاشتد عداؤه للإمام وضيق عليه فدعا عليه الإمام عليه السلام، فاستجاب الله دعوته، فخلعه الأتراك بأبشع طريقة[٢].

وجاء دور (المهتدي) بعد المعتز فناصب الإمام العداء، فأودعه السجن وكان ما كان له من محاولات قتل الإمام عليه السلام، فأنجاه الله تعالى منه، وانتقم للإمام منه بأن قتله الأتراك، وخلفه من بعده (المعتمد) الذي كان خليعاً ميّالاً للهو واللّذات، شديداً على الإمام عليه السلام فأمر باعتقاله مع أخيه جعفر عليهما السلام، وبعد أن اطلع على صلاحهما، أطلق سراحهما، فخرج الإمام عليه السلام من السجن وهو يتلو: ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾[٣]، ولكن الظالم لم يقف عند حد، ولم يغمض له جفن حتى دسَّ للإمام السم، ووفد على ربه سبحانه وتعالى[٤].

ثالثاً: العلمية والفكرية:

كانت بغداد حاضرة العلم في عصر صدر الدولة العباسية، حيث المدرسة المستنصرية والمدارس الفكرية، والعلمية الأخرى مع تعدد المذاهب والمشارب، فدخلت الترجمة ميدان المعرفة بعد توسع الدولة الإسلامية، والاختلاط بالأمم الأخرى كالرومانية، والفارسية وغيرها، فظهر المترجمون الذين أضافوا المعارف

(١) ينظر، مروج الذهب، ج٤، ص١١١ ،١١٢، وتاريخ الخلفاء، ص٣٥٨ ، ٣٥٩.

(٢) السيوطي، تأريخ الخلفاء، ص٣٦٠؛ ابن الأثير، الكامل في التأريخ، ج٥، ص٣٤٤.

(٣) سورة الصف، الآية٨، المصدر هو، ابن طاووس رضي الدين، مهج الدعوات في نهج العبادات، ص٣٣٠.

(٤) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص٣٨٣.

الجديدة في مجالات العلم التي أبدع فيها علماء غير عرب، وظهر في هذا العصر علماء مسلمون مبدعون موسوعيون في اختصاصات متعددة، وكذا ظهرت علوم متخصصة، كالجراحة، وطب العيون، وطب القلب، وغيرها من العلوم الأخرى فضلاً عن العلوم الإنسانية: كالنحو، والبلاغة، والمنطق، وعلوم القرآن: كالتفسير، والقراءات، والتجويد وغيرها.

ولما أفضت السلطة للمتوكل أمر بترك النظر والمباحثة والجدال الذي كان في عصر سلفه، وأمر الناس بالتسليم والتقليد، وأمر شيوخ المحدّثين بالتحديث وإظهار السنة والجماعة، وأظهر لباس قباب الملحمة ـ جنس من الثياب يختلف نوع سداه ونوع لحمته كالصوف والقطن أو الحرير والقطن، وفضل ذلك على سائر الثياب، واتبعه من في داره على لبس ذلك وشمل الناس لبسه[١].

وظهر في هذه الحقبة جملة من العلماء كمحمد بن يزيد المبرد، وفيها مات ابن سماعة القاضي الحنفي صاحب محمد بن الحسن وصاحب أبي حنيفة في خلافة المتوكل وله تصنيفات حسان في الفقه[٢]، وكذلك مات يحيى بن معين وجماعة من الأنباه سنة (٢٣٣هـ)، وسنة (٢٣٥هـ) مات أبو بكر بن أبي شيبة والقواريري، وكانا من علية أصحاب الحديث وحفاظهم[٣].

وفي سنة (٢٤٠هـ) مات ابن أبي دؤاد بعد وفاة ولده أبي الوليد محمد بن أحمد بعشرين يوماً، وكان ممن أجرى الله الخير على يديه، أما الجاحظ فذكر للمتوكل وأراده لتأديب ولده ولكنه لما رآه استبشع منظره ـ بحسب قول الجاحظ نفسه ـ فأمر له

---

(١) المازندراني، مولى محمد صالح ١٠٨١هـ، شرح أصول الكافي ج٧، ص٣٠٨؛ الملحم، جنس من الثياب؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٥٣٨.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٣٦٧، ٣٦٨.

(٣) المصدر نفسه.

بعشرة آلاف درهم وصرفه، فذهب إلى بغداد بصحبة محمد بن إبراهيم، وفي زمن المتوكل مات الإمام ـ أحمد بن حنبل عام (٢٤١هـ)، ودفن بباب حرب، وكذلك كان في العام موت الإسكافي محمد بن عبد الله وكان من أهل النظر والبحث ومن علية أهل العدل، وكانت وفاة جعفر بن المبشر سنة (٢٣٤هـ)، وكان من كبار أهل العدلية وأهل الديانة من البغداديين، ومات جعفر بن حرب سنة (٢٣٦هـ)، وهو رجل من هَمْدان ووجوه قحطان، وهو شيخ البغداديين من المتكلمين، ومات عيسى بن طغج سنة (٢٤٥هـ)، وكان من حُذّاقهم وأهل الديانات منهم[١]، وممن مات زمن المتوكل علي بن جعفر المديني بسامرا (٢٣٤هـ)، ومات كذلك بن محمد المدائني الأخباري ومات سنة (٢٣٨هـ)، إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن راهويه، وبشر بن الوليد القاضي الكندي صاحب أبي يوسف، وغيرهم للمزيد ينظر المسعودي[٢]، ومات سنة (٢٥٥هـ) عمرو بن بحر الجاحظ، له كتاب البيان والتبيين، وكتاب الحيوان، والبخلاء والطفيليين[٣].

إلاَّ أن الحقبة التي عاشها الإمام العسكري في سامراء مع أبيه الإمام الهادي عليهما السلام كانت مجدبة علمياً، وفكرياً وذلك لانصراف الحكام إلى اللهو واللعب والملذات الخاصة، وعدم اهتمامهم بالعلم خاصة بعد انتهاء حكم المأمون.

إلاَّ أن الإمام عليه السلام كان يعيش في مدرسة أبيه الهادي والتي تخرج فيها عدد كبير من العلماء بالقياس للواقع الخانق الذي فرضه حكام الجور، والاستبداد، والإقامة الجبرية أو السجن، إلا أن الإمام الهادي عليه السلام بأساليب خاصة، وإقبال العلماء عليه نقف على احصائية لأصحابه ورواة حديثه، وأنهم زادوا على مائتي رجل. وللحقيقة نرجع

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٣٧٣ ، ٣٧٤.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٨٥ ، ٣٩١.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٣٩.

إلى المصادر الآتية[1].

أما الفكرية فظهرت في زمنه عليه السلام العقائد والأفكار المنحرفة التي تهدف إلى حجب العقيدة الإسلامية وتشويه الفكر الإسلامي بنشر الشبهات والأوهام، ومنهم إسحاق الكندي فيلسوف العراق الذي راودته بعض الشُّبه حول القرآن الكريم، فألف كتاباً أسماه (تناقض القرآن)، فتصدى الإمام العسكري عليه السلام لهذه الشبهات والنظريات الضالة للكندي وغيرها فأبطلها[2].

وعلى هذا ننتهي إلى أن الحالة العلمية والفكرية كانت ضعيفة ومضطربة؛ لضعف، واضطراب حكام الدولة، وخاصة هيمنة الأتراك عليهم الذين تعمدوا النيل من العلوم الإسلامية، وتشويه العقائد.

التكوين الفكري والمعرفي للإمام العسكري وإمامته.

نهل الإمام عليه السلام المعارف والعلوم من منبعها الصافي وهو معلمه الأول والده الإمام الهادي عليه السلام، فكان عالماً فذاً موسوعياً، فكان له تكوين فكري ومعرفي رصين يستند على العلم، والدليل، والحجة، ومصدره القرآن المجيد الذي فيه تبيان كل شيء وسنّة آبائه، وأجداده الأطهار عليهم السلام ولهذا كما أسلفنا أنه تصدى لشبهات وتضليلات المغرضين، ورجال السلطة التي كانت تسعى لتعضيد سلطة الحاكم، والترويج لها، ولو كان ذلك على حساب العلم، والفكر الرصين، ومن هؤلاء: أبو الشب البرجمي[3]، والصولي[4]،

(١) رجال الطوسي؛ رجال النجاشي؛ رجال الكشي؛ رجال ابن داوود؛ معجم رجال الحديث، وغيرها.

(٢) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص٤٢٤.

(٣) أبو الفرح الأصفهاني، الأغاني، ج١٤، ص١٩١.

(٤) الطبري، تاريخه، ج٧، ص٢٦٢.

وإبراهيم بن المدبر[١]، ومروان بن أبي الجنوب[٢]، والبحتري[٣]، وعلي بن الجهم[٤].

أما إمامته: فقد نص عليه الإمام الهادي عليه السلام في روايات عديدة، منها:

١- روى شاهويه بن عبد الله الجلاب قال: (كتب إليَّ أبو الحسن في كتاب: «أردْتَ أن تسأل عن الخلف بعد أبي جعفر، وقلِقْتَ لذلك فلا تغتم، فإن الله عزّ وجل: ﴿**وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ**﴾[٥]، وصاحبُك بعدي أبو محمد ابني، وعنده ما تحتاجون إليه، يُقدِّم اللهُ ما يشاء ويؤخر ما يشاء: ﴿**مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا**﴾[٦]، قد كتبت بما فيه بيان، وقناعٌ لذي عَقْل يقظان»[٧].

٢- روى عبد العظيم بن عبد الله الحسني عن علي بن محمد عليه السلام، أنه قال: «الإمام من بعدي الحسنُ ابني، فكيف للناس بالخلَفِ من بعده»[٨].

والروايات الأخرى مستفيضة منها: عن يحيى بن يسار العنبري، وعلي بن عمر النوفلي، وداود بن القاسم، أبو بكر الفهفكي، الصقر بن أبي دلف، عبد الله بن محمد الأصفهاني[٩].

---

(١) أبو فرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢٢، ص١٦١.

(٢) البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٣، ص٦٥٦؛ ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص٣٩١، ٣٩٢.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) سورة التوبة، الآية١١٥.

(٦) سورة البقرة، الآية١٠٦.

(٧) الكليني، أصول الكافي، ج١، ص٣٢٨.

(٨) الصدوق، إكمال الدين المصدر نفسه، ج٢، ص٥٥.

(٩) ينظر، الفصول المهمة، ص٦٦؛ أصول الكافي، ج١، ص٣٢٥، ٣٢٨، ٣٢٧؛ الإكمال العلمي، ج٢، ص٥٥؛ وإعلام الورى، ج٢، ص٣٦٨.

المحور الثاني: العقيدة، البيئة العقائدية التي عاشها الإمام، والفرق التي عاصرها.

١- العقيدة: لغة:

منْ عَقَد، نقول: عقد البيع واليمين، والعهد أكّدْه ووثقه، وعقد حكمه على شيء لزمه، اعتقد: بمعنى صدّق يقال: اعتقد فلان الأمر إذا صدّقه، وعند حكمه عليه قلبه أي آمن به[١]، فالعقيدة في اللغة على معنيين: الأول: بمعنى الاعتقاد، فهي التصديق والجزم من دون شك، أي الإيمان الواعي الثابت والثاني: العقيدة بمعنى ما يجب الاعتقاد به، ومن هنا يقولون: الإيمان بالملائكة من العقيدة، أي ما يجب الاعتقاد به[٢].

٢- العقيدة اصطلاحاً:

هي التصور الإسلامي الكلي اليقيني عن الله الخالق، وعن الكون والإنسان والحياة، وعما قبل الحياة الدنيا وعما بعدها، والعلاقة بينهما.

وتستلزم العقيدة الإيمان بأصول الدين: التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة، المعاد يوم القيامة، وتوجب فرض عين على كل مسلم المعرفة الكاملة بهذه الأصول دون الرجوع بالتقليد لآخر، وإنّ جذورها الأساس هو الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له، فقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِرِينَ**﴾[٣]، ثم الاعتقاد بفروع الدين: الصلاة، والصوم، والحج، والخمس الزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله،

---

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج١، ص١٤٠، ١٤١؛ الجوهري، الصحاح، ج٢، ص٥١٠.

(٢) الشيخ الصدوق ٣٨١هـ، الاعتقادات في دين الإمامة، ص٨، ٤٥.

(٣) سورة الزمر، الآية٦٥.

موالاة أهل البيت عليهم السلام، والبراءة من أعدائهم[١].

البيئة العقائدية التي عاشها الإمام العسكري عليه السلام:

كما أسلفنا فإن الإمام عليه السلام عاش في كنف أبيه الهادي عليه السلام، وكان هو معلمه الأول الذي ورث علوم القرآن المجيد وعلوم أجداده الطاهرين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) من جدهم المصطفى صلى الله عليه وآله إلى جدهم أمير المؤمنين عليه السلام، وتوارثوا العلم كابراً عن كابر. فكانت عقيدتهم مستمدة من معينها النقي، فعندهم الإيمان بالله تعالى بأجلِّ مفاهيمه ومصاديقه، ووضوح أسماء ذاته وأسماء صفاته، وأنه أحديٌّ سرمديٌّ أزلي لا نظير له ولا مثيل، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، كما قال الإمام العسكري عليه السلام: «وقد أمركم الله عزَّ وجل بطاعته، لا إله إلا هو، وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وبطاعة أولي الأمر عليهم السلام ثم استشهد بآي الله تعالى: ﴿**يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ**﴾[٢]، ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**﴾[٣]، ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ**﴾[٤]»[٥].

إن المجتمع الذي عاش فيها الإمام العسكري عليه السلام تكتنفه الكثير من المتناقضات العقائدية نتيجة لكثرة العقائد الوافدة، ورعاتها وحملتها، والدعاة لها وخاصة بترويج وتحفيز من الحكام، والأمراء لتحقيق منافعهم السياسية، وظهور المتفلسفة ومدعية

أ.د. سلمان باقر الختفاجي

(١) الشيخ المفيد ٤١٣هـ، أوائل المقالات، ص٣٢٥ـ٣٢٦، تحقيق، إبراهيم الأنصاري، تصحيح اعتقادات الإمامية سنة ١٤١٤هـ.

(٢) سورة الاسراء، الآية٧١.

(٣) سورة البقرة، الآية١٤٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية١١٠.

(٥) ينظر، الشيخ القرشي، الإمام العسكري ص٣٤، ٩٧ وبعدها، من رسالة الإمام عليه السلام إلى إسحاق النيسابوري.

التجديد بل التحريف، والتضليل، ولمحدودية البحث، فإننا نعتقد الوقوف على فكر الإمام العسكري عليه السلام لقراءة الواقع الفكري، والعقدي الذي يحيط به وبالمسلمين، وبشيعتهم خاصة؛ لأنهم المقصودون بتحريف فكرهم وتشويه عقيدتهم وإصابتهم بالقلق في الانتماء إلى مدرستهم، ومن أقواله عليه السلام يخاطب أصحابه: «وفي أيامي هذه كنتم فيها غير محمودي الشأن، ولا مسددي التوفيق»، وقال عليه السلام: «واعلم يقيناً يا إسحاق أن من خرج من هذه الدنيا أعمى فهو الآخرة أعمى، وأضلّ سبيلاً، إنها- يا ابن إسماعيل ـ ليس تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، وذلك قول الله عزّ وجل في محكم كتابه للظالم: ﴿**رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً**﴾[١]، فأجابه المولى سبحانه: ﴿**قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى**﴾»[٢].

ومضى الإمام عليه السلام يصلح حال شيعته الذين تشتت بهم الأهواء، قائلاً: «فأين يتاه بكم؟، وأين تذهبون كالأنعام على وجوهكم؟ عن الحق تصدفون، وبالباطل تؤمنون، وبنعمة الله تكفرون أو تكذبون؟ فمن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، فما جزاء من يفعل ذلك منكم، ومن غيركم إلا خزي في الحياة الدنيا الفانية، وطول عذاب الآخرة الباقية، وذلك والله الخزي العظيم»[٣].

وتحدّث عليه السلام عن الفرائض وخاطب أصحابه، إذ يقول: «إن الله تعالى لم يفرض ذلك عليكم لحاجة منه إليكم، بل رحمة منه ـ لا إله إلا هو ـ عليكم ليميز الخبيث من الطيب وليبتلي ما في صدوركم، وليمحص ما في قلوبكم، ولتألفوا إلى رحمته، ولتتفاضل منازلكم في جنته، ففرض عليكم الحج والعُمرة، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والصوم، والولاية، وكفى بهم لكم باباً ليفتحوا أبواب الفرائض، ومفتاحاً

(١) سورة طه، الآية ١٢٥.

(٢) سورة طه، الآية ١٢٥، ١٢٦.

(٣) الحراني، تحف العقول، ص٤٨٤، ٤٨٦؛ رجاله، ص٣٥٤، ٣٥٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٨، ص٣٧٤، ٣٧٧.

إلى سبيله، ولولا محمد صلى الله عليه وآله والأوصياء من بعده، لكنتم حيارى كالبهائم، لا تعرفون فرضاً من الفرائض، وهل يدخلُ قريةً إلا من بابها...»[١].

وهكذا نرى أنّ الإمام عليه السلام قرأ عقائد الأمة القلقة والمضطربة والمتناقضة فذكرهم بها وأعطاهم المعالجات والتصويبات اللازمة لتقويم تلك العقائد وتصحيحها كما شرعها الله تعالى في كتابه المجيد، وبلغها الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله بأحاديثه وسنته في القول والعمل.

الفرق العقائدية والفكرية التي كانت سائدة آنذاك.

إنَّ الفوضى الاجتماعية، والسياسية التي عاشها الحكم العباسي في ما بعد هارون الرشيد، ولهو الحكام، وانغماسهم باللذات، واستئثارهم بأموال الأمة[٢].

أدت إلى انتشار الفرق العقائدية التي ظهرت في أوائل الدولة، ومنها:

الجهمية، وهم فرقة من فرق المتكلمين الذين يقررون العقيدة في الأسماء والصفات بالعقل والكلام لا بالشرع، ومن أقوالهم: إن الله لا في السماء ولا في الأرض ولا بينهما، ولا أين ولا حيث، ولا طول ولا قصر، ولا عرض ولا نهاية، ويقولون: إنه هواء، فهو عندهم داخل معهم في كل شيء لا كدخول الشيء في الشيء، وخارج من كل شيء لا كخروج الشيء من الشيء... ولا يقرون بمنكر ولا نكير ولا بعذاب القبر ولا بميزان ولا صراط... للمزيد ينظر المصادر الآتية[٣].

أ.د. سلمان باقر الخفاجي

---

(١) تنظر رسالة الإمام العسكري عليه السلام إلى إسحاق بن إسماعيل النيسابوري، باقر القرشي، الإمام العسكري، ص٣٤، ٩٦، ١٠٠.

(٢) الأصبهاني أبو الفرج، الأغاني، ج١٩، ص١١٦؛ محي الدين ابن العربي، محاضرة الأبرار ومسامرة الأحياء، ج١، ص١٢٦.

(٣) الشريف المرتضى ٥٤٣هـ، الشافي في الإمامة، وقد أحال على الملل والنحل، ج١، الآية٨٦؛ والفَرق بين الفِرق، ص١٢٨؛ ومقالات الإسلاميين ج٢، الآية ٤٩٤؛ الفضل بن شاذان

ينسبون إلى الجهم بن صفوان الذي قتل سنة (١٢٨هـ)، بسبب عقيدته الكفرية وكان لهذه الفرقة أتباع وامتد وجودهم لهذه الحقبة.

الفرقة الثانية: المعتزلة منهم اتباع عمرو بن عبيد (١٤٣هـ) وواصل بن عطاء (١٣١هـ) الذي اعتزل مجلس الحسن البصري، وكان يقول بالمنزلة بين المنزلتين بالنسبة للناس وأول من ابتدع أفكاراً متطرفة هو الجعد بن درهم الذي قتله خالد بن عبد الله القسري، وأخذه عنه الجهم بن صفوان ناظره وناظر عليه، وأصل هذا مأخوذ عن المشركين والصابئة، أقوالهم كالجهمية ويقولون: إن الله لم يقض ولم يقدر علينا خيراً ولا شراً ولا قضاءً ولا قدراً. ومنهم من أسقط أبا هريرة وطعن فيه.

وفرقة أخرى هم المرجئة: وهم الذين يرجئون العمل عن الإيمان، أي يؤخرون الأعمال عن الإيمان، فيقولون: أعمال الجوارح ليست من الإيمان، فاسمهم مشتق من الإرجاء، فيقولون: لا تضر مع الإيمان معصية ولا تنفع مع الكفر طاعة[١].

وأما الكرامية: وهم محمد بن كرّام (ت٢٥٥هـ)، يميلون إلى التشبيه وهم مرجئة يزعمون أن الإيمان هو الإقرار، والتصديق باللسان دون القلب[٢].

والسالمية: اتباع محمد بن سالم (٢٩٥هـ)، يقولون بالتشبيه يؤمنون بالاتحاد والحلول، قال: إن الله يرى يوم القيامة في صورة آدمي محمدي، وأنه يتجلّى لسائر خلقه، وفيهم تصوّف[٣]، وأما الأشاعرة: فأبو الحسن الأشعري الذي كان له ثلاثة

اليزدي النيسابوري ٢٦٠هـ، الإيضاح، ص٤ وما بعدها.

(١) الشريف المرتضى ٤٣٦هـ، الشافي في الإمامة، قم المقدسة، مؤسسة إسماعيليان، ط٢سنة ١٤١٠هـ.

(٢) المحقق الحلي٧٢٦هـ، المسلك في أصول الدين، تحقيق، رضا الاستادي، إيران، مؤسسة الطبع والنشر في الاستانة الرضوية المقدسة، ١٤١٤هـ، ص٧١.

(٣) الكثيري محمد، معاصر، السلفية بين أهل السنة والإمامية، بيروت، مطبعة الغدير١٤١٨هـ، ص٥٣.

أقوال: الأول كقول المعتزلة، والثاني مذهب الأشاعرة الذين اشتهروا به، مذهبهم يعتمد الوحي أكثر من اعتماده على العقل، وقالوا: إن العقل لا يوجب شيئاً من المعارف، ولا يقتضي تحسيناً ولا تقبيحاً، والثالث رجع به إلى قول أهل السنة.

ومن الجدير بالذكر هو شيوع المذاهب الإسلامية: الحنفية، والمالكية، والحنابلة، الشافعية وغيرها، ومسألة خلق القرآن وغيرها من النظريات الفكرية، والكلامية التي زخرت بها المدارس والمؤسسات العلمية والثقافية، واحتدمت النقاشات حتى ادت أحياناً إلى حصول صراعات شديدة.

عاش الإمام العسكري عليه السلام هذه الأجواء، والتجاذبات وكان عليه أثر الريادة الفكرية والعقائدية ومسؤولية الإصلاح ومجابهة الانحرافات التي قد تودي بالمجتمع الإسلامي والعقائد الإسلامية السامية التي تمثل مدرسة النبوة والإمامة.

كم تأثر الإمام عليه السلام بهذه الفرق؟، وكم أثر عليها؟

المعلوم أن الإمام العسكري عليه السلام هو الوارث لعلوم القرآن المجيد والسنة الشريفة فما يمتلكه من قدرات علمية، وفكرية، وعقائدية ناصعة أخذها من مصادرها السليمة، فهو يؤثر ولا يتأثر، يمتلك الحجة والدليل العلمي الذي يلزم الطرف الثاني بالقناعة التامة، ولاسيما إذا كان ممن يؤمن بالعلم منهجاً للبحث عن الحقيقة، فلذا لم يتأثر الإمام عليه السلام بكل ما أثير في زمانه من انحرافات فكرية وعقائدية وما أطلقت من شبهات تزعزع عقائد المسلمين، وتزرع الشكوك في إيمانهم ومعتقداتهم، فواجه عليه السلام المشعوذين، والدجالين، ودعاة الضلالة، ووعاظ السلاطين بتحسينهم القبيح وتقبيح الحسن، فكان مجنداً نفسه للذب عن الإسلام، والدفاع عنه، فأبطل أوهام أولئك البغاة على الدين، وزيّف شبههم، وأظهر الواقع المشرق للدين الحنيف.

وللوقوف على مفردة واحدة من مفردات حياته الجهادية الفكرية، وإبطاله لشبهة إسحاق الكندي فيلسوف العراق الذي زاغ فكره حول القرآن الكريم، فأشاع

في الأوساط العلمية أنه ألّف كتاباً أسماه (تناقض القرآن)، وقد اشتغل نفسه به، فتصدى الإمام عليه السلام لذلك وكلّف أحد تلاميذه بأن يعرض أمام الكندي أطروحته ليتحقق الهدف المنشود، وهو إبطال الشبهة، وهداية الكندي، فقال لتلميذه: «صِرْ إليه، وتلطّف في مؤانسته، ومعونته على ما هو بسبيله، فإذا وقعت الأنسة، فقل: قد حضرتني مسألةٌ أسألك عنها، فإنه يستدعي ذلك منك، فقل له: إن أتاك هذا المتكلّم بهذا القرآن هل يجوز أن يكون مراده بما تكلَّم منه غير المعاني التي قد ظننتها أنك ذهبت إليها، فإنه سيقول لك: إنه من الجائز؛ لأنّه رجلٌ يفهم إذا سَمع، فإذا أوجب ذلك، فقل له: فما يدريك لعله أراد غير هذا الذي ذهبت أنت إليه، فيكون واضعاً لغير معانيه».

ونفذ الرجل ما أفصح به الإمام عليه السلام، وبعد أن استمع الكندي أخذ يفكر ويطيل النظر في الأمر في الحق والصواب في ذلك فإنه أمر محتمل، وسائغ في اللغة، والتفت إلى تلميذه، فقال له: اقسمت عليك إلّا ما أخبرتني من أين لك هذا؟ وبعد إلحاحه، أجابه التلميذ أنه من الإمام أبي محمد، فقال الكندي: الآن جئت به، وما كان ليخرج مثل هذا إلّا من ذلك البيت. وعمد الكندي إلى كتابه فأحرقه وأتلفه، فقد رأى المنطق والصواب في كلام الإمام عليه السلام[1]، وهذا غيض من فيض.

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب ج٤، ص٤٢٤.

المحور الثالث: البعد العقائدي في فكر الإمام العسكري عليه السلام.

أولاً: في دعائه.

كان الأئمة عليهم السلام يعتمدون منهج الدعاء لبعث رسالتهم العقائدية، ومواعظهم لإصلاح الأمة وكان الرائد في ذلك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كدعاء كميل، والصباح وغيرها وما تضمنه السفر العظيم (نهج البلاغة)، وانتهج نهجه ابناؤه الأطهار عليهم السلام، الحسين عليه السلام في أدعيته المأثورة: دعاء يوم عرفة، وأدعيته في ملحمة كربلاء، وأكمل تلك المناهج الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن أبي طالب عليهم السلام الذي رسم للأمة عقيدتها وفكرها، وأحكام دينها، ومشروع إصلاحها في أدعيته المباركة التي تضمنتها صحيفته السجادية.

ونحن الآن في رحاب أدعية الإمام العسكري عليه السلام، فلنقف على بعضها ونرى ما حوت من كنوز الحكمة، والعقيدة، والموعظة الحسنة، والخلق الرفيع، والقيم الأخلاقية، والإنسانية السامية.

١ – دعاؤه بعد صلاته.

حمل الدعاء المبارك من المضامين العقائدية ما جعله دروساً بليغة في العقيدة الصادقة الحقّة منها:

أ – الإيمان بالله تعالى وحده والتفويض إليه بقوله عليه السلام: «فإني لك صليت، وإياك دعوت، ووجهك أردت، وإليك توجهت، وبك آمنت وعليك توكلت، وما عندك طلبت»[1]، فهو الإيمان المطلق بالخالق سبحانه وتعالى والتسليم، والصلاة له، وتوحيد التوجه والإيمان به دون غيره، والتوكل عليه، وإعلان الحاجة والفقر له جل شأنه.

ب – إن الهداية والتوفيق لسلوك الصراط الحق منه جل وعلا، بقول عليه السلام:

(١) الكفعمي، البلد الأمين، ص٢٢.

«الحمد لله الذي أكرم وجهي عن السجود إلّا له واستشهد بقوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ**﴾[١]، اللهم كما أكرمت وجهي عن السجود إلا لك، فصلّ على محمد وآله وصُنه عن المسألة إلا لك»[٢]، وهذا مصداق من مصاديق العقيدة الواعية الحقّة التي تتقيد بالتفويض المطلق لله تعالى لا لغيره.

حـ - وألمح الإمام عليه السلام إلى عقيدة مهمة من ثوابت العقائد الإسلامية هو التصديق بطاعة أولي الأمر وهم محمد وآله الطاهرون (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، وأكد تمسكه بصلة الأرحام، وذوي القربى، وأهل الذكر، والموالي، وأهل البيت عليهم السلام بقوله عليه السلام: «اللهم صل على محمد وآل محمد أولي الأمر الذي أمرت بطاعتهم، وأولي الأرحام الذين أمرت بصلتهم، وذوي القربى الذين أمرت بمودتهم، وأهل الذكر الذين أمرت بمسألتهم[٣]، والموالي الذين أمرت بموالاتهم ومعرفة حقهم، وأهل البيت الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيراً»[٤].

ثم يؤكد الإمام عقيدة أخرى من العقائد الإسلامية المؤكدة ويركزها في المجتمع الإسلامي، وهي البعث يوم القيامة للحساب، فالمؤمنون الصالحون العاملون مثواهم الجنة بقوله: «اللهم صل على محمد وآل محمد واجعل ثواب صلاتي، وثواب منطقي، وثواب مجلسي رضاكَ والجنة»[٥]، وأكد الإمام عليه السلام أن أقصى آمال المؤمنين تحقيق رضا الله سبحانه وتعالى.

---

(١) سورة الأعراف، الآية٤٣.

(٢) الكفعمي، البلد الأمين، ص٢٢.

(٣) إشارة منه عليه السلام للآية المباركة: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ سورة النحل، الآية ٤٣.

(٤) الشيخ الطوسي، مصباح المتهجد، ص٨٠، ٨٢؛ الشيخ باقر القرشي، الإمام العسكري، ص٣٤، ٣٨، ٣٩.

(٥) الكفعمي، البلد الأمين، ص٢٢.

وأشار في مقام ثان من هذا الدعاء المبارك إلى الآية الشريفة: ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا**﴾(١)، بقوله عليه السلام: «ويا ذا النعمة التي لا تحصى أبداً»(٢).

ثم يفوّض الإمام عليه السلام أمر الإنسان المؤمن إلى الله تعالى، وهذا من أقوم العقائد بقوله عليه السلام: «واجلعني ممن آمن بك فهديته، وتوكّل عليك فكفيته، وسألك فأعطيته، ورَغِب إليك فأرضيته، وأخلص لك فأنجيته»(٣)، فخلوص الإيمان والتقوى الحقّة تقتضي التفويض إلى الله تعالى، فهو له الإرادة الكاملة: ﴿**للهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ**﴾(٤).

ومن أصول العقائد التي أفصح عنها الإمام العسكري عليه السلام هو العجز التام عند الإنسان أمام الله تعالى، والاعتراف التام بالضعف، والحاجة إلى الله سبحانه، فقال عليه السلام: «اللهم ما قَصُرت عنه مسألتي، وعجزَتْ عنه قوتي، ولم تبْلُغْهُ فطنتي، من أمرٍ تعلمُ صلاحَ أمر دنياي وآخرتي، فصلِّ على محمد وآل محمد وافعله بي، يا لا إله إلا انت، بحقِّ لا إله إلّا انتَ، برحمتك في عافية، ما شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله»(٥).

٢-دعاؤه عليه السلام في توحيد الله عزّ وجل.

«سبحان مَن هو في عُلُوِّه دانٍ، وفي دُنُوهِ عالٍ، وفي إشراقِهِ مُنير، وفي سلطانه قويّ، سبحان الله وبحمدِه»(٦).

وهنا يظهر الإمام العسكري عليه السلام عقيدته في توحيد الله وتنزيهه، والإقرار بصفاته (الذات، والأفعال)، بوصف دقيق سامق.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ٣٤، وسورة النحل، الآية ١٨.

(٢) الكفعمي، البلد الأمين، ص٢٣.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) سورة الروم، الآية ٤.

(٥) الشيخ الطوسي، مصباح المجتهد، ص٨٠، ٨٢.

(٦) المجلسي، بحار الأنوار، ج٩١، ص٢٠٧؛ الراوندي سعيد بن هبة الله، الدعوات، ص٩٤.

٣-دعاؤه عليه السلام في الصباح.

هو دعاء سامي المضامين بليغ العبارة، دقيق النسج والحبك، يحكي عقائد الإسلام بأجلِّ صيغة وصورة، أظهر فيه الإمام العقيدة: بتوحيد الله تعالى، فلا شريك له، وخالق كل شيء في الوجود، هو الرزّاق ذو القوة المتين، مدبر الأمور، عالم السر وأخفى، منبت النبات ومحيي الأموات، لا يشغله شغل عن شغل، لا يتغير من حال إلى حال لا حركة ولا انتقال، مالك حاجات الطالبين، أسرع الحاسبين، أحكم الحاكمين أرحم الراحمين، ربُّ العزّة، لا يُدرك أمدهُ، لا يحصى عدده، لا ينقطع مددهُ، وهكذا يستطرد الإمام عليه السلام استطرادَ المحلّقِ في ملكوت الله، المتنعم بفيوضاته وألطافه ونعمه، وأظهر فيه الخضوع والخشوع لعظمة الله تعالى وسلطانه[١].

٤-دعاؤه في شهر رمضان.

٥-دعاؤه في اليوم الثالث من شعبان.

٦-دعاؤه عند دخول المسجد.

٧- دعاؤه في الاحتراز من الظالمين.

٨-دعاؤه في طلب قضاء الحوائج.

٩- دعاؤه في الاحتجاب والاحتراز.

١٠- دعاؤه عند تناول الطعام[٢].

ثانياً: عقائده عليه السلام في رسائله:

إنّ الرسائل التي أفاض بها الإمام العسكري عليه السلام، تفصح عن شخصيته السامية، وعلمه الجمّ، وعقيدته الصادقة الراسخة، وقيمهُ العليا التي نصح بها مواليه

(١) السيد ابن طاووس، مهج الدعوات، ص٣٣٢ ، ٣٣٤.

(٢) البحراني، السيد هاشم، مدينة المعاجز، ج١، ص٤٨١؛ وتنظر المصادر، الشيخ الطوسي، مصباح المتهجد، الراوندي، الدعوات؛ ابن طاووس، مهج الدعوات.

وشيعته، فهو حريص أشدَّ الحرص على بناء الجماعة الصالحة، فالمتصفح لسطور هذه الرسائل يجد أنها تفيض بحقائق العقائد الإسلامية الجلية الواضحة التي قصد بها هداية أصحابه ومواليه ومنها:

١ – رسالته إلى إسحاق بن إسماعيل النيسابوري:

قراءة متأنية لهذه الرسالة التربوية الإنسانية تتجلّى منها القيمة العليا للإمام عليه السلام كقائد ومربٍّ وإمام يتسع بحلمه، وحكمته أتباعه، ويرسم لهم الصراط القويم ويخرجهم من ظلمات أنفسهم وما يحيط بهم من مؤثرات شديدة، فأما العقائد فنذكر منها بإيجاز:

أ – إن الحمد لله تعالى بمثل ما حَمَد الله به حامد إلى أبد الأبد.

ب – من فيض السماء على المؤمن المخلص أنه يسهل عليه عبور العقبات التي وصفها الإمام عليه السلام: «وأيم الله إنها لعقبة كؤود، شديد أمرها، صعب مسلكها، عظيم بلاؤها، طويل عذابها، قديمٌ في الزُّبُر الأولى ذكرها» متيمناً بقوله تعالى: ﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ**﴾[١].

حـ – هنا ركّز الإمام عليه السلام على انحراف البعض الذين يؤمنون ببعض الأحكام ويطبقونها من دون تطبيق الأخرى على هوى ومزاجية، بقوله عليه السلام: «فمن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، فما جزاء من يفعل ذلك منكم ومن غيركم إلا خزيٌ في الحياة الدنيا الفانية، وطول عذاب في الآخرة الباقية»[٢] مشيراً في ذلك إلى الآية (٨٥ من سورة البقرة).

---

(١) سورة البلد، الآيات ١٠، ١١.

(٢) الحراني، تحف العقول، ص٤٨٥.

د- وأشار الإمام عليه السلام هنا إلى قضية عقائدية هامة، وهي أن الفرائض التي فرضتها السماء لا لحاجة منها إلى الناس، ولكن: «ليميز الخبيث من الطيب، وليبتلي ما في صدوركم وليمحّص ما في قلوبكم»[١]، يؤكد الإمام عليه السلام.

إنَّ الأحكام والفرائض الإلهية ليست عبثية أو مزاجية، بل عن حكمة رصينة تتناسب مع الحاجات الفطرية للإنسان التي تهذب شخصيته، وتجعله الأنموذج الأمثل للإنسان الذي جعله الله تعالى خليفة في الأرض.

هـ- ثم ذكر الإمام عليه السلام الفرائض التي شرّعها رَبُّ السماءِ: «ففرض عليكم الحج، والعُمرة، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصوم، والوِلاية، وكفا بهم لكم باباً ليفتحوا أبواب الفرائض»[٢].

و- حلّل الإمام عليه السلام الآية المباركة تعالى: ﴿**قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾[٣]، فذكر حقوق الأولياء وأمر بأدائها.

ن- أكد الإمام عليه السلام الروح الفياضة الطيبة التي يجب أن تتزين بها مسؤوليات ومهام الإمامة والقيادة، بأن يحب الخير لأوليائه، ويدعو لهم: «واستجاب الله تعالى دعائي فيكم وأصلح أموركم على يديَ»، وأكد قضية عقائدية هامة، هي أنّ لكُلّ مأموم إمام بقوله عليه السلام حيث استشهد بالآية الكريمة: ﴿**يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ**﴾[٤].

٢- رسالته عليه السلام إلى الفقيه علي بن الحسن:

هذه الرسالة من غرر كلماته ومواعظه عليه السلام؛ لأنها محكومة بحكم المخاطب فإنه عالم جليل في الحديث والفقه والعلوم الإسلامية الأخرى، إذ ورد في المأثور:

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه، باختلاف يسير.

(٣) سورة الشورى، الآية ٢٣.

(٤) سورة الأسراء، الآية٧١.

(خاطبوا الناس على قدر عقولهم)[١]، فأكد فيها الإمام عليه السلام على مسؤوليات الفقيه، فركز الإمام على القيم الأخلاقية، فقال عليه السلام: «وأوصيك بمغفرة الذنب وكظم الغيظ وصلة الرحم، ومواساة الإخوان، والسعي في حوائجهم في العسر واليسر، والحلم والتفقه في الدين، والتثبت في الأمر، والتعاهد للقرآن، وحسن الخُلق، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر فإن الله عزّ وجلَّ قال: ﴿**لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ**﴾[٢]، واجتناب الفواحش»[٣].

وانتقل إلى ثابت من ثوابت العقائد، وهي الصلاة، فأكد في وصيته إلى الفقيه علي بن الحسين: «عليك بصلاة الليل فإن النبي صلى الله عليه وآله أوصى علياً عليه السلام، فقال: يا علي، عليك بصلاة الليل عليك بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل، ومن استخف بصلاة الليل فليس منّا، فاعمل بوصيتي، وأمر جميع شيعتي حتى يعملوا عليها»[٤].

ثم أكّد الإمام عليه السلام في العقيدة المهدوية، فأوصاه: «وعليك بالصبر وانتظار الفرج، فإن النبي صلى الله عليه وآله، قال: أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج، ولا تزال شيعتنا في حزن حتى يظهر ولدي الذي بشَّر به النبي صلى الله عليه وآله، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئت ظلماً وجوراً»، فاصبر يا شيخي يا أبا الحسن علي، وأمر جميع شيعتي بالصبر فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين» في إشارة منه عليه السلام إلى الآية المباركة: ﴿**إِنَّ الأَرْضَ لله يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[٥].

٣- رسالة إلى بعض مواليه:

---

(١) الحراني، تحف العقول، ص٣٧.

(٢) سورة النساء، الآية ١١٤، الحرّاني، تحف العقول، ص٤٨٤، ٤٨٦؛ محمد الجزائري، جوامع الكلم، الكشي، اختيار معرفة الرجال، ص٣٥٧، ٣٥٤.

(٣) الخوانساري، روضات الجنات، ج٤، ص٢٧٣ ، ٢٧٤.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) سورة الأعراف، الآية١٢٨.

هذه الرسالة خصّها الإمام عليه السلام بعقيدة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر وتوعية الأمة، وتحذيرها عن اختلاف القلوب، وتشتيت الأهواء وحذرهم من نزغ الشيطان ومكره، وحبائله التي أدت بهم إلى الفرقة، فقال عليه السلام: «حتى أحدّثّ لكم ـ يقصد الشيطان ـ الفرقة، والإلحاد في الدين، والسعي في هدمِ ما مضى عليه أوائلكم من إشادة دين الله، وإثبات حق أوليائه، وأمالكم إلى سبيل الضَلالة...»[١].

ورسائله الأخرى عليه السلام كانت تدور مدار العقائد، والعبادات، والفراض، والوعظ والإرشاد والنصح ليحفظ الأمة من حملة التضليل التي وجهوها لها لتشتيت عقائدهم وفتّ وحدتهم، ومنها:

أ. رسالته إلى بعض مواليه[٢].

ب. رسالته إلى بعض شيعته[٣].

ت. رسالته إلى عبد الله البيهقي[٤].

ث. رسالته إلى إبراهيم بن عبده[٥].

ج. رسالته إلى شخص من شيعته[٦].

ثالثاً: البعد العقائدي في دره وبدائعه الحِكَمية:

بديع فيض الإمام العسكري عليه السلام هو حكمه القصار وما حملته من مضامين قيمية وسلوكية وفكرية وحتى عقائدية وهو مدار بحثنا، ففي وقفتنا التأملية لهذه

---

(١) الشامي العاملي، الدر النظيم، ص٧٤٨.

(٢) المصدر نفسه، ص٧٤٩.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الكشي، ص٥١٠ ، ٩٨٣.

(٥) الكشي، المصدر نفسه، ص٥٨٠٠ ، ١٠٣٣.

(٦) المجلسي، بحار الأنور، ج٧٥، ص٣٧٢.

الدرر والبدائع، ونجد أن الإمام عليه السلام قد ضمنها بعض الأبعاد العقائدية التي سنعرض لبعضها:

١- قال عليه السلام: «إذا كان المَقْضيُّ كائناً، فالضراعة لماذا؟»[١] هذه حقيقة كونية، وهي أن كل مفردات الحياة والكونَ تسير بمشيئة الله تعالى، وهي متحققة حتماً، فما الداعي لأن يضرع الإنسان لغيره.

٢- قال الإمام عليه السلام: «جُعِلَتِ الخبائث في بيتٍ، والكِذْب مفاتيحها»[٢]، أي الكذب هو أكبر الكبائر ورأس الخبائث والمنكرات.

٣- قال عليه السلام: «إن الوصول إلى الله عزّ وجلَّ سفرٌ لا يُدرك إلا بامتطاءِ الليل»[٣].

تأكيد الإمام عليه السلام على أداء صلاة الليل، فإنها الموصلة إلى الملكوت الإلهي والممهدة إلى رحاب الرحمة الإلهية، وقد أكد في مقام سابق على وصية رسول الله صلى الله عليه وآله للإمام علي عليه السلام، وتوكيده عليها؛ لفضيلتها، وعظم شأنها، وجلال المقام الذي ترفع مؤديها إليه.

٤- قال عليه السلام: «إنَّ لكلام الله فضلاً على الكلام كفضل الله على خلقه، ولكلامنا فضلاً على كلام الناسَ كفضلنا عليهم»[٤]، الإمام عليه السلام يؤكد قدسية كلام الله تعالى كقدسيته جل شأنه، وأن لكلام أهل البيت عليهم السلام الفضل على كلام سائر الناس.

٥- قال عليه السلام: «بسم الله الرحمن الرحيم أقربُ إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها»[٥]، يكشف الإمام عليه السلام هنا حقيقة عقائدية تخص اسم الله الأعظم

(١) زهرة الناظر في تنبيه الخواطر، ص٥١.

(٢) المصدر نفسه، ص١٤٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٥، ص٣٧٧.

(٣) المصدر نفسه، ج٧٥، ص٣٨٠؛ عباس القمي، الأنوار البهية، ص٣١٩.

(٤) الإربلي، كشف الغمة، ج٣، ص٢١٧؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج٦، ص٣٨١.

(٥) الحراني، تحف العقول، ص٤٨٧.

فيؤكد لنا ضرورة أن تكون كل جزئيات حياتنا مبدوءة، ومعطرة، وموشاة باسم الله تعالى بذكر بسم الله الرحمن الرحيم.

٦- من القيم الأخلاقية التي ترتبط جدلياً بعقائدنا بقوله عليه السلام: «لا تُمارِ فيذهب بهاؤك، ولا تمازح فيُجترأ عليك»(١).

٧- تجنب الرياء في العبادات والتفويض الكامل لله تعالى، والخلوص الروحي له في عباداتنا، فقال الإمام عليه السلام: «الإشراك في الناس أخفى من دبيب النمل على المَسْح الأسود في الليلة المظلمة»(٢).

وهذا غيض من فيض ولو طلب الباحث الاستزادة فليراجع المصادر: (تحف العقول، ونزهة الناظر، والمجالس السنية، وبحار الأنوار).

٥- البعد العقائدي في فكر الإمام العسكري عليه السلام ما يخص عقيدة الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف:

وظيفة الإمامة أملت على الإمام العسكري عليه السلام أن يتبنى بدقة، وعمق، ووضوح التمهيد لغيبة ولده محمد المهدي المنتظر عليه السلام، وتهيئة العقول والقلوب لقبول هذه العقيدة الهامة التي ترتكز عليها العقائد الإسلامية؛ لأنَّ الإمام المنتظر هو (صاحب العصر والزمان) فلابد أن يتبنى الإمام العسكري هذه العقيدة ويكمل ما صرّح به أجداده وآباؤه؛ لأن هذه العقيدة بمقام من الخطورة ما قد ينهار المؤمن ويداخله اليأس والانحراف؛ لأنها تضعه في مقام الاختبار الصعب، والدقيق؛ فلذا نقرأ الاهتمام الجاد والكافي بهذه القضية من الإمام العسكري عليه السلام في المقامات الآتية:

وكان هذا التمهيدُ على منهجين:

---

(١) الحراني، تحف العقول، ص٤٨٦ ؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٥، ص٣٧٠.

(٢) الحراني، تحف العقول، ص٤٨٦.

المنهج الأول: منهجية الوكلاء في الإعداد لغيبة الإمام محمد المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ومن هذه الوكالات:

أ - وكالة عثمان بن سعيد العُمري السمّان أبي عمرو، فهو من كبار أرباب الفكر والإيمان والتقوى، فهو الأنموذج الأمثل للوكالة عن الإمام حال غيبته، فيكون كالأصيل لصلابة الثقة به، فمما قاله الإمام الهادي عليه السلام فيه: «هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ما قاله لكم فعني يقوله، وما أدّاه إليكم فعني يؤديه»[١].

وقال فيه الإمام العسكري عليه السلام: «هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات، فما قاله لكم فعني يقوله، وما أدى إليكم فعني يؤديه»[٢].

وعلى هذه المبادئ والقيم أسس الإمامان الهادي والعسكري عليهما السلام ركناً من أركان العقيدة المهدوية، وهي النيابة في غيبة الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ب- وكالة محمد بن عثمان بن سعيد العمري، أبي جعفر الذي بلغ من التأهيل ما جعله يحتل مكانة علمية سامية، وتقديراً جليلاً عند الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام ليؤهل لوكالة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، فقال فيه الإمام العسكري عليه السلام إجابة على سؤال السائل: مَنْ أعامل، وعمن آخذ، وقول مَنْ أقبل؟ فقال الإمام عليه السلام له: «العمري ـ يعني عثمان بن سعيد وابنه ـ يعني محمداً ـ ثقتان، فما أدياه إليك فعني يؤديان»[٣].

وقد خرج التوقيع من الإمام عليه السلام في التعزية له بوفاة أبيه عثمان رحمه الله وفيه: «أجزل الله لك الثواب، وأحسن لك العزاء، رُزيت ورُزينا وأوحشك فراقهُ وأوحشنا، فسرّهُ الله في منقلبه، كان من كمال سعادته أن رَزقه الله ولداً مثلك يخلفُهُ من بعده، ويقوم مقامه بأسره، ويترحم عليه.

---

(١) الطوسي، الغيبة: ص٣٥٤، ح٣١٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٥٤.

(٣) الكليني، الكافي، ج١، ص٣٢٩، ٣٣٠.

وأقول: الحمدُ لله، فإنَّ الأنفس طيبةٌ بمكانِك، وما جعله الله عزّ وجلَّ فيك وعندك، وأعانك الله وقوّاك ووفقك، وكان لك وليّاً وحافظاً، وراعياً وكافياً»[١].

روى الصدوق بسنده عن عبد الله بن جعفر الحميري، قال: سألت محمد بن عثمان العمري: رأيت صاحب الأمر عليه السلام؟ فقال: نعم، وآخر عهدي به عند بيت الله الحرام، وهو يقول: «اللهم انجز لي ما وعدتني»، وقال: ورأيته صلوات الله عليه متعلّقاً بأستار الكعبة في المستجار، وهو يقول: «اللهم انتقم من أعدائك»[٢].

المنهج الثاني: هو النص على إمامة الإمام محمد المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، ومن تلك النصوص:

١- روى أحمد بن إسحاق بن سعيد الأشعري، قال: دخلت على أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام وأنا أريد أن أسأله عن الخلف من بعده، فقال لي مبتدئاً: «يا أحمد بن إسحاق، إن الله تبارك وتعالى لم يُخْلِ الأرض منذ خلقَ آدم، ولا يخليها إلى أن تقوم الساعةُ من حجّة على خلقه، به يدفعُ البلاءَ عن أهل الأرض، وبه يُنزِلُ الغيثَ وبه يخرج بركات الأرض».

فقلت له: يا بن رسول الله، فمن الإمام والخليفة بعدك؟

فنهض عليه السلام مسرعاً فدخل البيت، ثم خرج وعلى عاتقه غلام كأن وجهه القمر ليلة البدر، من أبناء ثلاث سنين، فقال: «يا أحمد، لولا كرامتُك على الله عزّ وجلَّ وعلى حُججه ما عرضت عليك ابني هذا، إنه سُمِّي باسم رسول الله صلى الله عليه وآله وكنيته، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئت جوراً وظلماً، يا أحمد، مَثَلُهُ في هذه الأمة مثل الخضر، ومثل ذي القرنين، والله ليغيبنَّ غيبةً لا ينجو من الهلكة فيها إلَّا من ثبّته الله على القولِ بإمامته، ووفقه فيه للدعاء بتعجيل فرجه».

---

(١) الكليني، الكافي، ج١، ص٣٦١.

(٢) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص٥٢٠.

فقال أحمد بن إسحاق: فهل من علامة يطمئن إليها قلبي؟

فنطق الغلام بلسان عربي فصيح، فقال عليه السلام: «أنا بقيّة الله في أرضه، والمنتقم من أعدائه، فلا تطلبُ أثراً بعد عين، يا أحمد بن إسحاق».

فقال أحمد: فخرجت مسروراً فرحاً، فلما كان في الغد عدتُ إليه، فقلت له: يا ابن رسول الله، لقد عظم سروري بما منننت به عليَّ، فما السنّة الجارية في الخضر وذي القرنين؟ فقال عليه السلام: «طول الغيبة يا أحمد».

قلت: يا ابن رسول الله، وإنّ غيبته لتطول؟

قال: «أي وربي حتى يرجعَ عن هذا الأمر أكثر القائلين به، ولا يبقى إلا مَنْ أخذ الله عزّ وجلَّ منه عهداً لولايتنا، وكتبَ في قلبه الإيمان وأيده، بروح منه، يا أحمد، هذا أمرٌ من أمر الله، وسرٌّ من سرّ الله، وغيبٌ من غيب الله، فخذ ما أتيتُك واكتمه، وكن من الشاكرين تكن معنا غداً في عليين»[1].

إنَّ هذا النص الكريم ينبئ عن جوانب عقائدية أساسية تحكم الولاية للإمام محمد المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف هذا فضلاً عن النص الشرعي من الإمام المعصوم الحسن العسكري عليه السلام على إمامته كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله، ومن هذه الأسس العقائدية:

أ- أن الأرض لا تخلو من حجة، وهو قانون إلهي؛ لتكون الإنسانية على بيّنة وتكون الحجة لله تعالى على خلقه ولا حجة لهم عليه؛ لتتعبد الخلق عن وعي وحجة، فينجو من ينجو عن بيّنة ويهلك من يهلك عن بينة.

ب- أن يتعبد المؤمن منتظراً الظهور، ففيه التوفيق في الحياتين، فضلاً عن بناء الرصانة المعنوية والإيمانية ففيها الحكمة والحلم والصبر والثبات على مبادئ وقيم السماء.

---

(١) الشيخ الصدوق، إكمال الدين، ص٢١٦، ٢١٧.

ج- الإيمان الواعي بالأمل الأكبر وهو الظهور المبارك الذي ستحل به البركات ويعم العدل والقسط، ويموت الظلم والضلال، فينعم المؤمن بالسعادة التي يأملها من دينه الحنيف.

د- ومن ثوابت الانتظار أن يؤمن الإنسان أنّ الله تعالى قادر على أن يمدَّ بعمر الإمام عليه السلام حتى يأذن الله بالظهور حين تكتمل الحكمة وتستوجب الأحوال لذلك.

٢- روى محمد بن عثمان العمري عن أبيه، قوله: «سُئل أبو محمد الحسن بن علي وأنا عنده عن الخبر الذي روي عن آبائه: «أنّ الأرض لا تخلو من حجة لله تعالى على خلقه إلى يوم القيامة، وإنّ من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية؟، فقال: إنّ هذا حق كما أن النهار حقّ».

وانبرى إليه شخص، فقال له: يا بن رسول الله، فمن الحجة والإمام بعدك؟

فأجاب الإمام عليه السلام: «ابني محمد هو الإمام والحجة بعدي مَنْ مات، ولم يعرفه مات ميتة جاهلية، أَمَا إنَّ له غيبة يحارُ فيه الجاهلون، ويهلكُ فيها المبطلون، ويكذب فيها الوقّاتون، ثم يَخرجُ فكأني أنظر إلى البيض تخفق فوق رأسه بنجف الكوفة»[١].

ونقرأ في هذا النص تأكيداً على ثوابت عقيدة الانتظار للإمام محمد المهدي عجل الله فرجه الشريف.

٣- وروى الخزّاز الرازي القمي علي بن محمد والصدوق، قال الإمام العسكري عليه السلام: «الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتى أراني الخَلفَ من بعدي، أشبهُ الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خَلْقاً وخُلقاً، يحفظه الله تبارك وتعالى في غيبته، ثم يظهره فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئَتْ جوراً وظُلماً»[٢].

٤- روى موسى بن جعفر البغدادي، قال: سمعت أبا محمد الحسن بن علي

---

(١) الخزاز علي بن محمد القمي، كفاية الأثر، ص٢٩٦.

(٢) كفاية الأثر، المصدر نفسه، وإكمال الدين، ص٢٢٨.

العسكري يقول: «كأنّي بكم قد اختلفتم بعدي في الخلفِ مِنّي ألا إنَّ المُقِرَّ بالأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله المُنكِرَ لولدي، كمن أقرَّ بجميع أنبياء الله ورسله، ثم أنكر نبوّة رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنّ طاعة آخرنا كطاعة أولنا، والمنكر لآخِرنا كالمنكِرِ لأولنا، أَمَا إنَّ لولدي غيبة يرتاب فيها الناس إلَّا مَنْ عصمهُ الله»(١).

هذا النص تكتمل فيه كل معالم عقيدة الإمامة بالإمام محمد المهدي المنتظر عليه السلام، إذ نبه الإمام العسكري عليه السلام على حصول الاختلاف، ويحذر من الفرقة، والانقسام والوقوع بالضلالة، وكان عليه السلام دقيقاً حينما قرن الأمر بالإيمان به بالاعتقاد بنبوة محمد صلى الله عليه وآله والإنكار بإنكاره نبوته صلى الله عليه وآله.

٥- ثمّة نص خامس وهو مهم جداً كان من الإمام العسكري عليه السلام إلى الفقيه الجليل علي بن الحسين بن بابويه القمي في رسالته له ورد في إحدى فقراتها ما يأتي: «وعليك بالصبر وانتظار الفرج، فإن النبي صلى الله عليه وآله، قال: أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج، ولا تزال شيعتُنا في حزنٍ حتى يظهر ولدي الذي بشَّرَ به النبي صلى الله عليه وآله يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئت ظلماً وجوراً، فاصبر يا شيخي يا أبا الحسن علي، وأمر جميع شيعتي بالصبر فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عبادِه والعاقبة للمتقين»(٢).

هذا النص الجلي يؤكد عقيدة الإيمان بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف والحكمة الأولى هو وصية المؤمنين بالصبر المتوّج بالوعي، والإيمان العميق، والعمل الجاد بما تستلزمه مهمة الانتظار، وهو الصلاح والسعي للإصلاح، ومحاربة الضلال، وخلق الجماعة الصالحة لتهيئة البيئة المناسبة لظهور الإمام عليه السلام.

٦- هذا نص فيه تكاملية فكرية وعقائدية قيّمة، وهو إن الإمام العسكري عليه السلام يجعل التسليم والتصديق بإمامة ولده محمد عليه السلام قضية بديهية لا مراءَ ولا شكَّ فيها،

(١) المصدر نفسه، ص٢٩٥، ٢٩٦.

(٢) ابن شهرآشوب، المناقب: ج٤، ص٤٢٥.

وأنها حقيقة لازمة للإيمان بالعقيدة الإسلامية، ويتوج هذه الحقيقة العقدية بالضراعة والابتهال إلى الله سبحانه بأن يسبغ آلاء رحمته عليه، وعلى المؤمنين بظهوره وإمامته، فقد جاء في دعائه لولده القائم عليه السلام: «اللهم صلِّ على وليّك وابن أوليائك الذين فرضت طاعتهم، وأوجبت حقَّهم، وأذهبت عنهم الرّجس وطهرتهم تطهيراً. اللهم انصره وانتصر به لدينك، وانصر به أولياءك وأولياءَه، وشيعته، وأنصاره، واجعلنا منهم، اللهم أعِزّهُ من شرِّ كل باغٍ وطاغٍ، ومن شر جميع خلقِك، واحفظه من بين يديه ومن خلفِه، وعن يمينه وعن شِماله، واحرُسْهُ وامنعهُ مِنْ أنْ يوصلَ إليه بسوءٍ، واحفظ فيه رسولَك وآل رسولِك، وأظهر به العدَل، وأيّدهُ بالنصر، وانصر ناصريه، وأخذل خاذليه، واقصم به جبابرة الكفر، واقتل به الكفار، والمنافقين وجميع الملحدين، إذ كانوا في مشارق الأرض ومغاربها، وبرِّها وبحرِها، وسهلها وجبلِها، واملأ به الأرض عدلاً، وأظهر به دين نبيّك عليه السلام، واجعلني اللهم من أنصاره وأعوانه، واتباعه وشيعته، وأرني في آل محمد ما يأملون، وفي عدوِّهم ما يحذرون، إله الحق آمين»[1].

ومن المضامين المباركة المفادة من هذا الدعاء الجليل إن الإمام العسكري عليه السلام يجعل نفسه قدوة للمؤمنين ويهديهم كيفية الدعاء لإمامهم القائم المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف شأنه شأن القرآن المجيد الذي يعلمنا الجليل جلّ شأنه كيف نبتهل إلى الله تعالى: «ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة... ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا وتوفنا مع الأبرار... ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار... ربنا ولا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا... ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به وانصرنا على القوم الكافرين».

وهي تهيئة كاملة للأمة الإسلامية وتوعية تامة في العقيدة الخاتمة اللازمة لكل

---

(١) الكفعمي، البلد الأمين، ص٣٠٣ ـ ٣٠٦؛ الشيخ الطوسي، مصباح المجتهد، ص٣٩٩، ٤٠٦؛ السيد ابن طاووس، جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع، ص٤٨٣ ـ ٤٨٤.

مفردات العقائد للدين الحنيف، فهي تبصرة لا غبار عليها، ولا لبسَ، ولا شكَّ فيها لذوي البصيرة والهداية الحقّة.

إنَّ الأمة المهدوية الداعية للحق الإلهي محمد المهدي المنتظر عليه الصلاة والسلام، هي الصادحة بأمرها اليوم، ولا يعلو صوت على صوتها في أرجاء المعمورة، وقد حدد معالم شخصيتها الإمام العسكري عليه السلام بتصنيفه طبقات المجتمع بقوله عليه السلام: «الناس في طبقات شتى: فالمستبصر على سبيلِ نجاة، متمسك بالحق، متعلّق بفرع أصلٍ غيرَ شاكٍّ ولا مرتاب، ولا يجد عنه ملجأً» وميزهم عن الطبقات الأخرى، بقوله: «وطبقة لم تأخذ الحقَّ من أهله، فهم كراكب البحرِ يموج عند موجهِ، ويسكن عند سكونه، وطبقة استحوذ عليهم الشيطان شأنهم الردُّ على أهل الحقِ، ودفع الحقِ بالباطلِ حسداً من عند أنفسهم»(١).

وهكذا فإن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قد أكمل رسالته المقدسة للإمامة التي حددتها السماء، بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا**﴾(٢).

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٥، ص٣٧١.

(٢) سورة النساء، الآية٥٩.

الخاتمة

الحمدُ لله حق حمده كما حَمِد نفسه والحمد له سبحانه أن هدانا للحق، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله جل شأنه، فإنّ جهودنا المتواضعة هذه تجلت منها الحقيقة ظاهرة كما تحكم معارفنا القاصرة أنّ الإمام العسكري عليه السلام أكمل رسالة آبائه البررة بوحدة الهدف، وهو إقامة الحق في أمة جدّهِ رسول الله صلى الله عليه وآله، ووضعها على الطريق السوي وببصيرة من أمرها من دون شك بمعرفة الحق وأهله، والتبري من الضلال وأهله لتحقيق رضا الله تعالى، وأداء العهد الذي أخذه على خلقه: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**﴾[1].

وقد تأكد للباحث أن الإمام الحسن العسكري عليه السلام بما عاشه من حصار إنساني واجتماعي وعزل عن مريديه وشيعته إلا أنه بتنوع الأساليب والفن الحركي تمكن من أن يوصل رسالة القرآن المجيد، ورسالة جده المصطفى صلى الله عليه وآله وآبائه الطاهرين عليهم السلام إلى الناس، فأسمعهم صوت الحق، وأظهر لهم الحقيقة، وأبطل أحدوثة الباطل وأسقط نظريات الضلال وأطروحات الشك، والتشويه الفكري، والعقائدي، وخَلُصَ بنخبة مؤمنة صادقة بالحق وأهله، وتبرأ من الباطل وأتباعه بجلد، وصبر وحكمة.

ويقدم نصيحته للقائد ورائد المجتمع بقوله: «فدعْ من ذهبَ يميناً وشمالاً، فالراعي إذا أراد أن يجمع غنمه جمعها بأهون السعي».

وتحددت معالم الحقيقة التي جسدها الإمام العسكري عليه السلام بفكره ونطق بها بقوله وعمله، فهو مكملٌ لرسالة الدين الحنيف، وحامل راية الحق، والصدق عن آبائه، وسلّمها لولده محمد المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف الذي أخذها بثقة، وقوة الأنبياء

(١) سورة الأعراف، الآية ١٧٢.

والمرسلين وأجداده الطاهرين ليقود الإنسانية إلى بر الأمان، والمجد الذي حددته السماء: ﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾[1]، وتؤكد السماء أيضاً إرادتها: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾[2].

وتأكد كذلك صِدْقَ الوعد الإلهي على يد أحد أمناء رسالة السماء الإمام أبي محمد الحسن بن علي العسكري (صلوات الله وسلامه عليه)، والحمد لله رب العالمين وصلّى الله على الحبيب المصطفى وعلى آله الطيبين الطاهرين.

(١) سورة القصص، الآية ٥.

(٢) سورة التوبة، الآية ٣٣.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. ابن الأثير، عزّ الدين أبو الحسن علي بن محمد (٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، (سنة ١٤٠٨هـ).

٢. ابن المعتز (٢٩٦هـ)، طبقات الشعراء، تحقيق، عبد الستار أحمد فراح، القاهرة، دار المعارف، (١٩٦٨م).

٣. ابن شهرآشوب (٥٨٨هـ)، مناقب آل أبي طالب، بيروت، دار الأضواء، ط٢، (سنة ١٤١٢هـ).

٤. ابن طاووس، رضي الدين (٦٤٤هـ)، مهج الدعوات في منهج العبادات، طهران، دار الكتب الإسلامية، (١٤١٦هـ)، جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع، قم المقدسة، دار الذخائر، (١٤١١هـ).

٥. ابن منظور، (٧١١هـ)، لسان العرب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، (سنة ١٤٠٥هـ).

٦. أبو منصور الثعالبي، النيسابوري، (٤٢٩هـ)، ثمار القلوب، (القاهرة، ١٩٦٥م).

٧. الإربلي، أبو الحسن علي بن عيسى (٥٣٨هـ)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، بيروت، دار الأضواء، (١٩٨٥م).

٨. الأزدي، النيسابوري، الفضل بن شاذان (٢٦٠هـ)، الإيضاح، تحقيق، جلال الدين الحسيني.

٩. الأصفهاني، أبو الفرج (٣٥٦هـ)، مقاتل الطالبيين، قم المقدسة، مكتبة الشريف الرضي، (١٤١٦هـ)، الأغاني، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (١٩٩٤م).

١٠. الأمين العاملي، محسن (١٩٥٢م)، أعيان الشيعة، بيروت، دار التعارف

للمطبوعات (٢٠٠٠م).

١١. البحراني، سيد هاشم (ت١١٠٧هـ)، مدينة المعاجز، الأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر، تحقيق، لجنة بإشراف فارس كريم، قم المقدسة، مؤسسة المعارف الإسلامية(١٤١٦هـ).

١٢. البخاري، أبو نصر سهل بن عبد الله، (٣٤١هـ)، سر السلسلة العلوية، قم المقدسة، الشريف الرضي، ط١، (سنة ١٤١٣هـ).

١٣. البغدادي، (٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، تحقيق، مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، (سنة ١٩٩٧م).

١٤. الجاحظ، عمرو بن بحر، (٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، القاهرة، مكتبة الخانجي، (١٩٦٨م)، الحيوان، البخلاء، الطفيليين.

١٥. الجوهري، إسماعيل بن حماد، (٣٢٩هـ)، تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح)، تحقيق، أحمد عبد الغفور عطاء، بيروت، دار الملايين، ط٤، (سنة ١٩٩٠م).

١٦. الحراني، ابن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول، قم المقدسة، دار الشريف الرضي، (١٤٢١هـ).

١٧. الحسيني النجفي، محمد بن أحمد، بحر الأنساب، المدينة المنورة، دار المجتبى للنشر والتوزيع(١٤١٩هـ).

١٨. الحلواني، الحسين بن محمد (القلانسي)، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، قم المقدسة، ط١، (سنة ١٤٠٨هـ).

١٩. الخوانساري، محمد باقر الموسوي (١٣١٣هـ)، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، قم المقدسة، مكتبة إسماعيليان، (١٣٩٠هـ)

٢٠. الخوئي، أبو القاسم (١٤١٣هـ)، معجم رجال الحديث، قم المقدسة، الثقافة الإسلامية، ط٥، (سنة ١٤١٣هـ)، دائرة المعارف، البستاني بطرس (١٨٨٣م)،

بيروت، دار الجيل، (١٩٧٩م).

٢١. الراوندي سعيد بن هبة الله (٥٧٣هـ)، الدعوات، قم المقدسة، دليل ما، (١٣٨٥هـ.ش).

٢٢. سبط ابن الجوزي (٦٥٤هـ)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تذكرة الخواص، قم المقدسة، منشوارت الشريف الرضي، ط١، (سنة ١٤١٨هـ).

٢٣. السيوطي جلال الدين (٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء، القاهرة، السعادة، ط١، (سنة ١٩٥٢م).

٢٤. الشامي العاملي، يوسف بن حاتم (ق٧هـ)، الدر النظيم في مناقب الأئمة، قم المقدسة، مؤسسة النشر الإسلامي، (١٤٠٩هـ).

٢٥. الشبراوي، الشافعي عبد الله بن محمد (١١٧٢هـ)، الاتحاف بحب الأشراف، تحقيق، سامر الغريري، قم المقدسة، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط١، (سنة ١٤٢٣هـ).

٢٦. الشريف المرتضى، (٤٣٦هـ)، الشافي في الإمامة، قم المقدسة، مؤسسة إسماعيليان ط٢، (سنة ١٤١٠هـ).

٢٧. الشيخ المفيد (٤١٣هـ)، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، طبع وتحقيق مؤسسة آل البيت، قم المقدسة، (١٤١٦هـ).

٢٨. الصدوق، ابن بابويه القمي (٣٨١هـ)، من لا يحضره الفقيه، بيروت، مؤسسة الأعلمي، للمطبوعات، ط١، (سنة ٢٠٠٥م)، كمال الدين وتمام النعمة، صححه وعلّق عليه، علي أكبر الغفاري، قم المقدسة، دار النشر الإسلامي، (١٤٢٢هـ).

٢٩. الصولي، أخبار البحتري.

٣٠. الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الورى بأعلام الهدى، قم المقدسة، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، (١٤١٧هـ).

٣١. الطوسي، (٤٦٠هـ)، مصباح المتهجد، بيروت، مؤسسة فقه الشيعة، (١٤١١هـ)، الغيبة، تحقيق، عبد الله الطهراني وصاحبه، قم المقدسة، ط٣، (١٤٢٥هـ).

٣٢. غي استرانج، بين الخلفاء والخلفاء، ترجمة رشيد فرنسيس.

٣٣. القراغولي، البغدادي السيد محمود، جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام، بغداد ـ الآداب، (١٣٢٩هـ).

٣٤. القرشي، باقر، الإمام العسكري عليه السلام، العراق، دار المعرفة، مؤسسة الإمام الحسن عليه السلام، ط٤، (سنة ١٤٣٧هـ).

٣٥. القرماني، أحمد بن يوسف (١٠١٩هـ)، أخبار الدول وآثار الأول، القاهرة ـ الحلبي، (١٩٨٢م).

٣٦. القمي، الخراز الرازي علي بن محمد (٤٠٠هـ)، كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، تحقيق، عبد اللطيف الحسيني، قم المقدسة، انتشارات بيداء، (١٤٠١هـ).

٣٧. القمي، عباس (١٣١٩هـ)، الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية، تحقيق، فارس حسون كريم، قم المقدسة، انتشارات فدك، (١٤٣٣هـ).

٣٨. الكتبي، ابن شاكر، (٧٦٤هـ)، عيون التواريخ، بغداد، دار الحرية، (١٩٧٧م).

٣٩. الكثيري، محمد (معاصر)، السلفية بين أهل السنة والإمامية، بيروت، مطبعة الغدير، (١٤١٨هـ).

٤٠. الكشي، اختيار معرفة الرجال.

٤١. الكفعمي، تقي الدين العاملي الحارثي، (٩٠٥هـ)، البلد الأمين، قم المقدسة، مؤسسة قائم آل محمد، ط١، (سنة ١٤١٣هـ).

٤٢. الكليني، محمد بن يعقوب، (٣٢٩هـ)، الكافي، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ط١، (سنة ٢٠٠٥م).

٤٣. المالكي، ابن الصباغ، (٨٥٥هـ)، الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة، بيروت، دار الأضواء، ط٢، (سنة ١٩٨٨م).

٤٤. المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، (١١١١هـ)، بحار الأنوار، الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (١٩٨٩م).

٤٥. المحقق الحلي (٧٢٦هـ)، المسلك في أصول الدين، تحقيق، رضا الاستادي، إيران، مؤسسة الطبع والأثر في الأستانة الرضوية المقدسة، ١٤٨٤هـ.

٤٦. المحلاتي، ذبيح الله، مآثر الكبراء.

٤٧. محمد جواد مغنية (معاصر)، نظرات في التصوف والكرامات، بيروت، مكتبة الأهلية.

٤٨. محي الدين ابن العربي، (٦٣٨هـ)، محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار، بيروت، دار صادر.

٤٩. المسعودي، علي بن الحسين، (٦٥٢هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق، عبد الأمير المهنا، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ط١، سنة ١٩٩١م.

٥٠. الموسوي، الحسيني عباس علي (ق٢هـ)، نزهة الجليس، ومنية الأديب الانيس، قم المقدسة، المكتبة الحيدرية، ١٤١٧هـ.

٥١. وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، بيروت، دار المعرفة، ط٣، (سنة ١٩٧١م).

٥٢. اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد، (٧٦٨هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، وضع حواشيه، خليل منصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، سنة ١٤١٧هـ.

٥٣. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، (٢٧٨هـ)، تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار صادر، (١٩٨٤م).

البحث الخامس

الإمام العسكري عليه السلام وسياسة التمهيد للغيبة المهدوية

د. ليلى صالح

الملخص

طينة واحدة طابت وطَهُرت بعضها من بعض، خلقكم الله أنواراً وجعلكم بعرشه محدقين حتى منّ علينا بكم، فجعلكم في بيوت أذن الله أن ترفع ويُذكر فيها اسمه.

الكثير منا لا يعرف من حياة الأئمة عليهم السلام إلّا اليسير، فكيف بنا أنْ نستضيئ بهذه الأنوار النورانية في حياتنا؟ لقد شهدت مرحلة إمامة الإمام الحسن العسكري عليه السلام ذروة الانحراف في المجتمع، فقد تكاثرت فيها عوامل الانهيار، ولولا تصدي الأئمة عليهم السلام للدفاع عن قيم الحق والعدل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لتلاشت الحضارة الإسلامية، وتهاوت قيمها بفعل تحول الترف، والمجون، والجهل لمزاج مجتمعٍ عام، فقد أوغلت السلطات المتعاقبة التي حكمت الأمة بالتسلط والقوة حتى أصبح الإرهاب والقمع أسس الحفاظ على السلطة فضلاً عن التنكيل في البيت السلطوي الواحد.

وقد خاض الإمام الحسن العسكري عليه السلام كآبائه الكرام عليهم السلام ملحمة الكفاح السياسي للحفاظ على أصول الشريعة، والقيم الرسالية، أبرز مهمة إلهية وأهمها أُوكلت إليه كانت التمهيد لعصر الغيبة الحتميّة، والضروريّة بعدما آلت إليه الأمة من انهيار على كافة الأصعدة، هذا ما دفعنا لنطرح **إشكاليتنا** الآتية:

بالرغم من حراجة الظروف السياسية التي عاصر فيها الإمام عليه السلام مدة إمامته القصيرة جدّاً كلاً من: المعتز والمهتدي والمعتمد العباسي، ولاقى منهم أشدّ العنت والتضييق، والملاحقة، والإرهاب، وتعرّض للاعتقال مرّات عديدة، ومما زاد غيض

المعتمد، إجماع الأمة سنّة وشيعة على تعظيم الإمام عليه السلام وتبجيله، وتقديمه بالفضل على جميع العلويين والعباسيين في الوقت الذي كان المعتمد خليفةً غير مرغوب فيه لدى الأمة، **ففي هذا السياق السياسي، كيف تمحور الدور السياسي للإمام العسكري عليه السلام الذي نستلهمه من سيرته العطرة وإرثه الفكري؟**

ومن اليسير أن تؤول الإشكالية في سياق تسويغ بعض التساؤلات، ولكن مدى تطابق الفرضيات هو ما يعكس الصوابية في التحليل والربط التي يشار إليها بفكرة تأسيسية، وتبقى عملية قراءة وفهم الوقائع التاريخية، والسياسية منها والدينية هي التي تسهم في حسم الصورة المعرفية، ما يجعلنا نتوقف عند عدة **فرضيات**:

الفرضية الأولى: استكمل الإمام العسكري عليه السلام سياسة التقية حفاظاً على سلامة النخبة الخلص من الشيعة أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، والأعيان الباقية المتبقية، وكانت هي السبيل الوحيد للحفاظ على التشيع المحمدي الأصيل.

الفرضية الثانية: أنّ تحديد موقف الإمام العسكري عليه السلام المعارض لثوراتٍ انطوت تحت مسميات التشيع من بصيرته سياسية التي واجهها بها مداهنة الحكام العباسيين، وفي الوقت نفسه الذي لزم فيه تحديد موقفه المعارض للحكم العباسي، بدعوته النخب الشيعية لعدم الانخداع بمحاولة الحكام العباسيين في سياسة الدمج بين الإمامة والحكم، وبتصديه عليه السلام لشبهات المنحرفين من قبيل موقفه من الكندي، مما أدى إلى صون العقيدة من الانحراف.

الفرضية الثالثة: أنّ التمهيد وتهيئة الأمة للغيبة الكبرى للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف شكلت محطة مفصلية في التاريخ الاجتماعي السياسي للتشيع لا تقل خطورة، وأهمية عن المحطة المفصلية الكربلائية، وما اعتلاها من نواتج سياسية، واجتماعية على المجتمع الشيعي.

المقدمة

طينة واحدة طابت وطهرت بعضها من بعض، خلقكم الله أنواراً وجعلكم بعرشه محدقين حتى منّ علينا بكم، فجعلكم في بيوت أذن الله أن ترفع ويُذكر فيها اسمه. الكثير منا لا يعرف من حياة الأئمة عليهم السلام إلّا اليسير، فكيف بنا نستضيئ بهذه الأنوار النورانية في حياتنا؟ لقد شهدت مرحلة إمامة الإمام الحسن العسكري عليه السلام ذروة الانحراف في المجتمع، فقد تكاثرت فيها عوامل الانهيار، ولولا تصدي الأئمة عليهم السلام للدفاع عن قيم الحق والعدل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لتلاشت الحضارة الإسلامية، وتهاوت قيمها بفعل تحول الترف والمجون والجهل لمزاج مجتمعي عام، فقد أوغلت السلطات المتعاقبة التي حكمت الأمة بالتسلط، والقوة حتى أصبح الإرهاب، والقمع أسس الحفاظ على السلطة فضلاً عن التنكيل في البيت السلطوي الواحد.

وقد خاض الإمام الحسن العسكري عليه السلام مَثَله في ذلك مثل آبائه الكرام عليهم السلام ملحمة الكفاح السياسي للحفاظ على أصول الشريعة والقيم الرسالية، وأبرز وأهم مهمة إلهية أُوكلت إليه كانت التمهيد لعصر الغيبة الحتميّة، والضروريّة بعدما آلت إليه الأمة من انهيار على كافة الأصعدة، وهذا ما دفعنا لنطرح إشكاليتنا التالية:

وعلى الرغم من حراجة الظروف السياسية التي عاصر فيها الإمام عليه السلام مدة إمامته القصيرة جدّاً كلاً من: المعتز، والمهتدي، والمعتمد العباسي، ولاقى منهم أشدّ العنت والتضييق والملاحقة والإرهاب، وتعرّض للاعتقال عدّة مرّات، ومما ازداد غيض المعتمد، إجماع الأمة سنّة وشيعة على تعظيم الإمام عليه السلام، وتبجيله، وتقديمه بالفضل على جميع العلويين، والعباسيين في الوقت الذي كان المعتمد خليفةً، غير مرغوب فيه لدى الأمة. ففي هذا السياق السياسي، كيف تمحور الدور السياسي للإمام العسكري عليه السلام الذي نستلهمه من سيرته العطرة وإرثه الفكري؟

من السهل أن تؤول الإشكالية في سياق تسويغ بعض التساؤلات، ولكن مدى تطابق الفرضيات هو ما يعكس الصوابية في التحليل والربط التي يشار إليها بفكرة تأسيسية، وتبقى عملية قراءة وفهم الوقائع التاريخية، السياسية منها، والدينية هي التي تسهم في حسم الصورة المعرفية ما يجعلنا نتوقف عند عدة فرضيات:

الفرضية الأولى: استكمل الإمام العسكري عليه السلام سياسة التقية حفاظاً على سلامة النخبة الخلص من الشيعة أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، والأعيان الباقية المتبقية، وكانت هي السبيل الوحيد للحفاظ على التشيع المحمدي الأصيل.

الفرضية الثانية: أنّ تحديد موقف الإمام العسكري عليه السلام المعارض لثوراتٍ انطوت تحت مسميات التشيع من بصيرته سياسية التي واجهها بها مداهنة الحكام العباسيين، في الوقت نفسه الذي لزم فيه تحديد موقفه المعارض للحكم العباسي، بدعوته النخب الشيعية؛ لعدم الانخداع بمحاولة الحكام العباسيين في سياسة الدمج بين الإمامة والحكم، وبتصديه عليه السلام لشبهات المنحرفين من قبيل موقفه من الكِندي، مما أدى إلى صون العقيدة من الانحراف.

الفرضية الثالثة: أنّ التمهيد وتهيئة الأمة للغيبة الكبرى للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف شكلت محطة مفصلية في التاريخ الاجتماعي السياسي للتشيع لا تقل خطورة وأهمية عن المحطة المفصلية الكربلائية، وما اعتلاها من نواتج سياسية واجتماعية على المجتمع الشيعي.

أهداف الموضوع وعلاقته بالمحاور.

طرح إشكاليتنا محاولة لكشف بعض الملابسات التاريخية ويهدف إلى حفظ إرث أهل البيت عليهم السلام الاجتماعي والسياسي، وهو النموذج الكامل للإنسان، لأنه خليفة الله على على وجه الأرض، القدوة والأسوة للأجيال القادمة.

المنهج

لجأنا إلى المنهج التاريخي في معايشة الوقائع زماناً ومكاناً، وهذا ما يساعد الباحث الاجتماعي في التعرف على ماضي الظاهرة، وتحليلها وتفسيرها علمياً على ضوء الزمان والمكان الذي حدثت فيه.

خطة البحث

من مقدمة وثلاثة مطالب.

المطلب الأول: مفهوم السياسة وعلاقتها بالإمامة.

المطلب الثاني: الإمام العسكري عليه السلام: النسب، والإمامة، وإرثه الفكري.

المطلب الثالث: أدوار الإمام عليه السلام السياسية.

الخاتمة ونتائج البحث.

المطلب الأول: مفهوم السياسة وعلاقتها بالإمامة.

أولاً: مفهوم السياسة العلائقي.

السياسة لغةً، تعني ساسة الناس وتدبير شؤونهم الحياتية، و«الولاية» اشتق لفظها من تولي شؤون العباد العامة والخاصة، وأنيطت بالولي والقائد المتمثل بالرسول صلى الله عليه وآله، من هنا ارتبطت الولاية بالسياسة بعلاقة تلازمية تختلف من حيث قيمها التي تُعرف بها حديثاً بأنها فن الممكن.

و**اصطلاحاً**، لم تكن السياسة بالشأن الجديد أو المستجد، إذ إنّ المصادر التاريخية تشير إلى تعاطٍ سياسيٍ محلي باختلاف المراحل التاريخية، بمسميات مختلفة «ثورات، انتفاضات، معارك...» تلازمت وحركات سياسية تحالفات، ومعاهدات، مؤتمرات.. داخلية وخارجية. داخلية بين التنظيمات الاجتماعية السياسية من قبائل وعشائر. وخارجية، خارج الكيانات العربية والإسلامية والأعجمية.

إنّ إشكالية الفكر السّياسي الإسلامي تمحورت مع إشكالية الواقع منذ وفاة الرسول محمد صلى الله عليه وآله. فالمجتمعات البشرية تتأثر بثلاثة عوامل أساسية في إنتاج الفكر والسلوك الاجتماعيين:

١. الايديولوجيا الدينية، أو الفكرية.

٢. الأعراف والتقاليد التي تأتي غالباً نتيجةً لتراكم الحضارات والثقافات وتفاعلها حيناً، وتضاربها، أو تنازعها أحياناً، وتكمن أهمية الهوية إلى جانب العادات والتقاليد، بما تشكله من ذاكرة جمعية، تختزن الكثير من ذكريات الماضي ووقائع التّاريخ في حياة الشعوب، ولكنها ليست أحداثاً جامدةً كمدونات التّاريخ، وإنما هي موروثات ثقافية تستند إلى الكثير من العناصر المتوالفة والمتراكمة على مدى الأجيال، فهي تختزن الكثير من القدرة على الحضور بيّدَ أنّها تشكلت من ماضٍ قريبٍ مشفوعٍ بالمآسي والهزيمة، وربما بالقليل من النجاحات، ما أبقاها حيةً في الوجدان والعقل،

يستدعيانها في مواجهة التحديات، والتّحولات المستجدة فضلاً عن كونها إحدى أساسيات التّضامن، واللحمة، والوشائجية بين الجماعات.

٣. النظام السياسي الحاكم بما يحمله من روئ اجتماعيةٍ تؤثر في المجتمع عبر القوانين والأحكام الملزمة لأبناء المجتمع، فتثبت إنتاجاً ثقافياً، وتربوياً منسجماً مع مبادئ وخلفيات هذا النظام سواء أكانت مادية قبلية جاهلية، أم روحية إنسانية منفتحة.

ثانياً: الولاية والإمامة.

الولاية لغة: مأخوذة من الفعل الثلاثي (ولى)، يقال: وَلِيَ الشيءُ وَوَلِيَ عليه وَلاية وولاية، والواو واللام، والياء: أصل صحيح يدل على القرب والدنو، يقال: تباعد بعد وَلْي، أي: قُرْب، وجلس مما يليني، أي يقاربني[1].

واصطلاحاً تستخدم بمعنى القرب الخاصّ الذي يفيد القرب واللصق، وما كان مرادفاً وردفاً للغير من دون حاجب وفاصل، فالولاء والتَّوالي هو أن يحصل شيئان فصاعداً حصولاً ليس بينهما ما ليس منهما، ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان ومن حيث النسبة، ومن حيث الدين ومن حيث الصداقة، والنصرة، والاعتقاد.

﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسولُهُ وَالَّذينَ آمَنوا الَّذينَ يُقيمونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسولَهُ وَالَّذينَ آمَنوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغالِبونَ﴾.[2]

ترد الولاية هنا بمعنى التقرّب إلى الله سبحانه في مقام المحبّة والطاعة، فوليّ الله المحبّ لله، والواله فيه، والمطيع له، والمتابع له في ما يحبّه ويرضاه، ويبغضه ويسخطه. والنبيّ صلى الله عليه وآله وليّ المؤمنين، تأتي هنا بمعنى الحكومة عليهم، وأنّه أولى بهم في التصرّف، فهو حاكم من حيث التدبير، والتوجيه، والإرشاد، والتعليم، والتربية، وهذا المعنى

(١) الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ص١٧٣٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

يصدق على الإمام المعصوم عليهم السلام الذي يستخلف النبيّ صلى الله عليه وآله في حفظ الرسالة من الضياع والعدم، فهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

من هنا ارتبط مفهوم الولاية، والإمامة بلفظ الشّيعة، والتشيع للإمام المعصوم.

الشيعة لغةً: أتت من لفظ شايع أي تبع، ويقال: شايع فلان فلاناً، بمعنى والاه وتابعه على أمر، وهو من شيعته، فارتبط لفظ الشيعة بالولاية من والاه من الولي، أو الولاء.

واصطلاحاً: في البداية لم تحمل فكرة الشّيعة بعداً مذهبياً، بل أخذت بعداً سياسياً عبر عن رفض موقف سياسي حصل عشية وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى علياً، وأهل بيته حتى صار لهم اسماً خاصاً، وسواء فسرت لفظة «شيعة» بالأتباع والأنصار، أو بالمشايعة، والمطاوعة، أو الموالاة لآل البيت عليهم السلام، فإن هذه اللفظة ظهرت في عهد الرسول صلى الله عليه وآله، وكانت لقباً للأربعة من الصحابة هم «أبو ذر الغفاري، المقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وسلمان الفارسي» إلى أن اشتهرت بين موالي الإمام علي عليه السلام، في واقعة (صفين)، فمصطلح الشّيعة لم ينشأ بعد وفاة الرسول بل كان يتم استخدامه في حياته. هذا ما جعل «المؤرخ جعفر المهاجر» يخرج عن التمحيص اللغوي بنتيجة عدَّ فيها أن كلمة «الشيعة» تحمل معنى جَمع المتشابهين في الاتباع حصراً، دون الالتفات إلى ما بينهم من فروق مما يكون بين كل الأفراد في الجماعة، دلالة على الطابع المزجي[1]، مستنداً إلى أنّ مصطلح «الشّيعة» استخدم كمفهوم سياسي يدل على اتباع اتجاه، أو حركة سياسية لفرد، أو جماعة.

وأنّه بالتحليل المقارن لحادثة (سقيفة بني ساعدة) نجد أنّ الاختلاف على الخليفة يوم ارتحل الرسول صلى الله عليه وآله لم يكن حول القاعدة الدينية، فهم لم يتبعوا شروط الشورى (كمفهوم ديني إسلامي)؛ لأن أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله، وبعض الصحابة

(١) المهاجر، جعفر، أسامي الشّيعة وما فيها من خفايا تاريخهم، ص١٩.

ولفيف من شيعة علي عليه السلام، كانوا بعيدين عن السقيفة، وما جرى فيها مشغولين بتجهيز الرسول صلى الله عليه وآله، والسمة الاجتماعية التي اتسمت بها هذه الجلسة تقوم على مفارقات عصبية أكثر منها جدلية دينية حول النص، أو الشورى، فالأنصار كانوا يرون أنفسهم أولى بإدارة الأمور؛ لأنّهم آووا النبي صلى الله عليه وآله ونصروه، والمهاجرون يرون أنفسهم أولى بها؛ لأنهم أصل النبي صلى الله عليه وآله وعشيرته من دون أن يبحث، أو يختلف أحد الطرفين على القاعدة الدينية، بل كانت من الأمور المغفول عنها، وكان الهدف من الاجتماع هو تسلم منصّة الخلافة، وتداول كرتها بين أبنائهم وعشيرتهم هذا من جهة.

ومن جهة ثانية أنّ الاختلاف في الإمامة بعد أيام الخلفاء تحول إلى اختلافٍ كلامي (النص أو الشورى) مع نشوء الخلافات الفكرية، ثم برز الاختلاف المذهبي في العهد العباسي بعد تعدد المذاهب، هذه الإشارة وغيرها من المدلولات التي تشير إلى أن الخلاف في بدايته اختلافٌ سياسيٌ محض اجتمعت فيه كل عناصر السياسة (القوة والسلطة والعصبية)، وليس مذهبياً[1]، وتَدلُّ المرحلة العباسية على حقيقتين تاريخيتين:

الأولى: الخلفية الفكرية لتوجس السلطات العباسية بفعل أصالة الفكرة المهدوية في وجدان المجتمع الإسلامي، وفي فكر السلاطين أنفسهم مع اقتراب ولادة القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله، وحتمية دولة العدالة المهدويّة التي تهدد سلطانهم.

والحقيقة الثانية هو توجسهم من القوة الشيعية الذّي يعكس هواجس من الوجود الشيعي في منطقة الشام والعراق، الذّي بلغ من الواقعية، والقوة ما يستلزم توجس الخلافة العباسية منه على سلطانهم بعدما أصبح هوية جامعة لكثير من عناصرها المجتمعية.

---

(١) وبلغ أوج خطورته حين صدع الإسلام في مرحلة تأسيسه، فالمجتمع الإسلامي حديث العهد بالإسلام وبأصول الحكم والسلطة الذي لم يُدرك مكنوناته إلّا قلة منهم أهل البيت وبعض الصحابة.

المطلب الثاني: الإمام العسكري عليه السلام: النسب، والإمامة، وظرفه السياسي، وإرثه الفكري.

توطئة

استقدم الخليفة العباسي الإمام الهادي عليه السلام إلى سامراء ليبقى تحت نظره خوفاً على سلطانه من حق الأئمة بالولاية، وقضى عشرين سنة إذ كان يمتلك مزرعة يعيش ويعمل فيها، وابنه الإمام العسكري عليه السلام الذي كان له من العمر خمس سنوات.

أولاً: ولادته: ولد في اليوم العاشر من الربيع الثاني من عام (٢٣٢هـ) وقد كانت ولادته في المدينة المنورة.

نسبه عليه السلام: يعود نسبه للإمام الحسين عليه السلام من أبناء فاطمة الزهراء عليها السلام وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

والده: الإمام علي الهادي عليه السلام[1].

والدته:

السيدة سوسن (رضوان الله عليها)[2] كانت أحد الوسائط بين الإمام

(١) هو الإمام علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، أمُّه: أمّ ولد يُقال لها: سُمانة، وقيل غير ذلك، كُنيته: أبو الحسن، أبو الحسن الثالث، أما ألقابه: الهادي، المتوكل، الفتاح، النقي، المرتضى، النجيب، العالم، وغيرها، تاريخ ولادته: (١٥) ذي الحجة ٢١٢هـ، وقيل غير ذلك، ولد في المدينة المنورة/ قرية (صريا)، وتبعد ثلاثة أميال عن المدينة المنورة. زوجاته عليه السلام: أمّ ولد يُقال لها: سَوْسَن، وقيل غير ذلك، أولاده الإمام الحسن العسكري عليه السلام، والحسين، ومحمد، وجعفر، نقش خاتمه: حِفْظُ العُهُودِ مِن أخلاق المَعبُود، مُدة إمامته: (٣٣) عاماً. تاريخ شهادته: (٣ رجب ٢٥٤ هـ). أما مكان شهادته ودفنه: سامراء.

(٢) هي زوجة الإمام الهادي عليه السلام، وأُمّ الإمام العسكري عليه السلام، وجدّة الإمام المهدي عجل الله فرجه. قيل عن كنيتها أُمّ الحسن، وأسمها سوسن، وقيل: حديث، وقيل: سليل. كما كانت من العارفات الصالحات (رضوان الله عليها). وقد أثنى عليها الإمام الهادي عليه السلام، وأشاد بمكانتها وسمو

الحجّة عليه السلام وبين شيعته، فهي المفزع للشيعة بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام، واستتار الإمام المهدي عليه السلام عن الناس، وعندما سُئلت السيّدة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام: (فإلى مَن تفزع الشيعة؟ قالت: إلى الجدّة أُمّ أبي محمّد عليه السلام)[1]، فكانت من النماذج النسوية في حركة التشيع، التي شهد لها الأئمة عليهم السلام بمناقبيتها، واطلاعها الفقهي والسياسي، وشكلت مصدر ثقة المعصوم في رسالته للأمة، فهي من أعلام القرن الثالث الهجري، ودُفنت بجوار مرقد الإمامينِ العسكريين عليهما السلام في مدينة سامراء.

أولاده: إن المشهور بين الشيعة الإمامية أن الإمام العسكري عليه السلام لم يكن له من الولد سوى الإمام محمد المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، ويدل عليه ما أشار إليه الشيخ المفيد رضي الله عنه، إذ قال: أما الحسن بن علي العسكري عليه السلام، فلم يكن له ولد سوى صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، ولم يخلّف ولداً غيره ظاهراً أو باطناً[2].

ثانياً: إمامته.

إن النص على الإمام اللاحق من الإمام السابق هو إتمام للحجة وبيان للحقيقة، وإنقاذ للناس من الجهالة وحيرة الضلالة، وتمثل هذه النصوص وثائق تتضمن الإعلان والإسرار، والإجمال، والتفصيل إلّا أن اشتداد ظروف مرحلة الإمامين العسكريين الهادي والعسكري عليهما السلام لم تسمح بالتجاهر بالتنصيص على الإمامة بصورة علنية، وبكل وضوح، حفظاً لحياة الإمام، وحقناً لدمه، فكانوا ينتهزون الفرص الملائمة للنص للوكلاء والثقة من الشيعة بنصوص عامة ونصوص خاصة، وقد نص جده

منزلتها وكراماتها، فقال عليه السلام: «سليل ـ وهو اسمها ـ مسلولة من الآفات والأرجاس والأنجاس»، ثمّ قال لها: سيهب الله حجّته على خلقه يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً»، ولم تحدد سنة وفاتها في المصادر المعتبرة، إلّا أنّها كانت من أعلام القرن الثالث الهجري، ودُفنت بجوار مرقد الإمامينِ العسكريين عليهما السلام في مدينة سامراء.

(١) الشيخ الطوسي، الغيبة، ص٢٥٤.

(٢) المفيد، الإرشاد، ص٣٣٩.

الإمام الجواد عليه السلام وأبوه الإمام الهادي عليه السلام على إمامته نذكر منها:

ما رواه الصدوق بسنده عن دلف: سمعت أبا جعفر: محمد بن علي الرضا عليه السلام يقول: «إن الإمام من بعدي ابني علي، أمره أمري، وقوله قولي، وطاعته طاعتي، والإمامة بعده في ابنه الحسن، أمره أمر أبيه، وقوله قول أبيه وطاعته طاعة أبيه..»[١].

وروى الصقر بن أبي دلف قال: سمعتُ علي بن محمد بن علي الرضا عليه السلام يقول: «إن الإمام بعدي الحسن ابني، ومن بعد الحسن ابنه القائم، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً ظلماً».[٢]

وقد عاصر الإمام العسكري عليه السلام ووالده الإمام الهادي عليه السلام كلاً من الخلفاء العباسيين: الواثق، والمتوكل، والمنتصر، والمستعين، والمعتز في إمامة والده، والمعتز والمهتدي، والمعتمد في إمامته، في أجواء من الاضطهاد والكبت، ومعترك الفتن والمشاغبات والمؤمرات، حتى استشهاده ودفنه بجوار والده عليه السلام.

بمقاربة موجزة لحياة الإمام العسكري عليه السلام تكشف لنا مفارقة شاسعة في النواتج السياسية الاجتماعية للطبقة الحاكمة ومسيرة الأئمة عليهم السلام، حيث حكم ثمانية من الخلفاء العباسيين وهلكوا جميعاً، واحداً تلو الآخر بين من قتله ابنه، وآخر قتله ابن أخيه، والباقي أذلاء، حتى تشتت حكمهم وانقرضوا بفترة وجيزة بعد استشهاد الإمام العسكري عليه السلام، أما الشيعة وحراكهم السياسي فبالرغم مما عانوه من عنفٍ، وقمعٍ، قبل وبعد مرحلة الغيبة الصغرى ثم الكبرى، تكشف هذه النواتج السياسية الاجتماعية عن مواجهة انتصر فيها الحق في **الباطن**، حيث كمنت فيه أسرار الغيبة الصغرى والكبرى للإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف، و**الظاهر** الذي ازداد فيه الشيعة قوة وانتشاراً يوماً

(١) الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ص٦١.

(٢) الخزاز القمي، كفاية الأثر: ص٢٩٢.

بعد يوم.

ثالثاً: كنيته:

أبو محمد، وكان يكنى بالهادي، الصامت، الرفيق، الزكي، النقي.[١]

رابعاً: نقش خاتمه عليه السلام

في مقاربة ظاهرة التختم للأنبياء والأئمة عليهم السلام، والنقوش التي تحملها، نجد دلالة رمزية تتجاوز التبرك، والعفوية والترف الفكري على الإطلاق. يظهر ذلك من النقوش على خواتم الأئمة عليهم السلام وحتى من سبقهم من الأنبياء عليهم السلام، من النبي آدم عليه السلام وخاتمه الذي هبط معه ونقش عليه «**لا إله إلا الله محمد رسول الله**» وصولاً لخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله «**صدق الله**»، في محاولة منهم عليهم السلام للتركيز والتأكيد على حقيقة يهتمون بتقريرها أو اتجاه معين لابد من التوجيه إليه والتأكيد عليه، أو ضرب وإدانة مفهوم أو اتجاه آخر، تفرض المسؤولية الرسالية تسجيل موقف رافض منه، حتى ولو من أجل تعريف الأجيال الآتية، وإظهار ما يمكن إظهاره من الحقائق لها في ظاهرة بتوجيه الأنظار إليه، وإعلام الناس به...[٢]

فمن يتأمل ما ورد في الأخبار والنصوص من اختلاف ظاهر بين العبارات التي كان يكتبها الأئمة على الخواتم التي كانوا يلبسونها، وحتى في العبارات المختلفة التي كانت تنقش على الخواتم المتعددة التي لإمام واحد، يخرج بحقيقة: إنها تحمل في طياتها إشارات شديدة الوضوح أحياناً، وفيها شيء من الخفاء أحياناً أخرى لأمور مهمة نابعة من طبيعة المرحلة التي كانوا يعيشونها ومن واقع الاهتمامات التي كانت تفرض نفسها عليهم، وكانت من الخطورة والأهمية بحيث كان لابد لهم من الإشارة إليها، وتحديد موقفهم منها، ولو بهذا المستوى وحتى بهذا الأسلوب.

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥، ص٢٣٦.

(٢) مرتضى، جعفر، نقش خواتيم النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليه السلام، ص٧٦.

فقد كان نقش خاتم الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «**إن الله شهيد**». وفي نص آخر: «**سبحان من له مقاليد السماوات والأرض**»[١]. وفي مقاربة ما نقش على خاتم الإمام عليه السلام ومرحلته السياسية، نجد أنه كان لابد للإمام العسكري عليه السلام من أن يعلن للشيعة بشكل صريح وواضح: بأن الإمام بعده لن يكون حاضراً بينهم، وأن عليهم أن يعدوا أنفسهم لمواجهة حالة كهذه، كما أن عليهم أن يجعلوا نصب أعينهم حقيقة بأن غيبته عليه السلام لا تعني أن كل شيء قد انتهى، وذلك لأن الله هو الرقيب وهو الشهيد عليهم، على حد قوله تعالى، حكاية عن عيسى عليه السلام، ﴿.. **مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾[٢] والآيات التي تتضمن شهادة الله والأنبياء وغيرهم، على الناس كثيرة لا مجال لذكرها، فأتى نقش خاتم الإمام الحسن العسكري عليه السلام ليمهد ويؤكد على هذه الحقيقة ليتعاملوا معها.

إرثه الفكري:

الإرث الفكري للإمام عليه السلام قد تعرض لما تعرض إليه الإرث الفكري للأئمة عليهم السلام من حملات الضياع، والإخفاء، لطمس الحقائق، ناهيك عن حملات الحرق والنهب التي طالت الكثير من المكتبات الشيعية بصورة عامة، فضلاً عن التحريف للنصوص لغايات سياسية تضليلية، قد احترفت السلطات المتعاقبة إتقانها. فما بقي من الإرث الفكري للإمام العسكري عليه السلام بحسب ما وصلنا إليه مما حفظه وجمعه خواصه وشيعته:

الأدعية المتواترة عنه عليه السلام، التي تختزن في طياتها كنوزاً من المعارف العقدية والآداب الاجتماعية والأحوال السياسية، وتعتبر زيارة الأئمة عليهم السلام الموسومة بالزيارة

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٠، ص٢٣٨.

(٢) سورة المائدة، الآية ١١٧.

الجامعة والمروية عنه مدرسة سيارة لتعليم العقيدة الإسلامية والانفتاح على جميع مفرداتها.[١]

الأحاديث الشريفة، والبحوث الكلامية والعقائدية العديدة التي انبرى فيها لخدمة مبادئ الإسلام الحقة، ولعله من أهمها رسالته المطولة إلى أهل الأهواز التي رد فيها على فكرة الجبر والتفويض[٢].

تفسير القرآن المنسوب للإمام العسكري عليه السلام، وهو «يحتوي على تفسير السور الأولى للقرآن الكريم وما زال قيد التحقيق فيه، وقد اختلف الفقهاء والعلماء حول صحة انتساب (تفسير الإمام الحسن العسكري) إلى الإمام العسكري عليه السلام، إلا أن الشيء المؤكد أنه قد ورد عنه عليه السلام الكثير من النصوص في تفسير القرآن الكريم. ويُعد الإمام الحسن العسكري عليه السلام من أئمة المفسرين، لما عنده من اهتمام كبير بالقرآن الكريم، وتفسير لسوره وآياته، وبالرغم من أنه لم يصل إلينا كل ما فسره لآيات الذكر الحكيم. وكتاب (تفسير الإمام الحسن العسكري) مطبوع ومتوافر في المكتبات، ويقع في مجلد كبير تتجاوز عدد صفحاته ٦٠٠ صفحة من الحجم الكبير، ويحتوي على تفسير سورة الحمد، وقسم من سورة البقرة، وقد اختلف المحققون والعلماء في نسبته للإمام العسكري منذ شيوعه في القرن الرابع الهجري وإلى يومنا هذا بين موافق لنسبته للإمام عليه السلام، ومعارض لذلك[٣].

وصيته عليه السلام: ورد في وصيّته عليه السلام لأتباعه وشيعته: «**أوصيكم بتقوى الله، والورع في دينكم، والاجتهاد لله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من**

---

(١) الكعبي، علي، الإمام علي الهادي عليه السلام سيرة وتاريخ، ص١٠.

(٢) المصدر السابق، ص١٠.

(٣) تفسير القرآن للإمام العسكري عليه السلام بين القبول والنفي».https://www.AlkAwthArtv.Com/news/122271

برّ أو فاجر، وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمّد صلى الله عليه وآله، صلوا عشائرهم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم، وأدوا حقوقهم، فإنّ الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق في حديثه، وأدّى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس، قيل: هذا شيعي فيسرّني ذلك، اتقوا الله وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، جرّوا إلينا كلّ مودة، وادفعوا عنا كلّ قبيح، فإنّه ما قيل فينا من حسن فنحن أهله، وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك، لنا حقّ في كتاب الله، وقرابة من رسول الله، وتطهير من الله لا يدعيه غيرنا إلّا كذاب. أكثروا ذكر الله وذكر الموت، وتلاوة القرآن، والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله فإنّ الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله عشر حسنات، احفظوا ما أوصيتكم به واستودعكم الله واقرأ عليكم السلام».

ومن وصيّة له عليه السلام لعلي بن الحسين بن بابويه القمي والد الشيخ الصدوق قدس سره: **«أوصيك بتقوى الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، فإنّه لا تقبل الصلاة من مانع الزكاة، وأوصيك بمغفرة الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، ومواساة الإخوان، والسعي في حوائجهم في العسر واليسر، والحلم عند الجهل، والتفقّه في الدين، والتثبت في الأمور، والتعاهد للقرآن، وحسن الخلق، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، قال الله تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾، واجتناب الفواحش كلّها.. وعليك بصلاة الليل، فإنّ النبي صلى الله عليه وآله أوصى علياً عليه السلام فقال: يا علي، عليك بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل، ومن استخفّ بصلاة الليل فليس منّا، فاعمل بوصيّتي وأمر جميع شيعتي بما أمرتك به، حتى يعملوا به، وعليك بالصبر، وانتظار الفرج، فإنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج»**[1].

(١) القمي، عباس، الأنوار البهية، ص٢٦٤.

الثالث: دور الإمام عليه السلام السياسي

توطئة.

الحديث عن الفكر الديني والسياسي للشيعة يأخذنا في طريق إلزامي للخوض في واقع الإشكالية، التّي عاشتها الأقلية الشيعية محاطة بوسط مخالف مذهبياً؛ لأن علاقة الدين بالسياسة مسألة جوهرية في دراسة الفكر الشيعي، «فالسلطة في المجال الإسلامي الشيعي هي ولاية، وإن تكن مفردات السلطة، والسلطان، والدولة تعبيرات تأخذ مكانها في صياغات الفكر السياسي الشيعي، إلّا انّ استخدام السلطة بوصفها إمرة وحاكمية، تحتوي معنى الدولة وتتجاوزها في آنٍ، فالدولة غاية من غايات السلطة إلّا أنّها لا تنحصر بها، فقد يكتب لها الأسبقية عليها دون أن يكون للدولة تحقيقاً فعلياً، وقد تنفصل عنها فتتجاوزها»[1]، فهي قطب رحى الحراك الاجتماعي السياسي في جميع أشكاله؛ وعليه، ولفهم بنية حركة التشيع لا بد من استقراء تلك العلاقة وتطورها في الواقع بعرض العوامل المؤثرة على هذا التطور.

أولاً: الحراك السياسي الشيعي

يُعَدّ الشّيعة في رؤيتهم الدينية أن حركتهم السياسية تحمل مفاعيل استمرار الرسالة المحمدية مستندة إلى وجود المعصوم (الرسول، والإمام)، وبغيابه تسند إلى (أولي الأمر) «الولي الفقيه»[2] بعد مقاربتنا لهذه البنى الاجتماعية السياسية عند الشّيعة لا تغفل الأهم في ذلك، وهو أن مشروعهم المجتمعي الذي يَعُدُّ الشّيعة هدفهم في الحراك السياسي، ويحمل أهدافاً تغييرية على مستوى الفرد والمجتمع، أساسه العدالة

(١) فياض، علي، الدّين والسّلطة، ص٩.

(٢) ولاية الفقيه هو البحث عن الحاكميّة في زمن الغيبة الكبرى للإمام الحجّة المنتظر عجل الله فرجه الشريف، بما أنّ حاكميّة الله تعالى لا تقتصر على زمن دون آخر. انظر، ولاية الفقيه في فكر الإمام الخميني، ص٨.

الاجتماعية التي تتمظهر بأحد أوجهها بالخروج على الحاكم الظالم، وإن كان مسلماً، أو حتى شيعياً، إذ ارتكز هذا المفهوم التغييري، واستمد قوته من واقعة (كربلاء)، التي حُفظت بعقل، ووجدان التاريخ الشيعي حتى يومنا هذا، يستمدون منها كل عناصر التغيير والثورة إلى جانب عناصر القوة التي أبرزها: جاذبية القيادات الشيعية بالنسبة للجماهير الشيعية، وهذا يعود إلى العلاقة العقائدية والعملية بين الطرفين امتلاك الحركة الشيعية القدرة على تشكيل حالة استقطاب، ومن ثمّ استنهاض مقوماتها من شرعية ومشروع متكامل بحسب تعبيرهم، ومن تراكم تاريخهم المقاوم للظلم.

وعلى ضوء ما سبق يُستدَلُّ على أن إقصاء حركة التّشيّع، أو الشّيعة عن موقعها ودورها في المجتمع الإسلامي، قد جاء نتيجة طبيعتها الثّورية التّغييرية الرّافضة للواقع المحافظ على السّنن الجاهلية العربية، هذا السّلوك المجتمعي «التّغييري»، يختزن قابلية التّكييف مع المستجدات الموضوعية الجديدة، في القوة نفسها الذي ينسجم فيه مع الفكر الاجتهادي الدّيني ما لم يتعارض مع النص الدّيني.

ثانياً: الواقع السياسي الاجتماعي الشيعي.

لمقاربة مجمل الواقع الاجتماعي السياسي الذّي يعيشه الشّيعة اليوم نلحظه من واقعهم الديموغرافي والجغرافي، والاجتماعي، والفكري.

ومن الطبيعي **ديموغرافياً** أن يتشكل التكتل السكاني حول السلطة الحاكمة للاستفادة من المواقع السلطوية والاقتصادية، فتنمو تكتلات ديموغرافية سلطوية، وتكتلات ديموغرافية رافضة للسلطة، وقد سموا الشّيعة تاريخياً، وتحديداً في شبه الجزيرة العربية «بالروافض، أو الفرقة الرافضة»[1]، وما زالوا يلقبون بهذا اللقب حتى اليوم، وبالرّغم من الوجود الديموغرافي للشّيعة كقلة عددية في التعداد السكاني

(١) يقول أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري (الشيعي) بأنهم إنما قيل لهم: رافضة؛ لأنهم رفضوا الباطل وتمسكوا بالحق. الطبري، محمد بن جرير، دلائل الإمامة، ص٢٥٥.

الإسلامي العام، بقيت إشكالية حركة التّشيع الفكرية ـ التغيير المذهبي من المذاهب الإسلامية باتجاه المذهب الشّيعي التي لم يثبت توجه فكري شيعي بشكل عملي ـ تشكل هاجساً في الحديث والمناظرات الإعلامية في توجهات المذاهب السلطوية.

وجغرافياً اعتمد بعض الحكام سياسة نفي أفراد وجماعات التيار الشيعي، وعملوا على تشتيت جمعهم ونشرهم في الأقطار المختلفة إسهاماً في إضعاف حركتهم.[١]

اجتماعياً، شكلت جذرية الفكر الشيعي، وارتباطه المباشر بالمثل الأعلى للمجتمع الإسلامي (الرسول والأئمة) سبباً في خشية الحكام من انفتاح المجال أمام الفكر الشيعي وانتشاره، فعملوا على تشويه صورته بالطرق المختلفة ومنها اعتماد سياسة سبهم على المنابر[٢]، والسعي لإقصائهم عن الحكم وغير ذلك لا مجال لذكره هنا.

ولوحظ **فكرياً** منع التدوين واختفاء كثير من دواوينهم وكتبهم، ولعل المجال الفكري الأكثر تأثراً بالظروف المحيطة بالأحكام السياسية المتعلقة بمشروع الدولة الذي يشكل مشروعاً فكرياً عضوياً بإشكالية عقيدة سياسية اجتماعية.

وفي ملاحظة الواقع الشيعي بعد الغيبة الكبرى تجلّت عدة أُطر جوهرية للتعاطي مع الدولة الحاكمة:غياب مشروع الدولة مع الغيبة الكبرى (غياب المعصوم)، والعمل تحت ولاية الجائر. وقِيل في هذا الصدد: «من المسائل الجديرة

(١) كان منها إقصاؤهم إلى بلاد سواحل بلاد الشام (المنطقة الدائمة التوتر أمنياً واستراتيجياً كإقصاء أبي ذر الغفاري إلى جبل عامل الذّي يسند إليه التّشيع فيه). انظر: جابر، علي داوود، الحلقة الضائعة في تاريخ جبل عامل، ص٦٠.

(٢) يعود تاريخ سب ولعن الإمام علي عليه السلام على ألسنة بني أمية إلى زمن حياته عليه السلام؛ ولذلك جعل الإمام الحسن عليه السلام من ضمن بنود المعاهدة مع معاوية الكف عن سب الإمام علي عليه السلام على المنابر. الطبرسي: إعلام الورى، ص٢٠٦.

بالاهتمام التي يلحظها المتتبع لتاريخ علماء الشّيعة، اتخاذهم مسلكاً خاصاً في العلاقة مع السياسيين، ورجال السلطة في البلاد التي استوطنوها، مسلك لا يمكن وصفه بالموالاة، ولا يمكن تصنيفه في خانة المعارضة، فهو وقوف على الحد الفاصل بين الجهتين، ويمكن تمييزه بسهولة عن مواقف السياسيين الآخرين، وكذلك الأمر في الموالاة، فقد حافظوا على علاقة مع رجال الحكم قريبة إلى حالات معدودة، فإن هذا كان الطابع العام لعلاقة العلماء بالسلطات لعدة قرون»[1]، ولكن في مجال شرعية القيام بمهام المعصوم بقي فقدان مقومات دولة شرعية يؤدي إلى تشتت الرؤية تجاه الأحكام الاجتماعية الذي تُرجم عملياً بتضييق دائرة ولاية الفقيه، واقتصارها على جوانب محددة، فتباينت آراء الفقهاء في الجوانب المسموحة والأخرى المستبعدة.

ثالثاً: مرحلة الإمام العسكري عليه السلام وأدواره السياسية:

تُعَدُّ مرحلة الإمام العسكري عليه السلام أشد المراحل ضغطاً على الأئمة عليهم السلام لاقترابها من عصر الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، فبعد أن ضاق الناس من ظلم جيش المعتصم العباسي نقل عاصمة الخلافة من بغداد إلى سامراء وأجبر كلاً من الإمام الهادي والإمام العسكري عليه السلام على العيش في سامراء في منطقة عرفت باسم «العسكر» تحت المراقبة.[2] ولا تنفصل النواتج السياسية الاجتماعية التي وصل إليها المجتمع الإسلامي في العهد العباسي عما سبقها من سياسات لسلطات الأمر الواقع، وما يهمنا هو التحول الذي أحدثته هذه السياسات في مرتكزات الحكم الإسلام الأصيل للقيادة في الإسلام، فقد خرجت سياسة الحكم عن الولاية، والشورى، وحتى عن الإجماع لترتكز على الاستبداد، والإرهاب، والقمع، والتنكيل حتى داخل البيت الأسري الحاكم، ومن الشواهد التاريخية يومذاك عن الاستبداد والقمع «عندما انتفضت الشام على الحكم

(١) السيف، توفيق، ضد الاستبداد: الفقه السياسي الشيعي في عصر الغيبة، ص٢٤.

(٢) المطهري، مرتضى، سيرة الأئمة الأطهار، ص ١٩٨.

العباسي في عهد المتوكل بعث إليهم بجيش قوامه ثلاثة آلاف راجل، وسبعة آلاف فارس، فدخلوا الشام، وأباحوا دمشق ثلاثة أيام)[١]، وفي الترهيب: (من أساليب الخلفاء يومئذٍ في الإعدام إلقاء المتهم أمام السباع ليأكله، أو إلقاؤهم في تنور ليحترقوا، أو ضربهم حتى الموت، أو ما أشبه ذلك من الأساليب الوحشية، وقد أنعكس هذا الإرهاب في فض نزاعاتهم الداخلية)[٢]، فبقي القانون السياسي المشهور سائداً كلما توغل النظام في الإرهاب شجع على اللهو والفجور ليلتهي الناس عن الحياة المرة التي يعيشونها، فقد (أوغل الخلفاء، وحاشيتهم الفاسدة في سرقة أموال الأمة، والإسراف في صرفها على لهوهم، وشراء ضمائر الشعراء والتافهين، وكان النظام يستنزف الناس بزيادة الخِراج التي هي بمثابة الضرائب اليوم)[٣].

فكان موقف الأئمة عليهم السلام يتجلى بقيادة المجتمع لتطبيق أصول القيم الإلهية على مفردات الحياة اليومية، وقد تمنهج الدور السياسي للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله بخطوات متتابعة متوالية: إصلاح المجتمع في مكة، وبناء التجمع الإيماني، وتنظم علاقات هذا المجتمع في تشكيل الحكومة الإسلامية في المدينة، ومن ثمّ يأتي الإمام المعصوم مكملاً المسيرة الرسالية في الحقل السياسي بتمثيل تلك الأصول ضمن مواقف، وفاعليات، وأنشطة اجتماعية أخذت أبعاداً سياسية في جوهرها، وتصدّر فيها المعصوم النموذج، والقدوة والحجة على الخلق بما تقتضيه ظروفه السياسية، وضرورات الزمان، وبما يضمن صون الرسالة المحمدية الأصيلة، ونستنتج من السيرة العطرة للإمام العسكري عليه السلام عدة مواقف جديّة:

الدور الأول: البصيرة السياسية من مداهنة الحكام العباسيين، إذ اقتضت بصيرته السياسية الحكيمة تحديد الموقف المعارض من ثورات تحت مسميات التشيع،

(١) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام العسكري عليه السلام، ص ٢١٧.

(٢) المدرسي، محمد تقي، الإمام العسكري عليه السلام قدوة وأسوة، ص٣١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٣.

فقد أدى الوضع الاجتماعي البائس إلى اندلاع ثورات اجتماعية استنفدت طاقات الخلافة العباسية ردحاً من الزمن، أبرزها في عهد الإمام عليه السلام (ثورة يحيى بن عمر الطالبي في الكوفة وقمعها العسكر العباسي، وثورة الزنج بقيادة علي بن عبد الرحيم من بني عبد القيس الذي ادعى أنه علوي إلّا أن المؤرخين يشكون في ذلك، فقد صدر بيان من الإمام العسكري عليه السلام ينفي كونه من أهل البيت)[١]، في الوقت نفسه الذي لزم فيه تحديد موقفه المعارض للحكم العباسي بعد استقدامه ووالده الإمام الهادي عليهما السلام إلى «سامراء» لاستبعادهما عن شيعتهم، ووضعهما تحت المراقبة في معسكر الخليفة الذي ترافق مع محاولة دمج الإمام الهادي عليه السلام في الجهاز الحاكم وصهره في حاشية الخلافة وتكرر السياق السياسي مع الإمام العسكري بإجباره على حضور موائده، وملازمة بلاط الخليفة كل يوم اثنين وخميس[٢]، وللحث على وعي عدم انخداع النخب الشيعية بمحاولة الحكام العباسيين سياسة الدمج بين الإمامة والحكم تمنهج عمله الدؤوب بالرسائل السرية، ورمزية الإشارات التي تنبه شيعته من الوقوع في الشرك العباسي، فكان يعينهم على نوائب الدهر اقتصادياً، واجتماعياً من جراء ما يلاقونه، وبالأدعية المتناقلة بين العوام التي تعكس حقيقة الواقع السياسي ولزوم التغيير والتوكل على الله في ذلك، وما زالت نصوص هذه الأدعية بمثابة وثائق تاريخية سياسية حاضرة في كشف ملابسات تلك المرحلة، فكثير من الأدعية انتشرت بوصفها منشوراً سياسياً، ووثيقة جهادية، وبرنامجاً حركياً، ونهجاً رسالياً في تلك المرحلة الحساسة[٣]، فهي تعكس واقع الحال، ونقل إلى أن الإمام كان يلازم هذا الدعاء في قنوته، وأمر أهل قم بهذا الدعاء، وهذه الأدعية تحمل اليوم بعداً توثيقياً تاريخياً سياسياً إلى جانب البعد التعبدي، ومنها على سبيل المثال دعاء (الحمد

(١) المدرسي، محمد تقي، الإمام العسكري عليه السلام قدوة وأسوة، ص٣٥.

(٢) ياسين، كاظم، تاريخ الشيعة والطوائف في لبنان، ج١، ص٢٤٨.

(٣) المدرسي، محمد تقي، الإمام العسكري عليه السلام قدوة وأسوة، ص٣٥.

لله شكراً لنعمائه)، الذي قال فيه: «اللهم وقد شملنا زيغ الفتن، واستولت علينا غشوة الحيرة، وقارعنا الذل والصغار، وحكم علينا غير المأمونين في دينك، وابتز أمورنا معادن الابن ممن عطل حكمك ... اللهم أظهر به الحق، وأصبح به غسق الظلم وبهم الحيرة، اللهم أحي به القلوب الميتة، وأجمع به الأهواء المتفرقة، والآراء المختلفة، وأقم به الحدود المعطلة والأحكام المهملة، وأشبع به الخماص الساغبة، وأرح به الأبدان المتعبة...»[1].

الدور الثاني: عمل من خلال اتجاهين: اتجاه أول محوري في ترسيخ قواعد للمرجعية الدينية، وثانٍ منهجي في تشكيل النخبة الطليعية.

المرجعية الفكرية والفقهية والسياسية ينبعث نظام المرجعية الدينية والسياسية من نظام الإمامة بداية للنخبة الخلص من الشيعة أصحاب الإمام الرضا عليه السلام والأعيان الباقية المتبقية؛ لسلامتهم والحفاظ عليهم؛ لأن فيه الحفاظ على التشيع المحمدي الأصيل، ثم للعوام، فقد ظهر أثر الإمام العسكري عليه السلام في ترسيخ قواعد نظام المرجعية على تقوى الله الذي يتجاوز الدم، واللغة، وسائر الفوارق المادية التي تفصل الناس لا السائد السياسي من الحمية «حمية الجاهلية الأولى»، وهذا الترسيخ العقيدي جعله سنة ثابتة تصلح لكل زمان، ومكان، بالعودة إلى المعصوم في زمانه وإلى وكلائه في الغيبة الصغرى، والثقاة من المراجع الأعلام في الغيبة الكبرى من جهة، ويؤهل المرجعية الدينية لقيادة العوام في مواجهة التحديات التي ستعتلي الأمة حتى إحقاق الحق بدولة العدل الإلهي، فتكون جزءاً من التمهيد لدولته عجل الله فرجه الشريف، وقد

(١) ابن طاووس، الدعوات، من ص٦٣ ـ ٦٧. وهو السيد رضي الدين، علي بن موسى بن جعفر بن طاووس المعروف بالسيد ابن طاووس المتوفى في الخامس من ذي القعدة سنة ٦٦٤ هـ، وهو من أحفاد الحسن بن علي بن أبي طالب، وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ومن كبار شخصيات الشيعة وعلماء الإمامية، له مؤلّفات كثيرة، منها: اللهوف على قتلى الطفوف، وإقبال الأعمال.

انتشرت روايته في دور علماء الدين: «من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه»[١] من جهة ثانية.

بناء الكتلة الشيعية والإشراف على القواعد الشعبية.

على الرغم من الظروف العدائية المليئة بالإرهاب والخوف، فقد قضى الإمام العسكري عليه السلام سنوات إمامته الست بين السجن، ومعزولاً في بيته عن الناس لا يُسمح بزيارته، ولم تمنعه هذه العزلة من أن يستمر في دوره السياسي في بناء الكتلة الشيعية، والإشراف على القواعد الشعبية، وحماية وجودها، وتنمية وعيها، للارتفاع بها إلى مستوى النخبة الطليعة المؤمنة مع ترسيخ الولاية بوصفها عقيدة متلازمة للتشيع، فتصدى عليه السلام بعمل منهجي في بناء جهازين:

جهاز من الأتباع والوكلاء أحكموا تنظيمه، واعتمدوا السرية والكتمان في اتصالاتهم مع وكلائهم الذين اعتمدوهم كممثلين لنقل الفتوى والموقف السياسي.

وجهاز الإمداد المالي من الشيعة من كافة أقطار المناطق الإسلامية من الصدقات ومال الخمس التي ترد إلى الإمام عليه السلام من وكلائه المنتشرين بسرية تامة عن السلطة العباسية وأتباعهم وعيونهم، فاستطاع وهو المضطهد المراقب أن يستلم الأموال ويصرفها على النشاط الاجتماعي، والفكري، والسياسي، وتقف السلطة مكتوفة الأيدي تجاهه[٢]، عاجزة عن الحد من نشاطه السياسي في حركة التشيع، فتزايدت فاعلية القوى الاجتماعية ذات التأثير في عالم الحكم ما يمكن توصيفه بالعمل السياسي المباشر، مستكملاً تأهيل النخبة في صناعة القوى الفاعلة في المجتمع التي يقوم بها

(١) المدرسي، محمد تقي، الإمام العسكري عليه السلام قدوة وأسوة، ص٤٦.

(٢) ياسين، كاظم، تاريخ الشيعة والطوائف في لبنان، ج١، ص٢٩٤، نقلاً عن بحار الأنوار، ج٥٠، ص١٠٤ ـ ١٠٥، كما نقل هذه الأخبار كتاب (اختيار معرفة الرجال) هذبه الشيخ الطوسي.

المصلحون وأصحاب المبادئ التغيرية، وباختصار جمع بين التغيير، وثورة الإصلاح بكل أبعادها الثقافية (نشر الدعوة وصونها من الانحراف) والتربوية (تزكية النفوس في تقديمه النموذج الأسوة الاجتماعي)، والاجتماعية (تكوين التجمع الإيماني، وتنظيم علاقاته).

الدور الثالث: كثيرة هي المبادرات التي قام بها الأئمة عليهم السلام لصد الهجمات الفكرية الموجهة عن علم وعن جهل، وبقي أغلبها طي الكتمان لضرورات ظرفية مرحلية تخدم التقية، أو تعرضت للتشويه والتزوير، والإخفاء لكتم الحقائق سوية بالسياق التي تعرض له إرث الأئمة الفكري عليه السلام، للاستشهاد نذكر هنا مبادرة في مواجهة شبهات المنحرفين، كموقفه من الكندي، ومشروع كتابه «حول متناقضات القرآن»، إذ أقنعه أقنعه وبيّن لمدرسة الكندي خطأه الفكري والعقيدي فأحرق كتاباته. إذ إنّه تحت ضغط سياسة الحكم القمعية وتأثير الفلسفة اليونانية ببعض المفكرين، اندفع «إسحاق الكندي» في تأليف كتاب يرد فيه على القرآن الكريم ويبين تناقضاته (على طريقة الفلاسفة اليونانيين في الرد على أفكار بعضهم لبيان تهافتها)، فدفع إليه الإمام عليه السلام أحد تلامذته بقاعدة فلسفية استدلالية مفادها، إنّه لمجرد الاحتمال يبطل الاستدلال ما يحكم على كتاباته بالسفه إذا أصرّ على تأليف الكتاب، فارتدع قائلاً: (ما كان ليخرج مثل هذا إلّا من ذلك البيت)[١]، نستشهد في هذا السياق لأهمية هذا الدور بقول للإمام العسكري عليه السلام: «أورع الناس من وقف عند الشبهة، أعبد الناس من أقام الفرائض، أزهد الناس من ترك الحرام، أشد الناس اجتهاداً من ترك الذنوب»[٢].

الدور الرابع: التمهيد وتحضير الأمة للغيبة الكبرى للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، وهي محطة مفصلية في التاريخ الاجتماعي السياسي للتشيع لا تقل خطورة، وأهمية عن

(١) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام العسكري عليه السلام، ص٢٢٠ـ٢٢١، نقلاً عن المناقب، ج٤، ص٤٢٤.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٥، ص٣٧٤.

المحطة المفصلية الكربلائية، وما اعتلاها من نواتج سياسية، واجتماعية على المجتمع الشيعي، فتجاوزاً لأن يشكّل الغياب صدمةً نفسيّة تدفع بعض ضعاف القلوب إلى الارتداد مهد الإمام عليه السلام لاعتماد سياسة الاحتجاب، وتقليل الارتباط إلا عبر المكاتبات، والتوقيعات، والالتقاء المباشر بالإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف بثلّة قليلة، واعتماد الوكلاء في المناطق، تمهيداً للانتقال من مرحلة شهود الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف إلى مرحلة الغياب.

وبناءً على مقاربة الواقع السياسي الاجتماعي للسياق السياسي، للسلطات العباسية، من تكثيف الضغوطات على نشاط حركة التشيع، وتزايد محاولات القضاء على الإمام العسكري عليه السلام، قبل ولادة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، والمتابعة الحثيثة لبيت الإمام ونسائه لمنع ولادة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بالتربص للقضاء عليه، وكل هذه المؤشرات دلالة على حضور الفكرة المهدوية بقوة في وجدان المجتمع الإسلامي، حكام ونخب وعامة الناس، وقد حدّث الإمام العسكري عليه السلام بهذه الحقيقة «أن بني أمية، وبني العباس سيوفهم علينا لعلتين: إحداهما: أنهم كانوا يعلمون أنه ليس لهم في الخلافة حق، فيخافون من ادعائنا إياها وتستقر في مركزها. وثانيهما: أنهم قد وقفوا (علموا) من الأخبار المتواترة على أن زوال ملك الجبابرة، والظلمة على يد القائم منا، وكانوا لا يشكون أنهم من الجبابرة والظلمة، فسعوا في قتل أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وإبادة نسله طمعاً منهم في الوصول إلى منع تولد القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف أو قتله، فأبى الله أن يكشف أمره لواحد منهم إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون»[1]، فاليقين بدولة العدل للقائم عجل الله تعالى فرجه الشريف من النواتج المعرفية العقيدية التي أرساها الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام في الأمة، فلم يكن أثر الإمام العسكري عليه السلام هو تحضير الأمة للفكرة المهدوية، ودولة العدل الإلهي، بقدر ما كان دوره تحضير وتمهيد الأمة للدخول في مرحلة الغَيبة، وفهم الضرورات المرحلية لهذه الغيبة الصغرى فالكبرى، وإرساء ركائز التمهيد للظهور المبارك لتأهيل الأمة.

(١) العاملي، الحر، إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، ج٣، ص٥٧٠.

فانتهج الإمام عليه السلام خطوات عملية للتمهيد للغيبة الصغرى، فقام ابتداءً بحجب الإمام عن أعين الناس، ثم قام بإظهاره عليه السلام لبعض الخاصة فقط، ثم جهز حملة توعية لفكرة الغيبة، وتعويد الناس على متطلباتها، متلازمة بحملة على الأوضاع المتردية، بتوجيه النقد السياسي للأوضاع القائمة، فمن ذلك، قوله: «إذا خرج القائم أمر بهدم المنابر، والمقاصر في المساجد»، ثم أعد **توجيهاً عاماً لقواعده وأصحابه**، يوضّح لهم أبعاد فكرة الغيبة والتأكيد على **صفات الإمام المهدي بعد ظهوره**، وقيام دولته للتأكيد على أنه المنقذ والمخلّص، كقوله مثلاً: «فإذا قام قضى بين الناس بعلمه، كقضاء داود لا يسأل البينة»، ومن ذلك ما كتب عليه السلام إلى أبي الحسن علي بن الحسين بن بابويه القمي: «بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين والجنة للموحدين، والنار للملحدين، ولا عدوان إلا على الظالمين، ولا إله إلا الله أحسن الخالقين، والصلاة على خير خلقه محمد وعترة الطاهرين، ومنها: عليك بالصبر وانتظار الفرج، قال النبيُّ صلى الله عليه وآله: «أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج، ولا يزال شيعتنا في حزن حتى يظهر ولدي الذي بشر به النبي صلى الله عليه وآله، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، فاصبر يا شيخي يا أبا الحسن علي، وأمر جميع شيعتي بالصبر، فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين والسلام عليك وعلى جميع شيعتنا ورحمة الله وبركاته وصلى الله على محمد وآله...»[1].

(١) المازندراني، ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٥٢٧.

الخاتمة ونتائج البحث:

اتسم عصر الإمام العسكري عليه السلام، ومن قبله عصر الإمامين الهادي والرضا عليهما السلام باتساع رقعة التشيع من خلال سياسة ممنهجة، اتضحت فيها معالم المدرسة الشيعية، من خلال الدعوة إلى اتباع مدرسة الفقهاء التي تميزت عما سواها بأمور عديدة، منها:

اعتماد الكتاب والسنة مصدراً للتشريع الإسلامي، والإفتاء بنص الرواية أو بتطبيق القاعدة المستخلصة من الرواية، وقد أكدوا على ذلك من خلال رجوعهم للنص القرآني والروايات في محاججاتهم الكلامية، والفلسفية.

الرجوع في تعلم الأحكام إلى المعصوم، وفي غيبته إلى الوكلاء المعتمدين من المعصوم عليه السلام.

الرجوع إلى الفقهاء الثقات في الغيبة الكبرى.

الحقيقة المهدوية: مهد الإمام العسكري عليه السلام للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، نظرياً: بالنص على إمامته، وتعريف شيعته به، والتأكيد على الصبر وانتظار الفرج، والتحذير من الشك والاختلاف في زمان الغيبة، وأهمية هذا التمهيد وخصوصيته يتجاوز الإعتقاد المذهبي الشيعي، فالإيمان بالمُخلّص عقيدة الأديان الإسلامية وغير الإسلامية ما اختص به الشيعة في الإعلان عن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بتحديده بالاسم، والنسب، وحقيقة وجوده، هو أخرج الحقيقة المهدوية من حالة الأمنية والأمر الذهني المحض إلى حالة واقعية موجودة، وكشفها أمام المجتمعات للاطلاع عليها، وعملياً: وبالتمهيد العملي للغيبة عبر اتصاله بالشيعة عن طريق الوكلاء، وتكوين جهاز إداري، ومالي، وفقهي في غاية من السرية والحرص منتشر في الأقطار الشيعية، فكان النواة الأساسية لمدرسة الفقهاء والحافظ لإرث الأئمة عليهم السلام الفكري والعقيدي.

ونخلص بالقول إنّه من أبرز النواتج السياسية لمرحلة إمامة الإمم العسكري عليه السلام هي ثقافة الانتظار، وهذا مفهوم واسع، فالانتظار الذي مهد له الإمام، ودعا إليه لا يعني السكون، والقعود إلى أن تصلح الأمور بنفسها على أنّ الانتظار حركةٌ واستعدادٌ للتغيير فهو عمل لا بطالة، وخطورة أن لا يعيش الناس ثقافة انتظار الفرج تكمن في فقدهم الأمل في الله، وانعكاسه على مجمل سلوكيات حياتهم، ذلك عندما يرون طواغيت العالم مشغولين بالنهب والسلب، والاعتداء، والإجراع بجشع لا يشبعون، ويستسلموا لمصير العالم الاجتماعي لا يمكنهم أن يعيشوا حتى حق العبادة أحد أهم نواتج ثقافة الانتظار للمخلص الموجود عند كل المجتمعات باختلاف عقيدتها، هو قناعتهم بأن الظلم والجور وضعٌ عابر «للباطل جولة»[1]، وما يرتبط بالحقيقة الإلهية الدنيوية هو عبارة عن استقرار حكومة العدل، والفرج هو أحد مصاديق الانتظار. ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**﴾[2]، ثقافة الانتظار تطبع المجتمعات على عدم اليأس، فالفرج يعني الشق والفتح، فرجُ متوقع ومتيقن به ومحل انتظار؛ ولهذا عُد الانتظار من أفضل الأعمال، فهو عمل وتهيؤ وباعث على الاندفاع، والحماس في الباطن، وينعكس نشاطاً وتجدداً، وحركة تغيير في كل المجالات المتاحة في حركة تغييرية نعد أنفسنا كجنود مستعدين لتحقق الظروف والشرائط لظهور الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف.

(١) الآمدي، عبد الواحد، تصنيف درر الكلم ودرر الحكم، ص٧١.

(٢) سورة الفتح، الآية ١.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١. الآمدي، عبد الواحد، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، مكتب الاعلام الإسلامي، ٢٠١٦.

٢. ترحيني، فايز، الشيخ أحمد رضا والفكر العاملي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٩٩.

٣. جابر، علي داوود، الحلقة الضائعة في تاريخ جبل عامل، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.

٤. حمادة، سعدون، الثّورة الشّيعية في لبنان، دار النّهار، بيروت، ط١، ٢٠١٢.

٥. الخامنئي، الإمام علي، إنسان بعمر ٢٥٠ عاماً، جمعية المعارف الحكمية الثقافية، بيروت، ٢٠١٥.

٦. السيد ابن طاووس، مهج الدعوات، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٤، ٢٠١٥م.

٧. السيف، توفيق، ضد الاستبداد، الفقه السياسي الشيعي في عصر الغيبة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٩.

٨. الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، تحقيق الشيخ حسين الأعلمي، ١٩٨٤.

٩. الشيخ الطوسي، الغيبة، مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤١١هـ.

١٠. الشيخ المفيد، الإرشاد، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، ط٢، ١٩٩٣.

١١. الطبرسي، إعلام الورى، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

١٢. الطبري، ابن رستم، دلائل الإمامة، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٣هـ.

١٣. العاملي، الحر، إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٢٥.

١٤. فاضل، تامر، اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح النقدي العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٤.

١٥. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ.

١٦. القرشي، باقر شريف، حياة الإمام العسكري، منشورات المؤسسة العربية، بيروت، ١٩٩٦.

١٧. القزويني، محمد كاظم، الإمام العسكري عليه السلام من المهد إلى اللحد. تهران، فرصاد، ١٤١٢هـ ق.

١٨. القمي، عباس، الأنوار البهية، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٧هـ.

١٩. الكعبي، علي، الإمام علي الهادي عليه السلام سيرة وتاريخ، مركز الرسالة، د. ت.

٢٠. المازندراني، ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، المكتبة الحيدرية، ١٣٧٦هـ.

٢١. المجلسي، بحار الأنوار، تحقيق محمد باقر البهبودي، ط٣، ١٩٨٣.

٢٢. المجلسي، بحار الأنوار، دار الكتب الإسلامية، بيروت، ١٥٣٧.

٢٣. المدرسي، محمد تقي، الإمام العسكري قدوة وأسوة، مركز العصر للثقافة والنشر، بيروت، ٢٠١٠.

٢٤. مرتضى، جعفر، نقش خواتيم النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، المركز الإسلامي للدراسات بيروت، ٢٠١١.

٢٥. مركز المعارف للتأليف والتحقيق، ولاية الفقيه في فكر الإمام الخميني، دار المعارف الثقافية، بيروت، ٢٠١٨.

٢٦. المطهري، مرتضى، سيرة الأئمة الأطهار، ترجمة مالك وهبي، دار الهادي، بيروت، ١٩٩٢.

٢٧. المظفر، محمد حسين، تاريخ الشّيعة، دار الزهراء، بيروت، ١٩٧٩.

٢٨. المهاجر، جعفر، أسامي الشّيعة وما فيها من خفايا تاريخهم، بعلبك، مركز بهاء الدين العاملي للأبحاث والدراسات والتدريب، ١٩١٥.

٢٩. ياسين، كاظم، تاريخ الشيعة والطوائف في لبنان، دار المحجة البيضاء، بيروت.

الأطروحات:

علي، فياض: الدّين والسّلطة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة اللبنانية، معهد العلوم الاجتماعية، الفرع الأول، العام الجامعي، ٢٠٠١-٢٠٠٢.

https://Forums.AlkAFeel.net/node/83784

البحث السادس

سياسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

في

عصر الظهور

أ.م.د. ثائر عباس هويدي النصراوي

الباحثة

سارة عبد الرضا عبد مسلم

المقدمة

الحمد لله على عدد أسمائه ومداد كلماته، وزِنَةِ عرشه حمداً كثيراً لا ينقطع أبداً، والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد وآله الطيبين الطاهرين.

أما بعد فإن إزالة الغموض واللبس عن آخر الزمان ومعرفة الوقائع ومجريات ما يدور فيها من الأمور الغيبية، فمن السهل أن يكتب الإنسان عن الماضي بل الأسهل أن يكتب عن حاضره، ولكن من الصعب أن يكتب عن المستقبل والحديث عن شخص يتعلّق به مصير البشرية بأكملها، وأن إيجاد الإجابات لكثير من التساؤلات للتعرف على الدولة العالمية التي لطالما سعت الدول العالمية لإقامتها؛ ولذلك فقد قومنا بحثنا والموسوم بسياسة الإمام المهدي في عصر الظهور بالروايات، قاطعين بذلك دابر الأساطير، وانطلاقها في البرهان على حوادث المستقبل من أسس مسلّمة، وعلى الرغم من أنّنا قد واجهنا الكثير العقبات منها الأخبار المنقولة التي كان يعتريها الرمزية؛ ولذا يمكننا القول إن المجتمع بشكل عام لن يستطيع هضم هذه الأخبار بسبب قلة الوعي انطلاقاً من مبدأ (كلّم الناس على قدر عقولهم) وأن صعوبة الوصول للمكتبات بسبب جائحة كورونا كان من أهم الصعوبات التي واجهتنا للحصول على أهم المصادر التي يتقوم بها البحث، وأن السبب الذي دعاني للكتابة والبحث عن هذا الموضوع هو أنه منذ أن وطئت قدمي في اليوم الأول للجامعة، وأنا أحلم في اليوم الذي سأكتب عن صاحب العصر والزمان، فمنذ نعومة أظفارنا وأسماعنا تهفو بذكر الإمام المهدي عليه السلام، ومع مرور الأيام أصبحت قلوبنا تتهافت لعشق انتظاره، كما أن فكرة ظهور المصلح والمخلص العالمي، وانقاذ العالم من الظلم

والطغيان هي السبب الرئيس وما زالت هذه الأفكار متجددة حتى صرت أتوق شوقاً لمسك القلم فإني بذلك أراك سيدي ومولاي، فتجلت أهمية بحثنا في استناده إلى سياسات متينة وعلى قواعد وأسس لم يأتِ بها قبله وبعده ومنها حل مشكلة العالم أجمع، وحل مشاكل البشرية بما في ذلك الفقر والقتل، والجهل، والنقص، وظلم جبابرة العصر من الحكام؛ لذا كان من متطلبات بحثنا الذي يتكون من ستة مباحث.

بينا في المبحث الأول الإطار النظري، والمفاهيمي لمصطلح السياسة، وظهور فكرة الدولة العالمية الواحدة، ومميزات دولته الشريفة.

أما المبحث الثاني فقد تمخض عنه سياسته العسكرية من المنظور الإسلامي وأهم المعالم السياسية، والعسكرية التي وظّفها في دولته ومنها الجيش والقتل وإبادة الظالمين، والسلاح، والقضاء.

وعرجنا في المبحث الثالث على السياسة التنفيذية للإمام ودور وزرائه، وأصحابه من الأنبياء والأصفياء، والدور الفاعل في التعامل مع جميع مفاصل الدولة بكل فئاتها.

أما المبحث الرابع فكانت لسياسته الاقتصادية رؤية جديدة لم نرها في جميع العصور من حيث تحقيق الاكتفاء الذاتي، والتوزيع العادل بين مختلف فئات الأمة.

وفي المبحث الخامس أخذت السياسة الثقافية مأخذاً كبيراً، فتفتحت العقول المنيرة بالعلوم وتحقق العلم والمعرفة والتقدم والتطور العلمي في مختلف الأصعدة.

وآخر القول إنّ للسياسة الاجتماعية هي اللون الذي تميز به الإمام عن سائر البشرية إذ يحقق الإمام السلام والأمن الداخلي، والخارجي، والتخلص من الأخلاقيات الفاسدة بين رعيته.

وبهذا قد تمكنا من استيفاء جميع مفاصل البحث.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد

الإطار النظري، والمفاهيمي لمصطلح السياسة.

تعريف السياسة لغة:

السياسة لغة مشتقة من الفعل ساس يسوس سياسة يقال: ساس الأمر سياسة إذا عالجه وبذل جهده في إصلاحه، وساس الرعية إذا ولي حكمها، وقام فيهم بالأمر والنهي وتصرف في شؤونها بما يصلحها(١).

وجاء في لسان العرب: (سوس): والسياسة فعل السائس، يقال: هو يسوس الدواب إذا قام عليها وروضها، والسياسية: القيام على شيء بما يصلحه، والوالي يسوس رعيته، وسوس له أمراً، أي روضه وذلل له الأمر(٢).

فكان الناس بعد أن تمرس في سياسة الدواب ارتقى إلى سياسة الناس، وقيادتهم في تدبير أمورهم، وفي المجاز: سُسْتُ الرعية سياسة بالكسر أي أمرتها ونهيتها(٣).

تعريف السياسة اصطلاحاً:

السياسة عند ابن سينا: هي حسن التدبير الذاتي، والجماعي، وإصلاح الفساد الذي فيه طريق السعادة(٤).

يعرفها المعجم الفلسفي: بأنها فرع من العلم المدني يبحث في أصول الحكم وتنظيم شؤون الدولة(٥).

أو يمكن تعريفها أيضاً على أنّها استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل والآجل، وهي من الأنبياء والأئمة على الخاصة، والعامة في ظاهرهم

(١) زكريا، أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة سوس.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، ص٢١٤٩ -٢١٥٠.

(٣) الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس، ج ٤، ص١٦٩.

(٤) مراد، علي عباس، دولة الشريعة قراءة جدلية الدين والسياسة عند ابن سينا، ص٥٧.

(٥) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، ص٩٩.

وباطنهم، فإنها تعني الولاية على الرعية وتدبير شؤونها بما يصلحها[١]، بمعنى أنها لا تشمل السياسة بالمفهوم المتداول فقط، بل هي كل ما فيه خير وصلاح للأمة، أي قيادة الأمة للخير، والصلاح في الدنيا والفلاح في الآخرة.

السياسة في الاصطلاح الغربي: هي فن الحكم، والرجل السياسي هو الذي يمارس أعمال الإدارة المدنية وهو كذلك الحاكم الموجه الناصح، أو أنها علم الدولة التي تبحث عن التنظيمات البشرية، وعن تكوين الأحداث السياسية، وعن تنظيم الحكومات، وفي فاعلية الحكومة التي لها صلة بتشريع القوانين وتنفيذها، وفي علاقتها بالدول الأخرى.[٢]

وقال هانس مورغنتاو: أن السياسة هي صراع من أجل القوة والسيطرة[٣]، وعرفها هارولد لاسويل: أن السياسة هي السلطة، أو النفوذ الذي يحدد من يحصل على ماذا؟ ومتى؟ وكيف؟[٤]

وقال وليم روبنسون: أن علم السياسة يقوم على دراسة السلطة في المجتمع وعلى دراسة أسسها، وممارستها، وأهدافها، ونتائجها[٥].

ويسأل ماري دانكان ما السياسة؟ مجيباً بأنها الكلمة التي من السهل أن نستبدل السياسة بمرادفاتها، فكلمة السياسة تعادل كلمة الإدارة، وخصوصاً في الأمور الجزئية مثل سياسة النقل، والطاقة، وصناعة السيارات، أو أنها تعادل كلمة الاستراتيجية مثل سياسة الحزب، أو سياسة النقابة، أو سياسة الحكومة.

أو تتضمن كلمة السياسة قيمة تحقيرية بشكل واضح، إذ تقوم فيها السياسة

---

(١) الكفوي، أبو البقاء بن موسى الحسيني، الكلّيات، ص١٩١.

(٢) بينكني، سوزان، أدب السياسة، ص ٧.

(٣) مورغنتاو، هانس، السياسة بين الأمم، ص١٣.

(٤) قربان، ملحم، المنهجية والسياسة، ص٤٤.

(٥) مينو، جان، مدخل إلى علم السياسة، ص٨٦.

بعمل المراوغ فينظر هنا إلى السياسة بوصفها عالماً مثيراً للاشمئزاز، وهذا الأمر معروف في العرف الغربي فينسب العمل إلى دهاليز السياسة، وألاعيبها حيث تدور سياسة الغرب على محورين أساسيين هما:

١- القوة والسيطرة.

٢- المصلحة والمنفعة[١].

بعد استقطاب جميع مفاهيم السياسة عند العلماء، ومفكري العرب والغرب يمكن أن تبرز لدينا بوضوح الميزة التي امتازت بها سياسة الإسلام عن الغرب، فالإسلام يبحث عن القوة إلى جانب الحق، وتسييره جنباً إلى جنب، فإن سياسة الإسلام سياسة قوة الحق لا مع سياسة حق القوة، فهي تتخذ من القوة ركيزة لنصرة رعيتها وشعبها، وقد ضرب الله لنا مثلاً في قوم عاد، فقد جاء في قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ**﴾[٢] فإن قوة الله هي الغالبة، فالقوة هي سلطان لنصرة المظلوم، وهذا لا يعني تسيير القوة نحو مصالحك الشخصية[٣] وهنا تبرز نقطة الاختلاف بين السياسة الإسلامية، والسياسة الغربية، إذ إنّ سياسة الغرب مبنية على المنفعة، والسلطة، والسيطرة، على البشرية والمصالح الشخصية من دون تسخير هذه القوة نحو الخير والصلاح، وعلى وفق ذلك قسمنا السياسات إلى الأقسام الآتية:

١-السياسة العسكرية، ٢-السياسة التنفيذية، ٣-السياسة الاقتصادية.

٤-السياسة الثقافية، ٥ -السياسة الاجتماعية.

---

(١) ينظر، دانكان، جان ماري، علم السياسة، ص٢٣-٣٠.

(٢) سورة فصلت: الآية ١٥.

(٣) ينظر، القرضاوي، يوسف، الدين والسياسة، ص٤٧.

المبحث الأول: معالم الدولة العالمية الموحدة.

أولاً: مشروع الحكومة العالمية الواحدة.

ثانياً: أهم مميزات دولة صاحب العصر والزمان عليه السلام.

أولاً: مشروع الحكومة العالمية الواحدة.

في أواخر القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين في حين كان الغرب يستغرق في العنصرية، والقومية جاء السياسيون بفكرة توسع سلطتهم بالنظر إلى العنصر والقومية، فجاءت النظرية العالمية(InternationAlism)[1] إن ظهور هذه الفكرة هي تجديد لفكرة سابقة وسببها الخوف من الحربين العالميتين الأولى والثانية اللتين أظهرتا بشاعة الحروب، فقد راح ضحيتهما حوالي ٩ مليون قتيل و٢٢ مليون جريح وعشرة مليون مفقود، وأثبتت هذه الحروب أن وجود الحدود المصطنعة بين الشعوب هو سبب الحرب وسفك الدماء؛ ولذا فإن تأسيس عصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى التي كان أعضائها ٢٦ دولة، وتأسيس مجمع عالمي باسم منظمة الأمم المتحدة، والمنظمات العالمية التابعة لها كلها نابعة من فكرة تأسيس حكومة عالمية واحدة التي ما تزال واردة كفكرة بين المفكرين، وتكون منظمة الأمم المتحدة مسؤولة عن السلطة القانونية والتنفيذية والقضائية والاقتصادية، وقد ذكر في مؤتمر طوكيو عام ١٩٦٣م أن السلام الدائم لا يمكن ضمانه إلا بواسطة المعاهدات، والاتفاقيات، فلا بد من تشكيل حكومة عالمية واحدة، ويكون ممثل أكثر دول العالم نفوساً له رأي أكثر من بقية الدول، ولكن بالنظر لجميع المعطيات يمكن القول: إن تشكيل مثل هذه الحكومات مستحيلة؛ لوجود الأخلاق المادية للإنسان؛ لأن المقترحين والمخططين والمنفذين والمشرفين جميعاً أناس فيهم روح الغرور، وصفة الانفراد، ولم يشعروا يوماً

(١) وتعني المبادئ أو المصالح الدولية، وهي سياسة التعاون بين الدول، ولا سيّما في الحقلين السياسي والاقتصادي.

بعطف على الإنسان حتى إن كانوا يملكون حسن نية في البداية إلا أنهم يلازم السيطرة عليهم طلب المقام والقومية والعنصرية، وعشرات العوامل الأخلاقية المادية أثناء العمل، وفي الختام يصيب المشروع ما أصاب عصبة الأمم، ومنظمة الأمم المتحدة من خيبات وفشل، وانتكاسات في أنظمتها وفي قوامها[١]، ولكن بالنظر للأمر من ناحية أخرى فهذه كلها تجارب سيستعملها الإمام روحي له الفداء في سياسته ما هي إلا نتيجة توالد الخبرات واكتسابها على مر التاريخ من طواغيت العصر، فإن الإمام سيستفيد من هذه الخطط، وتكون لديه رؤية أخرى يخرج بها بحيث تتبلور، وتتساقط جميع النظريات، والبراهين التي شمرّت بساعدها الدول الكبرى لإقامتها، وبصرف النظر عن جميع ما يملكه الإمام من تسديد إلهي، وبركاته، ومعجزاته التي تظهر، فإن الخبرات التي يمتلكها هي حتماً رؤية عصرية فذّة تمكنه من إقامة دولة عالمية عجز عن إقامتها جميع المفكرين.

ثانياً: أهم مميزات دولته المباركة.

قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾[٢].

قال الإمام أبو جعفر عليه السلام في قوله: ﴿**الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ**﴾: «فهذه لآل محمد، والإمام المهدي، وأصحابه يملك الله الأرض ومشارقها ومغاربها ويظهر الدين، ويميت به وبأصحابه البدع، والباطل كما أمات الشقاة حتى لا يرى الظلم، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر»[٣]، فأهم مميزات الدولة التي سيقيم صرحها الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، هي:

---

(١) سبحاني، جعفر، عقائدنا الفلسفية والقرآنية، ص٢٠٧-٢٠٨.

(٢) سورة الحج، الآية ٤١.

(٣) الحويزي، عبد علي بن جمعة، نور الثقلين، ج٣، ص٥٠٦.

١- أنها حكومة شاملة، وليست إقليمية لمكان معين، وبهذا جاء قول النبي صلى الله عليه وآله: «لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً»(١).

٢- أنّ قوانينه إلهية يسير بسيرة جده محمد صلى الله عليه وآله، فيتخلص من أعداء الإسلام وأصحاب الضلال، والباطل.

٣- حكومة تنفيذية تشمل جميع السياسات والقطاعات، وهذا ما لم تستطع باقي الحكومات تحقيقه، وحتى تحقق دولته الهدف الأسمى لابد من اعتمادها على قاعدة متينة تتمثل بـ:

أ- **الاعتماد على الجانب الإعلامي**: في زمن التكنولوجيا الحديثة وزمن السرعة أو الزمن الذي تؤدي فيه الشبكة العنكبوتية أثرها في نقل الوقائع، والأحداث أولاً بأول؛ لذا فإن الإمام المهدي سيواكب هذا التطور، ويعتمد عليه لقيام دولته ونجاحها، فقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن قائمنا إذا قام مدّ الله لشيعتنا في أسماعهم، وأبصارهم حتى لا يكون بينهم وبين القائم بريد، يكلمهم فيسمعون وينظرون إليه وهو في مكانه»(٢)، فالرواية تحتمل مصاديق عديدة منها أنه إنْ قام يكون السمع، والبصر، والتواصل مع الإمام بشكل مباشر، وهذا الاحتمال يقوّمه ما يوجد الآن من مواقع الانترنت، وإمكانية الرؤية، والسمع مباشرة من دون واسطة، فإن اعتماد الإمام على الإعلام وبسط سيطرته على باقي المؤسسات الإعلامية كقنوات التلفزيون والانترنت، وبهذا سيقضي على النشر الهادم، والكاذب الذي يحاول تسقيط الإمام في أنظار رعيته.

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٥١، ص٨٤.

(٢) المصدر نفسه، ج٥٢، ص٣٣٦.

ب- الاعتماد على أصحابه في إدارة شؤون الدولة: من الأمور المسلّم بها أن أصحاب الإمام هم من الأصفياء والنجباء، فإن للإمام سيعين وزراءه وأصحابه الثقات، بل إن بعض وزرائه المسيح عيسى عليه السلام والخضر وإلياس عليهما السلام فإن هذا الكم من الأنبياء والأوصياء وخيرة خلق الله والتي ستمسك بزمام الأمور لإدارة الدولة ومفاصلها في أي دولة إذا ما أمسك بزمامها الإمام وتحت لوائه الأنبياء الذين اختارهم الله فجاء عن الإمام الباقر عليه السلام: «إذا قام القائم بعث في كل إقليم من أقاليم الأرض رجلاً فيقول له: عهدك في كفك فإذا ورد عليك أمر لا تفهمه ولا تعرف القضاء فيه فانظر في كفك وأعمل بما فيها»[1]، وهذه الرواية تثبت أن ولاة الإمام ووزراءه هم من النجباء الصادقين الذين سيوليهم الإمام القضاء والتعليم والاقتصاد والعمران وغير ذلك.

ج- الاعتماد على كتاب الله وسنة النبي كمنظومة قانونية: منذ أن جاءت الرسل والأنبياء، والديانات نشأت على اختلافها، وهذا الاختلاف ما زال قائماً إلى يومنا هذا على اعتبار أن الإمام هو الخليفة الشرعي، والوريث لسنة جده محمد صلى الله عليه وآله، والمكمل لرسالته والقائم بها، فإن توحيد الأديان تحت بيضة الإسلام، وجعل القرآن هو الحاكم الفصل، وسنة الرسول هي السارية على جميع الخلق هي سمة تمتاز بها دولة الحق فلم تشهد في أيّ عصر من العصور تجمع كل أفراد العالم باختلافاتها وألوانها تحت راية الإسلام، فجاء عن الإمام الحسين عليه السلام: «إن الإسلام قد يظهره العالم على جميع الأديان عند قيام القائم عليه السلام» وليس عجيباً بعد هذا كله بأن يكون الإسلام هو الدين الرسمي والفعلي الوحيد لدولة آل محمد، وهذا ما أكده أحمد حسين يعقوب: (فالإمام المهدي إمام شرعي وهو خاتم الأئمة الشرعيين، وهو الوارث العلمي للنبوة والكتاب؛ ولذا فإنه يعرف الحكم الشرعي لكل قضية، والتكييف الشرعي لكل واقعة؛ لذا فإن الإمام سيطبق القرآن ويبين الحلال والحرام ويقيم الحدود، ومن

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣٦٥.

ثَمَّ فلا مجال للاجتهاد بوجود إمام شرعي اختاره الله)[١].

المبحث الثاني: السياسة العسكرية للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

أولاً: السياسة من المنظور الإسلامي.

ثانياً: سياسته العسكرية في دولته المباركة.

أولاً: نظام السياسة العسكرية في عصر الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ترتبط الاستراتيجية العسكرية الإسلامية بالسياسة ارتباطاً وثيقاً يتمثل ذلك في انتمائهما إلى أصل واحد وهو القوة بمفهومها الشامل، وأن قوام كل أمة من الأمم يرتبط بمدى قدرتها على الدفاع عن وجودها، وحماية شخصيتها تجاه الأعداء، وقد جاءت حكمة الله تقتضي أن تكون الأمة الإسلامية أمة مجاهدة عزيزة الجانب، ولم يرد لها أن تخضع، ولا أن ترضى بالذلة، ولا تستهين الهوان فأوجب عليها الجهاد في سبيله وجعله الوظيفة الشريفة التي اختارها الله، فقد جاء في قوله تعالى: ﴿**وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ**﴾[٢]، والجهاد يكفل للأمة الإسلامية تكوين الكيان العسكري للأمة الذي يقوم على القاعدة العريضة التي تضم أبناء الأمة جميعاً حيث يجمعهم إحساس عام بالخطر المحدق وإيمان راسخ، وعقيدة قوية، وشعور بالواجب والمسؤولية، والإخلاص بالعمل في سبيل الدفاع عن الحق؛ لذا فلابد للأمة الإسلامية أن تكون مجهزة بالعدد والعدة، وتستطيع أن تدافع عن كيانها في سياج من الأمن والاستقرار، فمن هنا يكفي للحكومة الإسلامية أنْ تعلن عن حاجتها إلى الجنود والمقاتلين لتنهال عليها طلبات الالتحاق إلى صفوف الجيش من كل جانب بهدف أن ينال شرف الجهاد تحت لواء الإسلام، وهم يسمعون كلام الله

(١) يعقوب، أحمد حسين، حقيقة الاعتقاد بالإمام المهدي، ص٣١٠.

(٢) سورة الحج، الآية ٧٨.

القائل عزّ قوله: ﴿وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾[١]، وعلى هذا فإن من أهم استراتيجيات الحكومة الإسلامية إعداد جيش منظم مجهز بأحدث الأسلحة والتكتيكات عملاً بقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[٢]؛ ولذا فإن الحكومة الإسلامية يجب أن تفرض نظام التجنيد الإلزامي على بعض الناس ضمن شروط خاصة، إذ لا يمكن في مثل هذا العصر الذي تستخدم فيه الدول الجيوش القوية المدربة، والمنظمة أن لا تتخذ الحكومة الإسلامية جيشاً مماثلاً في القوه والتدريب، والنظام والعدة تقع عليه مسؤولية الدفاع عن الأمة الإسلامية، والمرابطة على سوره، والسهر على أمنه الخارجي ودرء الأخطار عنه[٣]، وأهم الاستراتيجيات التي تحدث عنها النبي محمد صلى الله عليه وآله هي قوله: «نصرت بالرعب مسيرة شهر»، ويفهم من حديث النبي أن إظهار القوة للأعداء وإخافتهم يحقق النصر عليهم، ويؤدي إلى تحقيق أهداف الرسالة الإسلامية. ثم هنالك ما أسماه استراتيجيون بعنصر الحركة، أو المفاجئة الذي استعمله النبي محمد صلى الله عليه وآله في معارك عديدة، فإن عنصر الحركة بدوره يمنح الحركة قوة دفع جديدة فتمهد لها الطريق للتغلب على العدو، ومما تتميز به الاستراتيجية العسكرية الإسلامية أنها لا تستهدف ردع العدو الخارجي فحسب، بل تستهدف أيضاً ردع أعداء الأمة من القوى المضادة التي تعمل ضدها في الخفاء، وعنى الإسلام بأمر الصناعة الحربية فالسلاح يعد من أدوات القوة التي أمر الله بإعدادها لترهيب العدو.

والجدير بالذكر أن من المبادئ المعروفة في الاستراتيجية العسكرية هو تنظيم الجيوش وتسليحها، وأساليب قتالها تعتمد أولاً وقبل كل شيء على مستوى تطور

(١) سورة النساء، الآية ٩٥.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

(٣) سبحاني، جعفر، مفاهيم القرآن، ج٢، ص٥٦١ – ٥٦٢.

الصناعة وطرق المواصلات، والتقدم العلمي، والتقني، والتكنلوجي[١].

ثانياً: سياسته العسكرية في دولته المباركة.

من خلال تتبع الروايات يمكننا أن نحدد ملامح الاستراتيجية العسكرية التي سوف يتبعها الإمام المهدي ع في دولته المباركة التي سيصل صيتها إلى العالم أجمع، وسيكتب عنها الكتاب، بل ستجف الأقلام عند ذكر مناقبها وأهميتها؛ لذا يمكن تحديد السياسة العسكرية لدولته عليه السلام من خلال الآتي:

١- الدعم الإلهي

قال الإمام الباقر عليه السلام: «لو خرج قائم آل محمد عليهم السلام لنصره الله بالملائكة المسّومين والمردفين والمنزلين والكروبين يكون جبرائيل أمامه، وميكائيل عن يمينه وإسرافيل عن يساره، والرعب يسير مسيرة شهر أمامه، وخلفه وعن يمينه، وعن شماله، والملائكة المقربون حذاه...»[٢]، فالتصورات والاحتمالات في هذا المجال كبيرة، وهي أن يزود الله تعالى الإمام المهدي بما زود به أنبياءه كتسخير الريح كما سخر ذلك لسليمان عليه السلام فالريح تصنع كل شيء بأمر الله، والعواصف التي تؤثر في الأرض، والهواء، والبحار لا يمكن التغافل عنها، وهكذا الصواعق التي لا يمكن أن تقاس بمقياس خيالي، أو تصوري، وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن القائم منا منصور بالرعب مؤيد بالنصر تطوى له الأرض، وتظهر له الكنوز كلها، ويظهر الله به دينه على الدين كله ولو كره المشركون»[٣]، وبعد هذه الرواية فما المانع من أن ينتصر الإمام المهدي عبر الرعب، أي عن طريق إلقاء الرعب في القلوب قلوب ذوي القدرة، وأصحاب الإمكانيات من رؤساء الدول، وقد صرح القرآن الكريم

(١) محفوظ، محمد جمال الدين، العسكرية في الإسلام، ص١٤ -١٨- ٢٤ -٢٦- ٤٤.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣٤٨.

(٣) الفضل بن شاذان، مختصر إثبات الرجعة، ج ١٨، ص٢١٦.

بهذه الحقيقة وجعلها من أسباب انتصار الرسول الكريم صلى الله عليه وآله كما جاء في قوله تعالى: ﴿**سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ**﴾[١]،[٢] ﴿**وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً**﴾[٣]؛ لذا فإن القضية الإعجازية ستكون حاضرة في الإعداد العسكري لدولته المباركة كما جاء في دعاء العهد: «وانصره بنصرك العزيز، وأيده بجندك الغالب، وقوّه بقوتك وأردفه بملائكتك، ووالِ من والاه، وعادِ من عاداه وألبسه درعك الحصينة وحفه بالملائكة حفاً»[٤]، الإسناد والتعزيز الذي يقوي الله به إمامنا هو دعم قاهر يظهر متجلياً للعيان يجعل قلوب الأعداء ترتعب قبل أعينهم من شدة القوة المحيطة والمسخرة التي تكون خاضعة للإمام، فيستتب الخوف، والذعر بعد أن كانوا معولين على أسلحتهم الحديثة وأعدوا ما استطاعوا لقتاله منذ أن سمعوا بولادته، وليحققوا انتصارهم الذي يسعون إليه، ولكن هيهات، والله جابرٌ لوليه مكتفياً من عصيانهم، فيرمي أمام الحق بيد من حديد بقوة عظمى مسخرة من الله.

٢- الأسلحة المتطورة والخطة العسكرية.

إن التكتيك الفعال الذي يستخدمه الإمام في عصر الظهور من حيث سياسته العسكرية هو استخدام الأسلحة المتطورة الموجودة في عصر النهضة الروحية لإمامنا الغائب الذي به يستولي على القواعد العسكرية، ويعتمد على عنصري المفاجئة والسرعة، فيشترط في الثائر الذي يخترق الغيب إلى كبد السماء، إما أن يكون قد حشد في غيبته قوى أكثر من القوى المتصارعة على الأرض، أو يمتلك الخطة، أو السياسة العسكرية التي بها سيصبح قوة ضارية أكبر من تلك القوى، وكل الثائرين الذين قفزوا من تحت الأرض إلى دفة الحكم لم تكن وسيلتهم سوى خطة ناجحة، فإذا

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥١.

(٢) القزويني، محمد كاظم، الإمام المهدي من المهد إلى الظهور، ص٥٧١ -٥٧٢- ٥٧٣.

(٣) سورة الأحزاب، الآية٢٦

(٤) القمي، عباس، مفاتيح الجنان، ص٦١٧.

ظهر الإمام وتوافد إليه حواريوه الثلاثمائة وثلاثة عشر والتف حوله أنصاره الأشداء حينها ستتجمع لديه قوة عسكرية يستطيع بها أن يوجه فصائلها نحو الخليج، وإيران والهند وسائر الدول المجاورة لها، وأنْ يوجه ما تبقى منها إلى أفريقيا غرباً ويستولي سريعاً على الحجاز وسوريا ولبنان والأردن والعراق، فتستسلم من دون مقاومة، فإن انتصاراته المتتابعة ترفع معنويات أنصاره مادياً ونفسياً، وتخفض معنويات أعدائه تحت الصفر، وهذا ما يجعل منه قائداً مظفراً رهيباً[١].

٣- سياسية القتل وإبادة الظالمين

إن سياسة القسوة والقتل التي يعتمدها الإمام ما هي في الواقع إلا عملية جراحية ضرورية لتطهير الأرض من الطغاة والظالمين وبدونها لا يمكن إنهاء الظلم على وجه الأرض، وإقامة العدل خالصاً كاملاً، والقضاء على أسباب المؤامرات الجديدة التي سيقوم بها أعداؤه، فقد جاء في قوله تعالى: ﴿**يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ**﴾[٢]، ولقد فسر الإمام الصادق عليه السلام هذه الآية بأنّ: «الله يعرفهم، ولكن نزلت في القائم يعرفونهم بسيماهم فيخبطهم بالسيف هو وأصحابه خبطاً»[٣]. والأمر الذي يوجب الاطمئنان عند المترددين في هذه السياسة أنها بعهد معهود من النبي صلى الله عليه وآله، وأن الله تعالى يعطي الإمام المهدي العلم بالناس، وشخصياتهم وهو ينظر إلى الشخص بنور الله تعالى فيعرف ما هو وما هو دواءه، ولا يخشى أن يقتل أحداً من الذين يؤمل اهتدائهم وصلاحهم[٤]، وأنّ التخلّص من الظالمين، والجبابرة، وتطهير الأرض منهم هو أمر لا يحتمل التأخير، ونجد قولاً للنبي محمد صلى الله عليه وآله يوم فتح

(١) فياض، مرتضى، الإمام المهدي سيرته-علاماته، ج٤، ص٥٨-٥٩.

(٢) سورة الرحمن، الآية٤١.

(٣) النعماني، الغيبة: ص٢٤٩ ح٣٩.

(٤) الكوراني، علي، عصر الظهور، ص٢٥٦.

مكة: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»[١]، فبدل أن يجيزوا إحسانه ومعروفه، تآمروا عليه وعلى ابنته وقتلوا ذريته، فإن تطهير الأرض منهم هو من أهم الأمور التي يتخذها الإمام، وما يؤيد هذا هو رواية أبي جعفر عليه السلام عن آبائه، قال: «قال النبي صلى الله عليه وآله: اعلم إذا حان وقت خروجه اقتلع ذلك السيف من غمده، وأنطقه الله عزّ وجلّ فناداه السيف: اخرج يا وليَ الله، فلا يحلّ لك أن تقعد عن أعداء الله، فيخرج ويقتل أعداء الله حيث ثقفهم، ويقيم حدود الله ويحكم بحكم الله»[٢]، وجاء في دعاء زمن الغيبة: «وأظهر به الحق، وأمت به الجور، واستنقذ به عبادك المؤمنين من الذل، وأنعش به البلاد، واقتل به جبابرة الكفر... وأبر به المنافقين والناكثين وجميع المخالفين، والملحدين في مشارق الأرض، ومغاربها وبرها وبحرها»[٣]، وسياق الدعاء ورد فيه أمر بإظهار الحق، وإن كان عن طريق القتل، فالقتل هو سياسة لحقن دماء المسلمين الذين أعلى الله من شأنهم بآية السبيل ضد المنافقين والظالمين الذين لطالما قتلوا، ونهبوا، واعتدوا على حرمات الإسلام، وانتهكوا أعراض المسلمين، فهم رؤوس البغي، ولا ينفع معهم النصح والتوبة، فأمر الله ألّا تأخذه فيهم لومة لائم، وأن يطاردهم ويقضي عليهم في مشارق الأرض ومغاربها، ولجميع أصناف الضلال الذين عاثوا في الأرض فساداً.

٤- سياسته القضائية.

إنّ سيرة الإمام المهدي عليه السلام مع نفسه وأمته تجسد صورة الحاكم الإسلامي المثالي الذي تكون السلطة عنده وسيلة لخدمة الناس، فهو مع أمته الرؤوف الرحيم بهم وهو الموصوف بأنه المهدي كأنما يعلّق المساكين الزبد، وهو الموعود الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً؛ لذا فإن إنجاز هذه المهمة يحتاج إلى سيرة قضائية

(١) الطبرسي، إعلام الورى: ج١ ص٢٢٦.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣١.

(٣) القمي، عباس، مفاتيح الجنان، ص١٠٤.

صارمة، فهو يجسد سيرة جده الإمام علي عليه السلام الشديدة في تتبع حقوق الناس المغصوبة وأخذها من الغاصب، فيبلغ من رد المهدي للمظالم حتى لو كان تحت ضرس إنسان شيء انتزعه حتى يردّه، فيبلغ من عدله أن تتمنى الأحياء عودة الأموات، أي تمنوا عودة الأموات لينعموا في بركات عدله، وتذكر مجموعة من الأحاديث الشريفة أنه عليه السلام يحكم بحكم سليمان وداود في قضائه، بمعنى أنه سيحكم بالعلم اللدني من دون الاحتجاج بالبينة، ولعل ذلك انطلاقاً من مهمته في إقرار العدل الحقيقي والظاهري الذي قد تقره البينة الظاهرية، وإن كان مخالفاً للعدل الحقيقي، وهذه حقيقة معروفة يشهدها التاريخ الإسلامي، والإنسان إذ يؤدي الالتزام في البيانات الظاهرية إلى غياب العدل الحقيقي[١].

٥- السلاح.

عن علي بن عاصم عن أبي جعفر عن آبائه عليهم السلام: «قال النبي محمد صلى الله عليه وآله: له علم إذا حان وقت خروجه انتشر ذلك العلم من نفسه، وأنطقه الله عزّ وجلَّ فناداه العلم: اخرج يا ولي الله فاقتل أعداء الله، وهما آيتان وعلامتان، وله سيف مغمد فإذا حان وقت خروجه اقتلع ذلك السيف من غمده وأنطقه الله عزّ وجلَّ فناداه السيف: اخرج يا ولي الله فلا يحل لك أن تقعد عن أعداء الله، فيخرج ويقتل أعداء الله حيث ثقفهم ويقيم حدود الله ويحكم بحكم الله، يخرج جبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن يسرته، وسوف تذكرون ما أقول لكم ولو بعد حين»[٢]، إن هالة الرمزية المحيطة حول مسألة السلاح واختلاف الآراء التي قدمها كل من كتب حول هذا الموضوع جعلته موضع تفسير بعد الرجوع للروايات، وتحليلها حسب منطلق كل كاتب، وسنتعرض لبعض من تطرق إلى هذه المسألة، ومنهم:

(١) لجنة التأليف في المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت، أعلام الهداية، ج١، ص٢٢٣-٢٢٤.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣١١.

ـ **العلّامة مرتضى فياض**: يقول العلّامة الكبير: (إنه يأتي إلينا بنوع جديد من السلاح تكون لديه الأسلحة المتقدمة رمزية، وقد ورد في وصف السيف: «إنه يعرف أعداء الله فيقتلهم ويعرف أنصار الله فيدعهم»، ولعل السلاح الذي يميز بين الأفراد هو نوع آخر من السلاح غير موجود حتى اليوم، ولكنه ورد تعبير السيف؛ لأنه كان أبرز سلاح يقاتل به في زمن صدور هذه الأحاديث)[١].

ـ **محمد كاظم القزويني**: متحدثاً عن (أنه قد وردت الأحاديث عن النبي محمد صلى الله عليه وآله أن الإمام المهدي سيخرج بالسيف، وقد فسر الشيخ الجليل ذلك بأن السيف ما هو إلا رمز من رموز القوة، وأن المقصود بالسيف هو الأداة الجارحة المعروفة فيكون المعنى أن الإمام المهدي يستعمل السيف في تطبيق قانون العقوبات فالذي يستحق القتل يقتل بالسيف لا بالرصاص، ولا بالشنق، ولا بالكهرباء، ولا يأتي بنوع من أنواع التعذيب التي تستعملها الحكومات، وإنما بضرب عنق المجرم فتقطع أوداج رقبته فقط)[٢].

ـ **محمد حسين الصغير**: يقول الأستاذ المتمرس الأول في جامعة الكوفة متكلّماً عن سلاح الإمام المهدي: (إن أوجه التشابه بين الإمام المهدي، وجده رسول الله صلى الله عليه وآله في مجابهة الطواغيت هي قوة فعلية تتمثل في السيف، وقوة معنوية تتمثل في الرعب، وقد ورد عن الإمام الباقر أنه يخرج بالسيف، ويقتل أعداء الله، وأعداء الرسول فإن سلاح الإمام هو سلاح فعلي يقتل به، ومعنوي يلقي به الرعب في قلوب الطغاة)[٣].

ـ **ناصر مكارم الشيرازي**: يقول الشيخ: (إنه جاء في الروايات أنه عليه السلام يقوم بالسيف الأمر الذي يعني اعتماده على الأسلحة البسيطة، فيرد الإشكال هل يمكن

---

(١) مرتضى فياض، الإمام المهدي سيرته ـ علاماته، ج٤، ص٥٣.

(٢) القزويني، محمد كاظم، الإمام المهدي من المهد إلى الظهور، ص٥٧٤.

(٣) الصغير، محمد حسين علي، الإمام المهدي نصب عينيك كأنك تراه، ص٢٥٤.

تعطيل الأسلحة المتطورة والعودة إلى عصر الأسلحة المتواضعة؟ يصرح العقل أنّ العودة إلى الوراء ليست ممكنة ولا منطقية، وهذا يخالف سنة الخلق، وأصل تكامل الحياة وأنه ليس هنالك دليل على جمود المجتمع، وإيقاف عجلة التطور بغية تحقيق الحق، والعدالة، وأن قيام المصلح العالمي لا يؤدي بأي شكل من الأشكال إلى ركود الصناعة، وما عليها من تطور أما بشأن السلاح، فلابد من الإطاحة بالحكومات الجائرة المستبدة من أجل استقرار حكومة العدل فينبغي توفير الأسلحة الأفضل للقضاء على تلك الحكومات، والسلاح الذي ربما يصعب علينا تصوره حتى اليوم قد يكون من قبيل الأشعة المجهولة التي تفوق الأسلحة المتطورة السائدة الآن، أو هو حصول شيء من قبيل الخوف، والهلع، والرعب الذي يحول دون الإقدام؛ لذا فلا يسعنا الإشارة إلى السلاح من الناحية المادية، والنفسية، أو سائر النواحي، وكل ما يسعنا قوله: إنه سيكون السلاح الأقوى)[1].

إن كل ما تفضل به علماؤنا الأجلّاء بالنقل بالتواتر حديثاً، وروايةً فقد برهنوا على ثبات عقيدتهم بدولة الحق وسياستها، فأظهروها بأبهى حلتها، وتعمقوا في أدق تفاصيل حكومته بدون نسيان أي تفصيل يذكر، فقد عزز العلّامة مرتضى فياض قوله بالأدلة الواردة، وهو رأي صائب، وأردف كل من القزويني ومحمد حسين الصغير آراءهم من وجهة نظر عقلانية، ولا يسعنا سوى الإشادة والثناء على ما رأوه، ولكن نحن نرى أن ما تفضل به الشيخ مكارم الشيرازي هو الأصح من حيث المنطق والأدلة العقلية التي أوردها، وكون رأيه لم يُبن على ثقة تامة فقد ترك رأيه للمستقبل لحين وقوعه، وإثبات صحته مع ثقتنا إن شاء الله بوقوع المحتوم .

(١) الشيرازي، مكارم، الحكومة العالمية للإمام المهدي، ص٢٠٣-٢٠٤.

المبحث الثالث: السياسة التنفيذية.

أولاً: مفهوم السياسة التنفيذية.

ثانياً: السياسة التنفيذية في دولة صاحب العصر والزمان عليه السلام.

أولاً: مفهوم السياسة التنفيذية.

تعرف السياسة التنفيذية بأنها إمضاء أوامر الإمام وأحكامه وإبلاغ قراراته[١]،

فالمفهوم من التعريف أن السياسة التنفيذية هي أوامر من قبل سلطة أعلى، إذ إن نشوء السلطة التنفيذية هو لدفع الضرر القطعي، لأن الإنسان اجتماعي بطبعه فتنشأ عن اجتماعيته الخلافات والنزاعات التي سببها تضارب واختلاف في المصالح والآراء ويختل بسببها نظام الدين والدولة، فتقرر إقامة هذه السلطة في سبيل دفع الخلافات والاختلالات؛ وذلك لما تدفعه عن المجتمع، وأفراده من الأضرار، فجاءت الآية الكريمة الدالة على ثبوت مشروعية وجود هذه السلطة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ**﴾[٢] لتشدد على الإطاعة، كما أوجبت الشريعة الإسلامية قيام هذه السياسة على العدل، ونبذ الظلم، فجاء في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ** ﴾[٣][٤].

---

(١) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، الأحكام السلطانية، ص٤٠.

(٢) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٣) سورة النساء: الآية ٥٨.

(٤) محمود نمر، النفار، تقييد السلطة التنفيذية في التشريع الإسلامي، ص١١-١٢.

ثانياً: السياسة التنفيذية في دولة صاحب العصر والزمان.

جاءت الروايات العديدة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام التي ذكرت عدّةً وعدداً أصحاب الإمام (صلوات الله وسلامه عليه) مشيرة بذلك إلى خيرة الخلق من الأولين والآخرين فكما اصطفى الله لموسى هارون وزيراً، ولمحمد علياً خليفةً، إذن فمسألة إحاطة الإمام، أو الخليفة، أو النبي بالاتباع المخلصين هي مسألة في قمة الأهمية؛ لما لها من الأثر البالغ في إيصال الرسالة عن طريق الأتباع الأوفياء الذين يفعلون ما يؤمرون بدون أن يغمض لهم طرف، فمن مقتضيات الخليفة، أو صاحب الولاية هي توفر القاعدة التي تنصره وتذب عنه، فلو نظرنا إلى المحفل التاريخي لكل واحد من الأئمة (صلوات الله وسلامه عليهم) سنجد الأصحاب المقربين من الأوفياء على الرغم من أن بعض الأئمة لم يدخلوا المعترك السياسي، أو تأسيس دولة، ولكن وجدوا محبيهم وناصريهم سواء أكانوا تلامذتهم، أم من قادة جيشهم فها هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان يوكل أمور دولته لثقته التامة بمحبة، وإخلاص شيعته وولاء من هم تحت سلطته، فعندما يصل الأمر إلى دولة صاحب العصر والزمان، وعلى الرغم من وجود الشيعة والمحبين والمنتظرين المستعدين لنصرته إلا أن قيام الإمام، وظهوره المبارك سيتطلب فئة خاصة تسانده من كل الأقطار ممحصين نجباء فقهاء لديهم من الخبرات ما يسعفهم ليكونوا تحت دفة الحكم بمسميات عديدة وإن اختلفت هذه المسميات في ذلك العصر، فالرئاسة، والبرلمان، والاشتراكية، والنيابية كل هذه المسميات ستضمحل وتنتهي فيكون الحاكم واحداً، ومن هم تحت لوائه على ثقل يفوق التصورات، فقد جاءت الروايات مصرحة وإن أحاطت ببعضها الرمزية في مواضع أن وزراءه النبي عيسى عليه السلام والخضر، بل امتد ليشمل أصحاب الكهف، وأصحاب موسى عليه السلام وأصحاب الإمام علي عليه السلام مالك الأشتر، وسلمان الفارسي، وأبو دجانة الأنصاري، فجاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا قام قائم آل محمد استخرج من ظهر الكعبة سبعة عشر رجلاً، خمسة من قوم موسى الذين يقضون بالحق وبه

يعدلون، وسبعة من أصحاب الكهف، ويوشع بن نون، ومؤمن آل فرعون، وسلمان الفارسي وأبو دجانة الأنصاري ومالك الأشتر».[١]

وبعد هذا نفهم من مقتضى الروايات أن أصحاب الإمام يحملون صفات وإخلاصاً وتفانياً، كما ذكر عدد أصحاب الإمام في روايات عديدة مشيرة للرقم ٣١٣، وهو في الحقيقة رقم تكرر في حروب عديدة منها معركة بدر، وجيش طالوت فجاءت الرواية: «وقد جاءكم الفرج ـ وهو المهدي عليه السلام ـ خارج من مكة، فيجمع الله بين أصحابه على عدد أهل بدر، وعلى عدد أصحاب طالوت ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً كأنهم زبر الحديد»[٢]، فالسّر يكمن في أن الله جعل الكثرة في هذه القلة ليدحض أعداء الإسلام بتأييد أنبياء الله بهذا العدد الذي أسنده بالدعم الإلهي، وبالملائكة والرعب كما أسلفنا، وعليه تتوزع سياسته التنفيذية في دولته المباركة على النحو الآتي:

١ - الوزير.

اختلفت الآراء حول مصطلح الوزارة فمنهم من قال: إنها مأخوذة من الوزر وهو الثقل؛ لأن الوزير يحمل أعباء الدولة[٣]، فجاء في قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ**﴾[٤]، ومنهم من ذهب إلى أنها مأخوذة من الوَزَرَ وهو الملجأ؛ لأن الحاكم أو الملك يلجأ إلى رأي وزيره وتدبيره، وتعني كلمة الوزير بمعنى النصير فجاء في قوله تعالى: ﴿**وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي**﴾[٥]، وذهب فريق آخر إلى أنها مأخوذة من الوزِرْ وهو بمعنى الثقل؛ لأن الوزير يحمل عن الحكومة

---

(١) المفيد، الإرشاد، ج٢، ص٣٨٦.

(٢) الكلبايكاني، لطف الله الصافي، منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر، ج ٣، ص١٤٧.

(٣) القاسمي، ظافر، نظام الحكم في الشريعة الإسلامية والتاريخ الإسلامي، ص٤٩.

(٤) سورة فاطر، الآية ١٨.

(٥) سورة طه، الآية ٢٩.

أعباء الدولة ويدير شؤونها كما في قوله تعالى: ﴿**وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ**﴾[١][٢]، وبعد التعريف الوافي لمعنى الوزير، ودوره وسلطته فقد صرحت الأحاديث أن النبي عيسى عليه السلام سيكون بلا شكّ هو وزير الإمام ـ روحي له الفداء ـ في دولته المباركة، فقد روى نعيم أن عيسى، يقول: «إنما بعثت وزيراً ولم أبعث أميراً»[٣] كما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله، وهو ـ أي عيسى ـ الوزير الأيمن وحاجبه ونائبه[٤]، وبهذا فإن النبي عيسى سيكون وزيراً في حكومة الإمام إذن فالأسس الرصينة، والدعائم القويمة المبنية على أساس وجود أشخاص كالنبي عيسى في جهاز الدولة سيبني بنياناً متيناً لهذه الدولة، وهو ما أراده الله، وما أقره النبي، وما سيقدم عليه الإمام مما يبعث الأمن والطمأنينة في نفوس العباد لوجود وزير كالنبي عيسى في أعمدة الدولة، بل سيكون حافزاً لدخول العديد من أصحاب الملل الأخرى في دين الإسلام؛ لوجود النبي عيسى عليه السلام تحت لواء الإسلام .

٢- قادة الجيش.

من المعلوم أن عدد أصحاب الإمام المهدي هو ثلاثمائة وثلاثة عشر، وهم من أهم قادته من المخلصين، والممحصين الذين يكونون على درجه عالية من العقيدة والإخلاص لقائدهم، ومقدار شجاعتهم، وإقدامهم على التضحيات في سبيل الله تعالى، ولكن من المعلوم أيضاً أن جيشه غير منحصر بهذا العدد، بل دَلَّت الروايات على أن نواة جيشه الأولى تجتمع في مكة في أول الظهور، ولا تقل عن عشرة آلالف شخص، فقد جاء في رواية عن أبي عبد الله عليه السلام، يقول: «إنما كان قول لوط عليه السلام لقومه:

(١) سورة الشرح، الآية ٣.

(٢) الشافعي، ميثم حسين، المسؤولية الوزارية، مجلة أهل البيت، العدد ٩.

(٣) ابن طاووس، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر، الملاحم، ج١، ص١٧١.

(٤) الحائري، علي اليزدي، إلزام الناصب، ج ١، ص٧٢.

﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[١] إلا تمنياً لقوة القائم المهدي وشدة أصحابه وهو الركن الشديد لهم، فإن الرجل منهم يعطى قوة أربعين رجلاً، وإن قلب الرجل منهم أشد من زبر الحديد، لو مروا على الجبال لتدكدكت، ولا يكفون سيوفهم حتى يرضى الله تعالى عنهم[٢] «يتمسحون بسرج الإمام يطلبون بذلك البركة ويحفون به يقونه بأنفسهم في الحروب، ويكفونه ما يريد، فيهم رجال لا ينامون الليل...».

دلت القواعد العامة على أن التخطيط الإلهي في عصر ما قبل الظهور ينتج ثلاثة مستويات من الإخلاص كلهم سيكونون من أصحابه، فيكون المخلصون من القسمين الأولين قابلين لتولي أهم أعمال دولة الإمام؛ لذا فإن مقتضى الفهم العام من الروايات هي أن الخاصة الثلاثمائة وثلاثة عشر هم سيقومون بالقيادة العسكرية الرئيسة في فتح العالم، وسيكونون هم أنفسهم الذين يوزعهم الإمام المهدي عليه السلام؛ لأنهم صفوة الخلق الذين صاروا في أعلى درجات الإخلاص من الجيل المعاصر يومئذٍ من البشر أجمع، فلا يجد الإمام عليه السلام غيرهم لتولي الحكم في العالم تحت إشرافه وقيادته.[٣]

وبعد الغيبة الطويلة للإمام لابد أن يكون جيشه واتباعه من أشد القادة كما أن الغيبة الطويلة يجب أن يكون مخططاً لها حتى تنتزع ألم الظلم من قلوب العباد بغيبته ولتحقق النصر، وهذا النصر مشروط بالعدة، والعدد، والدعم، والتخطيط الصحيح، فالإمام سيترأس جيشه الذين وصفتهم الروايات بأنهم كالليوث في ساحات القتال شعارهم نصرة الله ووليه، فقال الإمام الصادق عليه السلام للمفضل بن عمر: «كأني أنظر إلى القائم على منبره، وحوله أصحابه الثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً عدة أصحاب بدر،

---

(١) سورة هود الآية ٨٠.

(٢) الكوراني، علي، معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام، ج٥، ص١٧٢.

(٣) الصدر، محمد باقر، تاريخ ما بعد الظهور، ج٣، ص ٤٨٣ - ٤٨٤ - ٤٩١.

وهم أصحاب الألوية، وهم حكّام الله في أرضه على خلقه»[١]، وعندما يحين ظهوره المبارك سيجتمع حوله حواريوه من غير ميعاد، وكل منهم يرى نفسه في ٣١٣ .

٣- العمال والولاة.

تقوم أي دولة في العالم بأجهزتها ودوائرها سواء أكانت فنية أم إدارية أم تشكيلية على أشخاص يتوزعون بحسب مراتبهم وكفاءاتهم، وتحصيلهم، واستحقاقهم، ولكن الأنظمة الحالية انتشر فيها الفساد، والرشوة، والمحسوبية من حيث عدم ملائمة كل شخص مع منصبه، وهذا الأمر سبب التدهور، والتخلّف وإذ إنّ إيلاء أمر هذه المناصب بهذه الأهمية لنجاح أي دولة كان للإمام سياسة أخرى من حيث تنصيب كل شخص بمكانه المناسب في مفاصل هذه الدولة لاستحقاق كل فرد، ولتوفر الصفات التي أرادها الله تعالى، ومن ثَمّ الإمام لضمان استيعاب العدل بجميع درجاته، ومن أهم المناصب التي سيوليها الإمام لهؤلاء العمال القاضي، والوالي، ومستوفي الخراج وحامي الثغور وجابي الصدقات، ولهؤلاء صفات ميزتهم عن غيرهم كما جاءت الروايات تصفهم بالقوة الجسمية، والعقلية، والحلم، والعدل، والحكمة فهم كمصابيح الدجى في الليالي الظلماء، وفي رواية أمير المؤمنين عليه السلام: «أصحاب المهدي شباب لا كهول فيهم إلّا مثل كحل العين والملح في الزاد، وأقل الزاد الملح»[٢]، والكهول الذين يتوسمون طليعة الشباب هم أصحاب الخبرات، والتجارب، والذين لهم باع طويل وتجربة ناجحة فهم يتمسحون بسرج الإمام طالبين بركته، بل أن الإمام سيغترف من علمه وعدله وحكمته وبركته فيلقيها فيهم؛ لأنهم كالفرع الذي ينبت بعد الأصل المحمل بخير الدنيا والآخرة.

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣٢٦.

(٢) المصدر نفسه، ج٥٢، ص٣٣٤.

٤ -الأبدال.

الأبدال: هم قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم إذا مات واحد بدّل الله مكانه بآخر فهم قوم يقيم الله بهم الأرض، وهم سبعون أو أربعون بالشام، وثلاثون بغيرها لا يموت أحدهم إلا قام مقامه آخر من سائر الناس[١]، وربما أن المراد من الأبدال هم الصحابة، والمقربون المفضلون عند الإمام، والجزم بهذه المسألة من حيث إنهم معصومون، ولا يرتكبون الذنوب هي من الإرهاصات التي قدمها الشيخ القمي في الدعاء: «اللهم صلّ على الأبدال، والأوتاد، والسياح، والعباد، والمخلصين، والزهاد وأهل الجد والاجتهاد ...»[٢]، والأمر الذي استدعى ذكرنا لهذه الفئة من أصحاب الإمام هو أنهم من الملازمين للإمام (صلوات الله وسلامه عليه) في غيبته وينصرونه في ظهوره إذاً فلهم دور فعال في عملية الإمام السياسية، وإحداث التغيير الصارم في دولته فهم المتوسمون بسمات النصح وإرشاد الناس وتوعيتهم، فجاء في قول للنبي محمد صلى الله عليه وآله: «لا يزال أربعون رجلاً من أمتي قلوبهم على قلب إبراهيم يدافع الله بهم عن أهل الأرض، يقال لهم: الأبدال فهم لم يدركوها بصلاة ولا صوم ولا صدقة. قالوا: يا رسول الله فبم أدركوها؟ قال: بالسخاء والنصيحة للمسلمين»[٣] منهم الفقهاء والعلماء في يومنا الحاضر بل أكثر حسبما أشارت الرواية فدورهم لا ينحصر بنصرة الإمام بل يتعدى لتلقيح أذهان العباد وإرشادهم للصواب، فهم خاصة المهدي عليه السلام المعطرون بعطر الصلاح للناس بدولة الإمام، وتسميتهم بهذا الاسم لكون الله يبدلهم في كل مرة يموت أحد فيهم للمحافظة على عددهم بقرب الإمام لعون الإمام، فالقاعدة المغربلة من جميع شوائب، وملذات الدنيا هي القاعدة الأسمى، والمختارة من الله بعناية للمثول تحت لواء الإمام في دولته، في حين أن دولة ما قبل الظهور

(١) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، ج١، ص١٦٥.

(٢) القمي، عباس، مفاتيح الجنان، ص٢٦٤.

(٣) الكوراني، علي، معجم أحاديث الإمام المهدي، ج١، ص٤٧٧.

والتي يجتاحها كرب الزمان، فيصدع الكفر، والنفاق، والبؤس، والاستياء فهذا الجيل به حاجة إلى إعادة تأهيل وتعديل، وإزالة جذور الفساد، وهذا الأمر غالباً ما سيكون منوطاً بهذه الفئة التي ستعيد صياغة مفاهيم الناس لتجعلها كفؤاً لدولة الزمان بوصفهم محكومين لحاكمٍ مخلص من براثن الفساد، ومحقق العدل في البلاد، غير أنّنا نلاحظ أن هذه الفئة قد اختلف العلماء حول إيراد المعنى الدقيق لهم، ومن هؤلاء العلماء:

● **محمد جواد الطبسي**: إذ يقول: (هناك احتمالات من أن المقصود بالأبدال هم العترة الطاهرة المعصومون الاثنا عشر عليهم السلام)[١]، وروى الخالد بن الهيثم الفارسي، قال: «قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: إن الناس يزعمون أن في الأرض أبدالاً، فمن هؤلاء الأبدال؟ قال: «صدقوا، الأبدال الأوصياء جعلهم الله عزّ وجلَّ بدل الأنبياء إذ رفع الأنبياء وختمهم بمحمد ...»[٢].

● **علي الكوراني**: إذ يقول: (أما الأبدال ـ وأقلهم ثلاثون ـ فهؤلاء يلتقون بالإمام ويقومون بمهام يوكلها إليهم في أقاصي الأرض، ولا يحتاجون في تنقلهم إلى وسائلنا العادية لا جواز سفر، ولا سمات دخول، ولا تذكرة طائرة، عندهم وسائلهم التي يعلمهم إياها الإمام في تنقلاتهم وأداء أدوارهم، فهؤلاء يعيشون عالمهم، ويقومون بمهامهم وينقطعون عن الناس حسب الحاجة)[٣].

● **عباس القمي**: ذهب إلى رأي آخر، فقال: (من المحتمل أنهم الأنصار الخواص للأئمة فهم المعصومون فإن ظاهر الدعاء المروي عن أُمِّ داوود عن الصادق عليه السلام يدل على مغايرة الأبدال للأئمة، ولكن ليس بصريح فيها، فيمكن حمله

(١) الطبسي، محمد جواد، الإمام المهدي المصلح العالمي، ص١٨٢.
(٢) القمي، عباس، سفينة البحار، ج١، ص١٦٧.
(٣) القريشي، حسين عبيد، أسئلة مهدوية، ص٦٦.

على التأكيد[1].

إن الآراء التي تم عرضها مختلفة نوعاً ما من حيث صفاتهم، ووظيفة الأبدال ولكن يمكن تحميل رؤية، ورأي الشيخ الكوراني أنه وفقاً للروايات الواردة عن الأصحاب والأبدال كان اعتماد الإمام عليهم، فيكونون ملازمون للإمام منذ الغيبة وحتى الظهور عارفون بالأسس، ومسلّمون لأوامر الامام، وهو في الحقيقة رأي متناغم مع جملة صفاتهم التي وردت عن الأئمة، وعن سلوكهم وأخلاقهم، ولكننا ننظر إلى رأي الشيخ القمي الذي أفاد باتصافهم بصفة العصمة فالعصمة هي صفة يمكن لأي إنسان أن يتحلّى بها إذا ما ترك ملذات الدنيا وشهواتها، والتزم بتعاليم الله، إذ إنّ المقصود من رأي القمي أنهم معصومون من حيث ملازمتهم للأئمة وهو الرأي الراجح .

(١) القمي، عباس، سفينة البحار، ج١، ص١٦٧.

المبحث الرابع: السياسة الاقتصادية للإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف.

أولاً: مفهوم السياسية الاقتصادية الإسلامية.

ثانياً: السياسة الاقتصادية التي ينتهجها الإمام في دولة صاحب الأمر عجل الله فرجه الشريف

أولاً: مفهوم السياسة الاقتصادية الإسلامية.

الاقتصاد لغةً:

جاء في لسان العرب: (القصد استقامة الطريق، والقصد العدل، والقصد في الشيء خلاف الإفراط، وهو ما بين الإسراف والتقتير، والقصد في المعيشة أن لا يسرف ولا يقْتُر)[١].

أما تعريف الاقتصاد الإسلامي اصطلاحاً فهو: (العلم بالأحكام الشرعية العملية عن أدلتها التفصيلية في ما ينظم كسب المال، وإنفاقه، وأوجه تنميته)[٢].

مفهوم السياسة الاقتصادية من المنظور الإسلامي.

إن الارتباط بين الاقتصاد والسياسة المالية للدولة جعلت السياسة المالية جزءاً من الاقتصاد الإسلامي؛ لأنها وضعت بصوره تلتقي مع السياسة الاقتصادية العامة لتحقيق الأهداف، فالسياسة المالية في الإسلام لا تكتفي بتمويل الدولة من نفقاتها اللازمة وإنما تستهدف المساهمة في قرار التوازن الاجتماعي، والتكافل العام، فإن للسلطة الحاكمة صلاحيات اقتصادية واسعة، وملكيات كبيرة تتصف فيها طبقاً لاجتهادها، ولهذا فإن السياسة الاقتصادية تمتاز عن بقيه السياسات الأخرى في الإسلام بإطاره الديني الشامل لكل أنظمة الحياة في الإسلام، فإن الاقتصاد الإسلامي هو ثورة لقلب الواقع الفاسد، وتحويله إلى واقع سليم، وإن كان من أركانه

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة قصد.

(٢) الطريقي، عبد الله عبد المحسن، الاقتصاد الإسلامي، ص١٨.

وأحد أعمدته هو مبدأ العدالة الاجتماعية، أي مبدأ التوازن الاجتماعي بمفهومها الإسلامي، إذاً يتضح أن الاقتصاد الإسلامي مترابط في خطوطه، وتفاصيله، ويتقوم بالعقيدة الإسلامية ويمكننا القول إن الاقتصاد الإسلامي هو اقتصاد واقعي، وأخلاقي معاً لأنه يستهدف في أنظمته، وقوانينه الغايات التي تنسجم مع واقع الإنسانية بطبيعتها ونوازعها، وخصائصها، ويحاول دائماً ألا يرهق الإنسانية في حسابه، ولا يحلق بها في أجواء خيالية فوق طاقتها، وإمكاناتها، وإنما يقيم مخططه الاقتصادي دائماً على أساس النظرة الواقعية[١].

ثانياً: معالم السياسة الاقتصادية التي ينتهجها الإمام في دولته عليه السلام

إن الإنسان ينشأ وتنشأ معه غرائز فطرية كحب المال، والأولاد وغيرها من الأمور الدنيوية، ولكن عند عدم إشباع هذه الحاجات من الممكن أن يتحول الإنسان من فطرته الصحيحة إلى إنسان منعدم الأخلاق بسبب الحرمان، والفقر، والفاقة، ولكن ما السياسة، والآلية التي يتبعها الإمام في دولته؟ فكما يقول الشيخ مرتضى فياض: «إن دولته الإسلامية راعت هذه الحاجات فلم يعطلها، أو يلغيها، أو يحمل النفس الإنسانية ما لا تطيق؛ لأن إشباع الحاجات الأساسية تمنع الإنسان من الانحرافات»[٢]، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: إن الفقر مذلة للنفس، مدهشة للعقل مجلبة للهموم. وقوله أيضاً: الفقر الموت الأكبر»[٣]؛ ولذلك فقد وضع الإمام منهجاً اقتصادياً متكاملاً لكي يحافظ على اللبنات التي يسعى لبنائها في الفرد المسلم ودولته، ومن أهم معالم دولته الاقتصادية، هي:

---

(١) الصدر، محمد باقر، اقتصادنا، ص٢٩٤-٣١٦.

(٢) فياض، مرتضى، الإمام المهدي، ج٤، ص٢٦٠.

(٣) الريشهري، محمد، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، ج١٠، ص٢١٤.

١ -تكديس المال

إن تكديس المال جاء بمعنى تكثيره وجمعه، وبهذا المعنى، فإن تجمع المال في دولة صاحب الحق هو أمر يقيني؛ لتوفر الأسباب القائمة التي تجعل من تجمع المال أمراً واقعياً بما فيها من تحقيق الاكتفاء الذاتي للأفراد كما لا ننسى أن النظم السياسية التي يتخذها تحجب السرقة، والاحتكار، والربا، فإذا قضي على كل هذه المظاهر وجد الاستقرار الذي سيتيح للأفراد أن يعملوا بإخلاص، وتفان فلا رشوة، ولا غش، ولا أكل أموال الناس بالباطل كل هذه الأسباب ستجعل الرخاء الاقتصادي في أوج ازدهاره في عصر الظهور فضلاً عن أن دولته ستشمل جميع أنواع الصناعات القائمة بما فيها من تعدين، وصناعة وزراعة كله يمكن أن يسد جميع أنواع النقص في المال، ومن ثَمَّ كثرة الأموال وتجمعها، فقد روي عن علي بن عقبة عن أبيه قال: إذا قام القائم عليه السلام حكم بالعدل، وأمنت به السبل، وأخرجت الأرض بركاتها ورد كل حق إلى أهله، وتدل الرواية على عدله وأنه يحكم بحكم أنبياء الله ويحكم بين الناس بحكم داوود وحكم محمد صلى الله عليه وآله، فحينئذٍ لا يجد الرجل منكم يومئذٍ موضعاً لصدقته ولا لبره؛ لشمول الغنى جميع المؤمنين[1].

٢- التقسيم العادل للثروة

إن المتتبع للروايات عن أئمة أهل البيت يجد أن الدولة المباركة ستأتي بعد أن يصل العالم إلى أقصى درجات التدهور الاقتصادي، إذ يمر بأزمات وفاقات مالية ومنها الجوع، والفقر، وانتشار كل مظاهر الجرائم بسبب النقص الحاصل في الثروات وتجمعها عند فئات معينة، وقلتها عند فئات أخرى بسبب عدم تطبيقهم للمنهج الإسلامي القويم الذي يحثهم على تأدية الخمس، والزكاة، والصدقات للفئات المحتاجة، فقد جاء عن الإمام علي عليه السلام: «ما هلك مال في بر ولا بحر إلا لمنع الزكاة

(١) المفيد، الإرشاد، ص٣٨٤.

منه»[١]، ولكن كل هذه الأمور ستنقلب، وتتغير بعد الظهور المبارك وذلك بالتطبيق الصحيح للمنهج الإسلامي الذي فرضه الله تعالى بدليل قوله تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[٢]، وكذلك قوله تعالى: ﴿**وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ**﴾[٣]، فالإمام أشد الناس حرصاً على تطبيق الأركان التي أوجدها الله باستحصال الزكاة والخمس من الأغنياء، وتوزيعه على الفقراء، وبذلك سيحد من تجمع المال عند هذه الفئات من المجتمع وبهذا تتساوى جميع طبقات المجتمع، وتنتفي الطبقية، والمستويات وهذا هو غرض المنهج الإسلامي، والدولة التي تحققه هي خيرة الدول وقد ذهب الشيخ القزويني إلى أن: «سياسة التوزيع التي ينتهجها الإمام المهدي عليه السلام ستكون تجسيداً حقيقياً للعدل، والقسط، وستكون موضع قبول من الجميع، إذ لا يبقى محتاج، أو محروم ويحصل الجميع على حاجاتهم بسهولة، ويسر فإن سياسة التوزيع قائمة على خطوات وانجازات يكمل بعضها بعضاً»[٤].

٣- القضاء على الفساد الاقتصادي

إن الله سبحانه جل وعلا قد هيأ لنا مكنونات الأرض وسائر الطاقات التي يمكن أن يستغلها والتي توفر له العيش الرغيد، ولكن الأمة التي تواضب في العلن بمظاهر الفساد كالاختلاس، والربا، والرشوة، والاحتكار، والغش هذه كلها أمة قد حصدت صنيعها فنرى أشكال الفساد القائم بأنواعه سواء أكان إدارياً أم كسبياً ويمكن القول: إن الأزمة الاقتصادية الحاصلة في أي أمة من الأمم هي من صنع

---

(١) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ص١٢٤٨.

(٢) سورة البقرة، الآية١١٠.

(٣) سورة النور، الآية٣٣.

(٤) القزويني، محمد كاظم، الإمام المهدي من المهد إلى الظهور، ص٢٨٦.

الإنسان نفسه وهذا ما جاءت به الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[١]، وجاء في نهج البلاغة: «ما كان قوم قط في غض نعمة من عيش فزال عنهم إلا بذنوب اجترحوها؛ لأن الله ليس بظلام للعبيد، ولو أن الناس حين تنزل بهم النقم، وتزول عنهم النعم فزعوا إلى ربهم بصدق من نياتهم ووله من قلوبهم لرد عليهم كل شارد، وأصلح لهم كل فاسد»[٢]، لذا فإنّ من أعظم السياسات التي ستكون من أولى خطواته هي القضاء على مدنسات الاقتصاد العام للدولة الإسلامية، وأن الإمام سيبسط سلطانه وينهي الفساد بشتى أنواعه ويعمل على مبدأ تكافؤ الفرص، فلا محسوبيات، ولا رشوة ولا أحد يستطيع أن يأخذ منصباً في مكان لا يستحقه، ولا أن يأخذ شيئاً لم يكن هو محتاجه.

٤-الاستغلال الكامن للطاقات

جاء في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن قائمنا إذا قام تظهر الأرض كنوزها حتى تراها الناس على وجهه، ويطلب الرجل منكم من يصله بماله، ويأخذ منه زكاته، فلا يوجد أحد يقبل منه ذلك، فاستغنى الناس بما رزقهم الله من فضله»[٣]، ومن خلال سياق الرواية يتبين أن الأرض تخرج من مكنوناتها سواء كان هذا الاخراج من قبل المعادن كالذهب، والفضة وغيرها من عناصر الأرض التي تستخدم لإعمار الأرض فهي كلها من بركات صاحب العصر؛ ولذا لا بد لهذه الكنوز أن يتم استغلالها بالشكل الذي يأمن الانتفاع من هذه الموارد الطبيعية؛ لتتكامل دولة العدل فتصبح من الناحية العمرانية زاهية في أبهى حلتها كما أن لهذا الاستخراج نفع آخر فالله يريدنا أن نهب كل استعداداتنا العقلية، والعلمية، والعملية، والجسدية فنصلح الأرض ونعمرها وبذلك يقضي على البطالة، وتشغيل الأيدي العاملة، وأن هذا بدوره يفتح

(١) سورة إبراهيم، الآية٣٤.

(٢) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص٢٥٧.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٢، ص٣٣٧.

باب الاستكشافات والإبداع العلمي من قبل الإنسان، فيتم القضاء على الخمول والكسل، والركود، ويفتح المجال للعقل للبحث، والاكتشاف، ويقضي على الجهل والظلام فأي دولة هي بانتظارنا، وأي عصر سيولد من رحم الظلم والانتكاس!

المبحث الخامس: السياسة الثقافية للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

أولاً: مفهوم السياسة الثقافية.

ثانياً: السياسة الثقافية من المنظور الإسلامي.

ثالثاً: معالم دولة الإمام المهدي، وسياسته الثقافية.

أولاً: مفهوم السياسة الثقافية.

تعرف السياسة الثقافية أنها: (التنظيم العام الذي تضعه الدولة لقيام أوضاع التعليم فيها بأجهزته الفنية والإدارية على وفق ما تراه من أسس، وقواعد، ولوائح منظمة)[١].

إن مفهوم السياسة الثقافية تتبع من أجل تحقيق الغايات الكبرى من العملية العلمية، فهي تعبر عن الكيفية التي يفكر فيها المجتمع في ذاته، وكيف يتطلع وهو يستشرف آفاقه المستقبلية، فإن السياسات الثقافية هي نتاج الدولة والأجهزة المركزية فهي نتاج للهيئات، والتنظيمات التابعة، والمتصلة بها، فإن الدولة هي العامل المنظم والضامن للحد الأدنى من الانسجام، والتماسك، والمنتج للمخططات، والبرامج بحيث تكتسب الجهات الأخرى الفاعلة في التعليم وأهميتها وعلى وفق الدور المنوط بها وفقاً للوظيفة التي تؤديها في هذا الميدان إذ إنّ السياسات الثقافية هي المسؤولة عن وظائف الأفراد في المجتمع فقد كشفت الدراسات عن المكانة الممنوحة للعلم في التنظيم الاجتماعي للمجتمعات كما نلاحظ أن الثقافة هي عامل حاسم وأداة رئيسية في التنمية السياسية كما ينظر إلى التعلم في المجتمعات النامية بوصفها سلاحاً سياسياً إلى جانب أثرها الافتراضي في تغيير البيئة الاجتماعية[٢].

---

(١) حكيم، عبد الحميد بن عبد المجيد، نظام التعليم وسياسته، ص١٦٨.

(٢) السوالي، محمد، السياسات التربوية، ص٢٧ -٢٩.

ثانياً: السياسة الثقافية من المنظور الإسلامي.

إن المجتمع الإسلامي منذ بزوغ نوره عمل على استخدام جميع طاقاته، وأجهزته بشكل بنّاء في إيجاد التربية الصحيحة الهادفة، وتنمية الوعي الإنساني، ورفع المستوى الفكري والاجتماعي؛ وذلك ضمن عملية ثقافيه وتربوية واحدة وعلى أساسها يتشكل الأفراد على نمط واحد إنقياداً للحق، وتحقيقاً للعدل فقد تناولت السياسة الثقافية جميع الطبقات الاجتماعية لوضع المناهج الخلاقة المبتنية على أحدث الوسائل التي تنتهي إليها الحضارة الإسلامية، وتقدم إليها الإنسان، وتطوير حياته ونضوج عقله لقد قدم الإسلام لجميع شعوب الأرض الثروات الفكرية الحافلة بجميع مقومات النهوض والارتقاء، والإصلاح الشامل لجميع مناهج الحياه، فقدّر الإسلام العلم والعلماء وسما بالعلم إلى درجة العبادة وعنى العناية التامة بجميع أنواع الثقافة، ولاسيما الثقافة والتربية الروحية، والدينية، والخلقية، ونادى بالحرية، والمساواة وفرض العلم على كل مسلم ومسلمة وتزويدها بكل وسيلة للتعلم؛ لذا فإن أي نظام سياسي لابد له من نظام ثقافي علمي يدعمه، وقد عنيت الثورات السياسة والاجتماعية باستخدام العلم والتعلم والاعتماد عليهما في سبيل استمرار حكمهما، وإيضاح فلسفتها حيث إنه عند حدوث أي ثورة من الثورات السياسة، أو العسكرية، أو الاجتماعية فإذا نجحت هذه الثورة في تحقيق مآربها السياسية كان عليها أن تتجه إلى التعليم لتتخذ منها أداة لتحقيق أهدافها الاجتماعية؛ لأنه بغير العلم تبقى الثورات في نطاق محدود منعزلة عن بقية المجتمع، وعن بقية أفراده[1].

(١) القرشي، باقر شريف، النظام التربوي في الإسلام، ص١٣ -١٤ -٤٦.

ثالثاً: معالم دولة الإمام المهدي وسياسته الثقافية.

يكاد لا يوجد نظام، أو دولة، أو حكم أمر بالعلم والتعلّم كما أمر الدين الإسلامي فقد أعزَّ العلم ورفع شأن العالم والمتعلم كل ذلك واضح فيما جاء به القرآن من الآيات الدالة عن فضل العلم وتفضيل العلماء، وقد دلت الأحاديث النبوية على ذلك ومنها: «اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد» وبما أن العلم، والعقل هي ميزة البشر كخليفة في الأرض، فلا بد من استخدامها، وتطويرها وهذا ما ستدأب عليه حكومة الإمام عليه السلام بفرض نشر العلم، والتعلّم على كل فئات وطبقات المجتمع كبيرها وصغيرها ومن أهم هذه المعالم هي:

١- كمال العقول.

إن المتتبع لرواية الإمام الصادق عليه السلام التي تنص على أن: «العلم سبعة وعشرون حرفاً فجميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين حرفاً، فبثّها في الناس وضم إليها الحرفين حتى يبثها سبعة وعشرين حرفاً»[١]، ومن الواضح أن الرواية تحمل في طياتها معاني عديدة منها أن العلم الذي بين يدينا اليوم هو ليس كل العلوم بل جزء منها وإن تكامل عقول الأفراد مرهون بقيام صاحب الزمان، فالعلوم التي سيبثها ستكون أكثر ارتقاءً وشمولية فإن الحضارة والدولة التي نحن مواليها تعد سبقاً تجتمع فيه جميع ميزات الكمال العلمي والثقافي، فتكون شرائح المجتمع بغاية الوعي، والادراك فكما يقول السيد مرتضى السيستاني: (سيدرك الناس المعنى الحقيقي للعلم، وسيعرف من هم العلماء؛ لأن العلم والمعرفة ينبعان في هذا الزمان من النبع الزّلال، والمعين الصافي الذي لا ينضب)[٢].

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣٣٦.

(٢) السيستاني، مرتضى المجتهدي، دولة الإمام المهدي عليه السلام، ص١٧٨.

٢- التطور العلمي

إن العالم يتطلع إلى التقدم والتطور كما أن البشرية باتت بانتظار العصر الذي تتحول فيه التحول العظيم ويتمثل هذا التحول في دولة القائم حيث العلم والمعرفة والنور يشق طريقه لتقود حضارة الدولة الإسلامية بقائدها ووزرائها وحتى حاكمها حيث يقول مرتضى السيستاني: (إن التكامل النهائي للقوى العقلية في ذلك الزمان تتبلور وتتقدم الحضارة حيث من الصعب إدراكها واستيعابها وإن التطور والتقدم العلمي الحاصل في مجال الحاسوب وإمكانية الارتباط بين أجزاء العالم المتقطع بهذه الحقيقة يمكن أن تقرب إلى الأذهان وتحكم الاعتقادات وتربطها بالعالم الديني)[1] وبلحاظ ما ذكره الشيخ فإننا ننظر إلى الأمر من ناحية أن التطور والتقدم أمر واجب لزوماً باعتبار أن التكنولوجيا هي السائدة في العصر الحالي وأن حاكم الزمان هو الداعم والمسير لهذه التطورات لضمان مواكبة مجريات نظام الدولة بكافة مفاصلها وهذا يتطلب دعم وحافز للاكتشافات والتقدم في الجانب الثقافي.

٣-القضاء على الجمود الفكري

إن الإنسان بطبيعته الفطرية ميال نحو الغرائز المادية ولإشباعها واذا ما تم إشباع هذه الحاجات ببركة وفضل القائم من خلال سياسته الاقتصادية وتوفير العيش الكريم فان الفرد سيتجه نحو العلم وبذله وتحصيله فجاء في شرح نهج البلاغة في إحدى خطب الإمام علي عليه السلام فقال: «ويرمي بالتفسير في مسامعهم أي في مسامع أصحاب الإمام المهدي عليه السلام، وتخلق المعارف في قلوبهم ويلهمون فهم الغوامض والأسرار الباطنية ويغبقون كأس الحكم بعد الصبوح أي لا تزال المعارف الربانية والأسرار الإلهية تفيض عليهم صباحاً ومساءً وهؤلاء هم العارفون الذين جمعوا بين

(١) السيستاني، مرتضى المجتهدي، دولة الإمام المهدي عليه السلام، ص١٧٦.

الزهد، والحكمة، والشجاعة وحقيق بمثلهم أن يكونوا أنصار لولي الله»[١]، وأنّ دائرة العمل، والقضاء على الجمود هو من سمات عصر الظهور، إذ يباشر الإمام بإنجاز المشاريع العمرانية، والإصلاحية الضخمة كبناء المساجد، والمدارس، وإصلاح الطرق، وغيرها من المظاهر التي باتت اليوم هي من الأمور التي يعاني منها الفرد المسلم[٢].

٤- العلم والمعرفة

من المعروف أن البلدان النامية، والمتقدمة، والمتطورة هي التي تنخفض فيها نسبة الجهل، والأمية وتكون فيها نسبة التعلّم في أعلى مستوياتها، وهذا حلم كل إنسان عالم متعلّم هو أن تكون بلاده، ودولته في مصاف الدول المتقدمة، ولكن هذا الحلم ليس ببعيد، ولا صعب المنال، فدولته الحقة ستوفر العلم ببركاته وتكون دولته سلطان الدول في العلم الذي نادى به القرآن وحفظه الإسلام، وساوى به بين الرجل والمرأة في حديث الرسول صلى الله عليه وآله: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»، فقد جاء في رواية عن الإمام الباقر عليه السلام: «يؤتون الحكمة في زمانه حتى أن المرأة لتقضي في بيتها في كتاب الله تعالى وسنة رسوله»[٣]، ويقول المدرّسي: (أما في عصر الإمام المهدي عليه السلام، فلا توجد مشكلة اسمها الأمية، فالناس كلهم علماء، بل ويعرفون الكثير من الأمور التي يحلم بمعرفتها إنسان هذا العصر، وهذا كله من بركات وجود الإمام عليه السلام)[٤].

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٩، ص١٢٩.
(٢) المصباح، كاظم، دولة الإمام المهدي وعصر الظهور، ص٢٧١.
(٣) النعماني، محمد بن إبراهيم، الغيبة، ص٢٤٣.
(٤) المدرّسي، هادي، ذلكم الإمام المهدي، ص٤٩.

المبحث السادس: السياسة الاجتماعية للإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف .

أولاً: مفهوم السياسة الاجتماعية.

ثانياً: السياسة الاجتماعية من المنظور الإسلامي.

ثالثاً: معالم سياسته الاجتماعية في دولته العالمية.

أولاً: مفهوم السياسة الاجتماعية.

تعرف السياسة الاجتماعية بأنها: العلم الذي يعنى بتأثير النظم السياسية على النظم الاجتماعية الأخرى في المجتمع من اقتصادية، وعائلية، وتربوية، ويُعنى كذلك بدراسة تأثير النظام السياسي على اتجاه التغير الاجتماعي[١].

إن مفهوم السياسة الاجتماعية هو العلم الذي يدرس الظواهر، والنظم السياسية في ضوء البناء الاجتماعي، والثقافة السائدة في المجتمع وبقدر ما يحدد النظام السياسي مسار المجتمع، ويضع سياسته، وتنظيمه فإن المجتمع يحاول أن يحدد بدوره أسس الحكم مع قيمه، وأفكارهم إذاً فإن الاجتماع يعد فرعاً من فروع علم السياسة والذي يتناول دراسة العلاقات المشتركة بين النسق السياسي التحتي للمجتمع، ويعد من أهم اهتمامات علم السياسة والتي نجدها تدور حول الأسباب الاجتماعية للاختلافات بين الايدلوجيا السياسية، وأثرها في التغيير الاجتماعي على نظام السياسة وتهتم السياسة الاجتماعية بدراسة العلاقات المتبادلة بين النسق السياسي، وبقية الأنساق الاجتماعية الأخرى، إذ ترتبط بالأنساق الاقتصادية، والدينية، والتربوية، والأخلاقية والقانونية والعائلية وغيرها من الأنساق الاجتماعية، ومكوناتها المختلفة؛ لذا فإن السياسة الاجتماعية تشمل جهود الحكومة، والدولة لرعاية المجتمع، ويخرج هذا النوع من السياسات نتيجة للحاجات الاجتماعية لأبناء المجتمع[٢].

---

(١) دخيل، محمد حسن، المدخل إلى علم السياسة، ص٣٧.

(٢) الطيب، مولود زايد، علم الاجتماع السياسي، ص١٠-١٢-٢٩.

ثانياً: السياسة الاجتماعية من المنظور الإسلامي.

إن هدف الإسلام تحرير الفرد، وتكريمه، وترفيه المجتمع، وإسعاده، وتوجيه الشعوب والحكومات إلى الحق، والخير، والصلاح، ودعوة البشرية كلها إلى عبادة الله فقد آثر الإسلام التكافل الوثيق بين الفرد، والجماعة، فلا يعيش فيه الفرد على حساب الجماعة، كل ذلك لإيجاد مجتمع متوازن توزع فيه التبعات على الجميع بالعدل، وهذا المجتمع الذي يحرص على إطلاق جميع الطاقات الفردية، والعامة كالتنظيم الاجتماعي المعتدل الذي وضعه الإسلام وهو ما يورث الشعور عند الفرد بالطمأنينة والراحة فقد حدد بوضوح علاقة الفرد مع نفسه وعلاقة الفرد مع غيره، وعلاقته مع دولته بما يضمن المعيشة الضرورية، ويكفل العدالة الاجتماعية؛ لأن المجتمع المتوازن إنما يتكون من الأفراد المتوازيين بعيداً عن القلق النفسي، والاضطراب الروحي[1].

ثالثاً: معالم سياسته الاجتماعية للدولة العالمية

١-إزالة الأخلاق الفاسدة بين الناس.

منذ بدأ الخليقة والحسد، والحقد موجودان منذ قصة هابيل وقابيل، بل أكثر من ذلك إن الحسد وجد عند خلق آدم عليه السلام فتمكّن الحسد والحقد من إبليس ومنعه من أن يسجد لقوله تعالى قال: ﴿**قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ**﴾[2]، واستمرت الأحقاد والضغائن بين بني البشر مما أوصل الحال إلى تهالك الأمم، وانتكاسها على الرغم من حرص الحضارات الأخرى إلى أن تنهي وتقضي على الرذائل في مجتمعاتها، ولكن هذه النظم والقواعد سرعان ما تتهاوى وتفشل، وبهذا وجدنا تراكمات عديدة، وحجماً كبيراً من الأخلاقيات الرذيلة من ذلك الحين وحتى اليوم ولكن سرعان ما سنجد تغييراً كاملاً في عهد الامام وفي

(١) حسن، حسين الحاج، النظم الإسلامية، ص٣٠٩-٣١٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٢.

سياسة الإمام عليه السلام، فنجد أن الإمام سيعالج الأخلاق والقيم التربوية ويعيد صياغتها ويقضي على الفساد الروحي بما في ذلك الحسد، والحقد، والغلّ فينشأ بدلاً عن ذلك المحبة والتآزر وحب الخير والغير والتعاون والتكافل والرحمة والإنسانية، وقد أكد ذلك عبد الحسين دستغيب بقوله: (مع ظهور الإمام ينمو العقل، ويشتد الإيمان إلى درجة أنه لا يبقى في قلب أحد ذرة من الحقد، والحسد، ويصبح الجميع متحابين متآخين كأعضاء الجسد الواحد في تآلفهم وتراحمهم)[١].

٢-الأمن والسلام الداخلي.

جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام، قائلاً: «لو قد قام قائمنا لذهبت الشحناء من قلوب العباد، واصطلحت السباع، والبهائم حتى تمشي المرأة بين العراق، والشام لا تضع قدميها إلا على النبات، وعلى رأسها زنبيلها لا يهيجها سبع ولا تخافه»[٢].

إن أقصى ما يتمناه المرء في هذا الزمان هو الأمان والسلام، فأي بقعة من بقاع الأرض هي جنة لو توفر بها السلام والطمأنينة، وهذا حلم أمسى صعباً حصوله فنجد الحروب والآفات، والأوبئة جعلت الإنسان خائفاً يبحث باستمرار عن مكان يواري نفسه، ولو كان تحت الأرض، وهذا هو سبب آخر يجعلنا نحلم، ونتمنى وصول ذلك اليوم الذي سنرى فيه تحقق الاستقرار، وهبوب رياح الأمن، فلا استعمار ولا أسلحة نووية ولا ظلم ولا قتل، فجاء أمير المؤمنين عليه السلام، وهو يطمئن قلوبنا الخائفة بأن عصر إمامنا هو عصر التعايش السلمي حتى أنه ذكر هذا التعايش بين الحيوانات الضارية ولأن تخرج المرأة من بلد إلى آخر بلا خوف، وفزع من إنسان طامع، أو حيوان جائع وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم، وأكده في قوله تعالى: ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ﴾[٣]، فدولة المنتظر المحققة لكل أماني المنتظرين

(١) دستغيب، عبد الحسين، المهدي الموعود، ص٦٦.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣١٦.

(٣) سورة سبأ، الآية ١٨.

ستكون دولة قد أخذت بعين الاعتبار ما مرت به الأمم، وما عاشته من محن فكل الإخفاقات التي مرت بها الشعوب هي مقدمات وتهيئة لأن تكوّن نتائج ناجحة.

الخاتمة

بعد هذا المشوار الطويل، والمفصل لأغلب السياسات في دولته عليه السلام خرجنا ببعض النتائج المتسمة بسمات عالمية كان من أبرزها:

١- الحروب والآفات التي تهتك البشرية قبيل خروجه هي المنشأ الذي ولّد عند الناس إيماناً راسخاً للتمسك بالمنقذ العالمي، وتخليصهم من الحكام الجائرين.

٢- إن الإمام سينحو منحىً جديداً لم تعرفه سياسات العالم، ولم يبتكره المفكرون، سياسات أساسها العدل، والرحمة، والتطور، والنهوض.

٣- تشكيل قيادات ووزراء بما فيها من أنبياء، وأصفياء في دولته لتكون أول دولة ملمّة بهذه الكوكبة المنيرة من الصالحين الذين لا تجرفهم ملذات ولا أطماع.

٤- يسير بسيرة جده محمد صلى الله عليه وآله بالحق، ويحكم بحكم داوود النبي الذي لا يسأل البينة وقيادة سليمان الفذّة الحازمة مع عماله وقادته.

٥- إثر الخبرات المترامية، وتراكمها هي محصلة نهائية في إدارة هذه السياسات، وحسن توظيفها.

٦- سياسته الصارمة مع الأعداء، فهو رؤوف بالناس شديد مع الظالمين.

٧- يصل بدولته للاكتفاء الذاتي، وانتفاء الحاجة، وزوال الرغبة بالقيمة المادية ببركة القناعة، والوفرة التي يحققها الإمام في المال.

٨- يطور معارف العباد ويؤهلهم إلى استحصال العلم لاطمئنان العباد، وزوال الموانع التي تقف بوجه الإنسان.

٩- تحقيق الأمن والاستقرار ببركة وجوده الشريف، فيقع الصلح الكلي بين جميع الأضداد من الإنسان، والحيوان، والوحوش.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١ـ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية.

٢ـ ابن المنظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، مصر، ط١.

٣ـ ابن طاووس، رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر، الملاحم، تح: مؤسسة صاحب الأمر، ط١، ١٤١٦هـ.

٤ـ جان مينو، مدخل إلى علم السياسة، ترجمة: جورج يونس، بيروت، ١٩٨٣.

٥ـ جعفر سبحاني، مفاهيم القرآن، ط٦، مؤسسة الإمام الصادق، ١٤٣٠هـ، قم.

٦ـ الحائري، علي اليزدي، إلزام الناصب، دار النعمان، بيروت، ط الثالثة، ١٩٧١.

٧ـ حسين الحاج حسن، النظم الإسلامية، بيروت، المؤسسة الجامعية، ١٩٨٧.

٨ـ حكيم، عبد الحميد بن عبد المجيد، نظام التعليم وسياسته، ط١، الدار الهندسية، ٢٠١٢، القاهرة.

٩ـ الحويزي، عبد علي بن جمعة، نور الثقلين، تح: هاشم رسول المحلاتي، ١٤١٢، ط٤.

١٠ـ دانكان، جان ماري، علم السياسة، ترجمة، محمد عرب صاصيلا، ط المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت.

١١ـ دخيل، محمد حسن، المدخل إلى علم السياسة، بيروت، ٢٠١٨.

١٢ـ دستغيب، عبد الحسين، المهدي الموعود، دار التعارف، بيروت.

١٣ـ الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس، المطبعة الخيرية مصر، ط١، ١٣٠٦.

١٤ـ زكريا، أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ١٤٠٤هـ، مطبعة الإعلام الإسلامي.

١٥ـ سبحاني، جعفر، عقائدنا الفلسفية والقرآنية، ط١، دار الروضة، ١٩٩٣، بيروت.

١٦ـ السوالي، محمد، السياسات التربوية، ط١، ٢٠١٢، بيروت، الدار العربية للعلوم.

١٧ـ سوزان بينكني، أدب السياسة، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩.

١٨ـ السيستاني، مرتضى المجتهدي، دولة الإمام المهدي عليه السلام، ط١، ١٤٣٢هـ، نشر الماس.

١٩ـ الشافعي، ميثم حسين، المسؤولية الوزارية، مجلة أهل البيت، العدد٩.

٢٠ـ الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق: محمد عبده، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٢١ـ الشيرازي، مكارم، الحكومة العالمية للإمام المهدي، ط١، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب، قم، ١٤٢٦هـ.

٢٢ـ الصدر، محمد باقر، اقتصادنا، ط الثانية، ١٤٢٥، قم-إيران.

٢٣ـ الصدر، محمد باقر، تاريخ ما بعد الظهور، دار التعارف، بيروت، ١٩٩٢.

٢٤ـ الطبسي، محمد جواد، الإمام المهدي المصلح العالمي، دار الهدى، ط١، قم، ١٤٢٦.

٢٥ـ الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، تحقيق: أحمد الحسيني، ١٤٠٨، ط٢.

٢٦ـ الطريقي، عبد الله عبد المحسن، الاقتصاد الإسلامي، ط الأولى، ١٤٠٩، ط١، الرياض، مؤسسة الجريسي.

٢٧ـ الطيب، مولود زايد، علم الاجتماع السياسي، ط١، ٢٠٠٧، بنغاري، دار الكتب الوطنية.

٢٨ـ ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشريعة الإسلامية والتاريخ الإسلامي، دار النفائس، بيروت، ط٤، ١٩٨٢.

٢٩ـ عباس القمي، مفاتيح الجنان، ط٨، ١٤٢٧هـ، قم.

٣٠ـ العكبري، أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، دار المفيد، ١٤١٤، بيروت، ط٢.

٣١ـ علي الكوراني، معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام، تحقيق: حمد بن حمدي الجابري الحربي، مؤسسة المعارف الإسلامية، ط١، ١٤١١هـ، قم.

٣٢ـ الفضل بن شاذان، مختصر إثبات الرجعة، تحقيق: شعبة التحقيق في قسم الشؤون الفكرية، ط١، ١٤١٧هـ، كربلاء المقدسة.

٣٣ـ فياض، مرتضى، الإمام المهدي سيرته ـ علاماته.

٣٤ـ القرشي، باقر شريف، النظام التربوي في الإسلام، دار الكتاب الإسلامي.

٣٥ـ القرضاوي، يوسف، الدين والسياسة، دبلن، ٢٠٠٧، المجلس الأوربي للإفتاء.

٣٦ـ القريشي، حسين عبيد، أسئلة مهدوية، ١٤٣٤، قم، الباقيات للطباعة.

٣٧ـ القزويني، محمد كاظم، الإمام المهدي من المهد إلى الظهور، ط١، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٥.

٣٨ـ القمي، عباس، سفينة البحار، تحقيق: مجمع البحوث العلمية، ١٤٢٦، مشهد، ط٣.

٣٩ـ كاظم المصباح، دولة الإمام المهدي وعصر الظهور، ٢٠٠٧، ط١، دار الكتب العربي، بيروت.

٤٠ـ الكفوي، أبو البقاء بن موسى الحسيني، الكليات، تحقيق، عدنان درويش– محمد المصري، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨.

٤١ـ الكلبايكاني، لطف الله الصافي، منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر، دار المرتضى، بيروت، ط٢، ١٤٢٩.

٤٢ـ الكوراني، علي، عصر الظهور، ١٤٢٤هـ، قم.

٤٣ـ لجنة التأليف في المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت، أعلام الهداية، قم.

٤٤ـ الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، الأحكام السلطانية، دار ابن قتيبة، الكويت، ٢٠١٤.

٤٥ـ المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، تح: محمد باقر البهبودي، ط٣، ١٩٨٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٦ـ مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية القاهرة، مصر، ١٩٨٣.

٤٧ـ محفوظ، محمد جمال الدين، العسكرية في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٤.

٤٨ـ محمد الريشهري، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، تح: مركز بحوث دار الحديث، ط٢، ١٤٢٥، دار الحديث، بيروت.

٤٩ـ محمد الريشهري، ميزان الحكمة، تحقيق: دار الحديث، ط١، ١٤١٦، دار الحديث.

٥٠ـ المدرّسي، هادي، ذلكم الإمام المهدي، ط٢، ١٤٤٠، دار البصائر للثقافة، النجف الأشرف.

٥١ـ مراد، علي عباس، دولة الشريعة قراءة جدلية الدين والسياسة عند بن سينا، دار الطليعة، ط١، ١٩٩٩.

٥٢ـ ملحم قربان، المنهجية والسياسة، بيروت، ط١، ١٩٨٦.

٥٣ـ موغنتاو، هانس، السياسة بين الأمم، نيويورك، ١٩٤٨.

٥٤ـ النعماني، محمد بن إبراهيم، الغيبة، تح، فارس حسون كريم، ط١، ١٤٢٢هـ، مطبعة مهر، إيران.

٥٥ـ النفار، محمود نمر، تقييد السلطة التنفيذية في التشريع الإسلامي، ١٤٣٤هـ، الجامعة الإسلامية، غزة.

٥٦ـ يعقوب، أحمد حسين يعقوب، حقيقة الاعتقاد بالإمام المهدي، دار الملاك، ط الأولى، الأردن، ٢٠٠٠.

البحث السابع

الإمام الحسن العسكري عليه السلام ورعايته للشيعة وأثره في التمهيد لغيبة خلفه عليه السلام والتكليف في زمن الغيبة من منظوره

أ.م.د. علي زهير هاشم الصرّاف

جامعة الكوفة

مركز دراسات الكوفة

المقدمة:

الحديث عن سيرة أهل البيت عليهم السلام ذو أهميةٍ بالغة، إذ إنهم الإمتداد الحقيقي للرسالة المحمدية الخالدة، والأمناء عليها، وحاملوا علومها، وأول من ذاد عن مفاهيمها السامية، وعقائدها الحقّة، فدراسة سيرتهم بالشكل الصحيح على وفق المنهج العلمي الدقيق يفتح لنا آفاقاً مهمة لبناء الإنسان والأسس الفكرية والسلوكيات الصحيحة التي يجب أن يبنى عليها فكر وسلوك الفرد، والمجتمع، والأمة الإسلامية.

وليس أثر الإمام الحسن العسكري عليه السلام بأقل أهمية عن آثار آبائه الصادقين عليهم السلام في تاريخ الإسلام الفكري والحضاري، ومع الظروف التي عاشها، وهي حقبة سياسية صعبة، ومعقدة جداً كان الخناق، والتضييق عليه، وحبسه في داره في سامراء، ووضع العيون والجواسيس عليه، وترقب ولادة ولده المهدي عليه السلام من أبرز سماتها، ولكنّه مع تلك الظروف العصيبة لم يكلّ عن القيام بمسؤولياته الإلهية، ومهامه الربانية.

وكانت الرعاية الخاصة التي أحاط بها شيعته بوصفهم من سيحملون رايتهم الفكرية في لاحق الأيام في ظل انقطاع عصر الحضور، وغيبة خلفه الإمام المهدي كان من أعظم ما قام به عليه السلام بطريقة لا تثير قلق السلطات الحاكمة ولا تدفع بهم إلى التركيز على الشيعة ومتابعتهم، فقد اتخذ الإمام عليه السلام سياسة الكتمان، والحيطة إلا بمقدار ما تسمح به الظروف، وسار على نهج أبيه الإمام أبي الحسن الهادي عليه السلام في اتخاذ الوكلاء الثقات في أطراف البلاد الشاسعة وكانت مهام الوكلاء تتلخص في الارتباط الديني بين الإمام والشيعة، من تسليم المطالب الدينية، والعلمية، والمالية الشرعية.

ومن أبرز ما اختصت به سيرته العطرة هو ما قام به من أثرٍ هام بالغ الحساسية في

التمهيد والإعداد الفكري لإمامة ولده، وخلفه الإمام المهدي عليه السلام نظراً لخصوصيتها المتمثلة في الغيبة في ظل الظرف السياسي بالغ التعقيد الذي رافق حياته المباركة، إذ كانت السلطات العباسية على علم بقرب موعد ولادة الإمام المهدي عليه السلام، وأنه الإمام الثاني عشر المعد لقطع دابر الظلمة، فكان هذا الإرهاص حري بأن يقلقها، فيجعلها على أهبة الإستعداد لاستقباله، ووئده في المهد، وأن تضع قواها الفاعلة في أقصى درجات الإستنفار لمواجهة الخطر القادم.

وما البحث الحاضر إلا محاولة متواضعة لفهم خطوات الإمام الحسن العسكري عليه السلام وأساليبه الفذّة في رعايته لشيعته، وأبرز سمات هذه الرعاية الأبوية يتلخص في الشطر الثاني من مهام هذا البحث، وهو بيان كيفية تمهيده عليه السلام وأدواته لإعداد شيعته وتسليحهم إزاء ظاهرة فكرية هامة سترافقهم بعد شهادته، وهي غيبة خلفه الإمام المهدي عليه السلام، ومن الله التوفيق.

المبحث الأول: رعايتهُ الشيعة:

مثلت الظروف القاهرة للغاية التي عاصرها الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام من حصار سياسي في محلة العسكر في سامراء، وحرمانه من أبسط الحريات الشخصية بسبب تعسف السلطة العباسية الحاكمة منطلقاته المغايرة تماماً لسلفه الصالح من الأئمة النجباء الطاهرين عليهم السلام أجمعين في رعايته لشيعته، فكانت تلك المنطلقات والأساليب المبتكرة كفيلة بتلبية متطلبات المرحلة واستغلال كل الفرص السانحة في ممارسة أثره الديني، والتربوي بوصفه الحافظ لمسيرة الخلافة الربانية في الأرض، والأمين المنصب من قبل الله، وبالنص عن جده المصطفى صلى الله عليه وآله وآبائه الطاهرين عليهم السلام، فكانت تلك الجهود تتلخص في الآتي:

١ ـ احتجاب الإمام عليه السلام عن شيعته والتأكيد على الكتمان والحيطة:

بسبب سياسات السلطة كما قدمنا اضطر الإمام الحسن العسكري عليه السلام إلى الاحتجاب عن شيعته، وأوليائه ضماناً لهم عن الملاحقة الأمنية، وكان الإمام عليه السلام في ظل تلك الظروف قد فضّل الإلتقاء غير المباشر بشيعته على المباشر.

وكان قد فرض على الإمام العسكري عليه السلام التواجد في البلاط العباسي كل اثنين وخميس من كل أسبوع[١]، وقد وصفت الروايات حضور الناس يوم ركوبه إلى دار الخلافة، وكيف كان الشارع يغص بالدواب، والبغال، والحمير، وكيف كانت تعجُّ الناس من الزحام لرؤية الإمام والتبرك بشخصه الكريم، وكان الإمام عليه السلام يعلم أنّ هذه الدعوة ليست كرماً من السلطة بل ليعرفوا من يجله ويحترمه وهو قطعاً من شيعته حتى يوقعون بهم الأذى، فكان الإمام من مبدأ الحرص على أتباعه، وأوليائه من التعسف والاضطهاد، والضيم الذي كابده، فيوصيهم بعدم التقرب من الموكب ولا الإنكباب عليه ولا القرب منه، فقد روي عن علي بن جعفر، قال: اجتمعنا بالعسكر وترصدنا لأبي محمد يوم ركوبه فخرج توقيعه: «ألا يسلمن علي أحد، ولا يشير إليَّ بيده ولا يومئ، فإنكم لا تأمنون على أنفسكم».[٢]

وفي رواية أخرى عن محمد بن عبد العزيز البلخي، قال: أصبحتُ يوماً في شارع الغنم فإذا بأبي محمد قد أقبل من منزله يريد دار العامة، فقلت في نفسي: ترى إن صِحْتُ أَيُّها الناس هذا حجة الله عليكم فاعرفوه يقتلونني، فلما دنا مني أومأ بإصبعه السبابة على فيه أن اسكت، ورأيته تلك الليلة، يقول: «إنما هو الكتمان، أو القتل فاتق الله على نفسك»[٣]، ففي هذه الأخبار دلالة واضحة على حرص الإمام على

(١) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٥٣٣.

(٢) الراوندي، الخرائج والجرائح، ج١، ص٤٤٠.

(٣) الإربلي، كشف الغمة، ج٣، ص٢١٩.

شيعته النابع من حرصه الأبوي في رعاية المؤمنين، وكان اهتمامه الأول الحفاظ على أرواحهم، وسلامتهم من كيد السلطة.

٢ ـ تزويد الشيعة بالدعاء:

معلوم إنّ الأدعية كانت إحدى سبل أهل البيت عليهم السلام وبرامجهم الفكرية والثقافية ومنذ عصر الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لبث أفكارهم وتربية شيعتهم، وكانت الأدعية المأثورة عنهم تعد دائماً برنامج التحدي ضد كل ألوان الفساد الثقافي، والاجتماعي، والسياسي، وكانت تلك الأدعية تبث في نفوس الشيعة الثورة ضد الطغات بكل مصاديقها، ولا سيما الفكرية منها، وتقوية روح الاستقامة، والصبر في مواجهة الظالمين، وعدم التسليم لوسائل التطويع من الترغيب، والترهيب والتضليل، وكانت تلك الكلمات عند أهل البيت عليهم السلام التي توارثوها عن جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله دائرة معارف إلهية ومنهاج تربية، ورؤى واسعة في تثقيف المجتمع الإسلامي وكان الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام يرفد شيعته بالأدعية شأنه في ذلك شأن آبائه الكرام عليهم السلام، وفي تلك الظروف الحرجة فما أحوجهم إليها.

وقد وردت أدعية كثيرة عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام نذكر منها ما يختص بشيعته عندما ضاقت بهم الدنيا، فكتبوا لسيّدهم يطلبون فيه الدعاء على الظالمين فكان عليه السلام يزودهم بتلك الأدعية، ونذكر من ذلك:

دعاؤه الطويل على موسى بن بغا أحد أركان الدولة العباسية الظالمة الذي شكاه أهل قم لجوره، وظلمه، وفي ما يأتي بعضه: «... اللهم وقد شملنا زيغ الفتن واستولت علينا غشوة الحيرة وقارعنا الذل والصغار وحكم علينا غير المأمونين في دينك، وابتز أمورنا معادن الابن ممن عطّل حكمك، وسعى في إتلاف عبادك، وإفساد بلادك، اللهم وقد عاد فيئنا دولة بعد القسمة، وإمارتنا غلبة بعد المشورة، وعدنا ميراثاً بعد الإختيار للأمة، فاشتريت الملاهي والمعازف بسهم اليتيم، والأرملة

وحكم في أبشار المؤمنين أهل الذمة ... اللهم فأَتِحْ له من الحق يداً حاصرةً تصرع قائمَهُ، وتهشُمُ سوقَهُ، وتجبُّ سنامَهُ، وتجدعُ مرَاغِمَهُ ليستخفي الباطل بقبح صورته، ويظهر الحق بحسن حيلته ...».[1]

وفي رواية أخرى: وردت على الإمام الحسن العسكري عليه السلام رقعة من أحد شيعته يشكو فيها الحبس، وثقل الحديد، وسوء الحال، وتحامل السلطات، فأجابه الإمام عليه السلام: «يا أبا عبد الله، إن الله يمتحن عباده ليختبر صبرهم، فيثيبهم على ذلك ثواب الصالحين، فعليك بالصبر واكتب إلى الله رقعة، وأنفذها إلى مشهد الحسين بن علي صلوات الله عليه، وارفعها عنده إلى الله عزّوجل، وادفعها حيث لا يراك أحد، واكتب في الرقعة: ...اللهم إني قصدت بابك ونزلت بفنائك، واعتصمت بحبلك واستغثت بك واستجرت بك يا غياث المستغيثين أغثني يا جار المستجيرين أجرني، يا إله العالمين خذ بيدي إنه قد علا الجبابرة في أرضك، وظهروا بلادك، واتخذوا أهل دينك خولاً واستأثروا بفيء المسلمين، ومنعوا ذوي الحقوق حقوقهم التي جعلتها لهم، وصرفوها في الملاهي والمعازف واستصغروا الآءك، وكذبوا أوليائك، وتلسطوا بجبروتهم ليعزوا من أذللت، ويذلوا من أعززت، واحتجبوا عمن يسألهم حاجة، أو من ينتجع منهم فائدة ...»[2].

وفي طيات سطور هذه الأدعية نلاحظ وصفاً لعصر الإمام عليه السلام والحالة السياسية الحاكمة آنذاك من الفوضى، والفساد، والظلم، والتعدي، والإستئثار بأموال المسلمين، وتبديدها في اللهو، والمصالح الشخصية للحكام الفاسدين.

---

(١) ابن طاووس، مهج الدعوات ومنهج العبادات، ص١٤٢ـ١٥٠.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج٩٩، ص٢٣٨ـ٢٤٠.

٣ـ حضوره عليه السلام عند شيعته في مناطقهم البعيدة بطريقة الإعجاز وقضاء حوائجهم:

روى القطب الراوندي عن جعفر بن الشريف الجرجاني، قال: حَجَجْتُ سنة، فدخلت على أبي محمد عليه السلام بسرّ من رأى، وقد كان أصحابنا حملوا معي شيئاً من المال فأردت أن أسأله إلى من أدفعه؟، فقال قبل أن أقول له ذلك: «إدفع ما معك إلى المبارك خادمي.

قال: فَفَعلت وخرجت، وقلت: إن شيعتك بجرجان يقرأون عليك السلام.

قال: أولست منصرفاً بعد فراغك من الحج؟

قلت: بلى.

قال: فإنك تصير إلى جرجان من يومك هذا إلى مائة وسبعين يوماً، وتدخلها يوم الجمعة لثلاث ليالي يمضين من شهر ربيع الآخر في أول النهار، فـأعلمهم أني أوافيهم في ذلك اليوم آخر النهار، فامض راشداً، فإن الله يسلمك ويسلم ما معك، فتقدم على أهلك، وولدك ويولد لولدك الشريف ابن فسمّه الصلت بن الشريف بن جعفر بن الشريف، وسيبلغه الله ويكون من أوليائنا.

فقلت: يا ابن رسول الله، إن إبراهيم بن إسماعيل الجرجاني وهو من شيعتك كثير المعروف إلى أوليائك يخرج إليهم في السنة من ماله أكثر من مائة ألف درهم، وهو أحد المتقلبين في نعم الله في جرجان.

فقال: شكر الله أبي إسحاق إبراهيم بن إسماعيل صنيعه إلى شيعتنا وغفر له ذنوبه ورزقه ذكراً سوياً قائلاً بالحق، فقل له: يقول لك الحسن بن علي: سم ابنك أحمد. فانصرفت من عنده وحججت، وسلّمني الله حتى وافيت جرجان في يوم الجمعة في أول النهار من شهر ربيع الآخر على ما ذكر وجائني أصحابنا يهنئوني، فأعلمتهم أن

الإمام وعدني أن يوافيكم في هذا اليوم، فتأهّبُوا لما تحتاجون إليه، وأعدّوا مسائلكم وحوائجكم كلها.

فلما صلّوا الظهر، والعصر اجتمعوا كلهم في داري، فوالله ما شعرنا إلا وقد وافانا أبو محمد عليه السلام فدخل إلينا، ونحن مجتمعون فسلَّم هو أولاً علينا، فاستقبلناه وقبّلنا يده ثم قال: إني كنت وعدت جعفر بن الشريف أن أوافيكم آخر هذا النهار فصليت الظهر، والعصر بسر من رأى وصرت إليكم لأجدد بكم عهداً، وها أنا جئتكم الآن، فاجمعوا مسائلكم وحوائجكم كلها.

فأول من انتدب لمسائلته النضر بن جابر، قال: يا بن رسول الله: إن ابني جابراً أصيب ببصره منذ أشهر فادعُ الله أن يرد عليه عينيه، قال: فهاته.

فمسح بيده على عينيه فعاد بصيراً، ثم تقدَّم رجل، فرجل يسألونه حوائجهم، وأجاب إلى كل ما سألوه حتى قضى حوائج الجميع، ودعا لهم بخير، وانصرف من يومه ذلك». (١)

٤ ـ قضاؤه عليه السلام لحوائج شيعته المادية:

اشتهر الإمام أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام بالكرم، والجود، والعطية، وقضاء الحوائج وهو ديدن آبائه الكرام عليهم السلام كما شهد له بذلك الموالي والعدو، وكان كرمه يتصف بلمحات غيبية، إذ كان من الصعب عليه الاتصال المباشر بشيعته ومواليه وإليكم نماذج من تلك الأخبار:

عن أبي هاشم الجعفري قال: «شكوت إلى أبي محمد ضيق الحبس، وكلب القيد فكتب إلي: أنت تصلي اليوم في منزلك! فخرجت وقت الظهر [من الحبس] فصليت في منزلي كما قال، وكنت مضيقاً، فأردت أن أطلب إليه معونة في الكتاب الذي كتبته

(١) الراوندي، الخرائج والجرائح، ج١، ص٤٢٥ـ٤٢٦؛ الإربلي، كشف الغمة، ج٣، ص٢٢٣ـ٢٢٤.

إليه فاستحييت، فلمّا صرتُ إلى منزلي وجه إليَّ بمائة دينار وكتب إليَّ: إذا كانت لك حاجة فلا تستحي، ولا تحتشم، واطلبها فإنّك على ما تحب إن شاء الله»[١].

وعن أبي يوسف الشاعر، قال: «ولد لي غلام وكنت مضيقاً، فكتبت رقاعاً إلى جماعه أسترفدهم فرجعت بالخيبة، قال: قلت: أجيء فأطوف حول الدار طوفة وصرت إلى الباب، فخرج أبو حمزة ومعه صرةٌ سوداء فيها أربع مائة درهم، فقال: يقول لك سيدي: أنفق هذا على المولود، بارك الله لك فيه»[٢].

وهذا غيض من فيض كرمه، وجوده، وسخائه عليه السلام، داعين المولى عزّ وجلَّ أن يجعلنا من خيار مواليهم، والتابعين لهم، وأن تشملنا شفاعة جدهم المصطفى صلى الله عليه وآله، وأن لا يسلبنا معرفتهم إنه سميع مجيب.

المبحث الثاني: تمهيده لغيبة خلفه الإمام المهدي عليه السلام.

عمل الإمام الحسن العسكري عليه السلام على التمهيد لظاهرة جديدة ستطرأ على الحياة الفكرية لأتباعه بعد شهادته وهي ظاهرة غيبة خلفه الإمام المهدي عليه السلام، فمهّد لها بالقول، والفعل، وبالأساليب المختلفة، ليرسّخ أولاً إيمان شيعته بوجود إمام غائب وثانياً ببيان كيفية التعامل مع هذا الظرف الذي سيستمر معهم إلى أن يشاء الله وهي مدّة غير معلومة.

فقد اتبع الإمام الحسن العسكري عليه السلام خطى والدهِ الإمام الهادي عليه السلام في التحضير لزمن الغيبة في وقت عصيب حاولت السلطات الحاكمة فيه التضييق على الإمام العسكري عليه السلام بعزله عن أصحابه، وتشديد الرقابة عليه غير أن الإمام عليه السلام كان عليه التمهيد لولادة خليفة الله في أرضه مع التكتم على ذلك خوفاً على حياته،

(١) الكليني، الأصول من الكافي، ج١، ص٥٠٨ـ٥٠٩؛ المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج٢، ص٣٣٠.

(٢) الإربلي، كشف الغمة، ج٣، ص٢٢٢.

ونلخص تمهيد الإمام العسكري النظري لعصر الغيبة بالآتي:

١. التخطيط المنهج في الإعلان عن ولادة الإمام المهدي عليه السلام:

تطلب هذا الأمر من الإمام الحسن العسكري عليه السلام الجمع بين نقيضين، هما:

إخفاء ولادته عن الأعداء، وغير الأولياء، والتكتم على شخصهِ خشية من السلطة التي كانت مستعدة لبذل الغالي، والنفيس من أجل إلقاء القبض عليه، فقد تميزت ولادة الإمام المهدي عليه السلام بمنتهى الكتمان والسرية فقد أخفيت الولادة المباركة للإمام المهدي حتى عن أقرب المقربين فكانت عمة الإمام الحسن العسكري السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام لم تطلع على حمل أم الإمام المهدي عليه السلام السيدة نرجس حتى حين الولادة، وحتى توقيت الولادة كان بالإرادة الإلهية في آخر الليل وعند طلوع الفجر[١]، فهذه الظروف والمعطيات كلها تدل على كتمان الأمر، وحتى أن الإمام الحسن العسكري لم يجرِ سنة العقَ عن المولود المبارك في داره، فنجده قد أوصى بعض أصحابه ليقوم بهذه المهمة، فقد روي عن أبي جعفر العمري قال: «لما ولد السيد قال أبو محمد: ابعثوا إلى أبي عمرو فبعث إليه فصار إليه، فقال له: اشتر عشرة آلاف رطل خبز وعشرة آلاف رطل لحم وفرقه، أحسبه قال: على بني هاشم، وعق عنه بكذا وكذا شاة»[٢].

وفي المقابل وقع على عاتق الإمام العسكري عليه السلام مسؤولية الإعلان عن ولادة ولده الإمام المهدي عليه السلام، إذ كان لا بد أن يزف بشرى ولادة بقية الله إلى الخلص، والثقات من أصحابه، وبيان موقعه من الولاية الإلهية، وكان الإمام العسكري عليه السلام يخبر بالولادة المباركة بتحفظ بحسب المناسبة، وطبيعة الكتمان فتارةً يصرح وتارة أخرى يلمح.

---

(١) الصدوق، كمال الدين، ص٤٣١ـ٤٣٢.

(٢) المصدر نفسه، والصفحتان نفسهما.

فقد روى محمد بن موسى المتوكل، قال: «... عن أبي غانم الخادم قال: ولد لأبي محمد عليه السلام ولد فسماه محمداً، فعرضه على أصحابه يوم الثالث، وقال: هذا صاحبكم من بعدي، وخليفتي عليكم، وهو القائم الذي تمتد إليه الأعناق بالانتظار، فإذا امتلأت الأرض جوراً، وظلماً خرج فملأها قسطاً وعدلاً».[١]

وقد أخذ الإمام العسكري عليه السلام يبلغ أصحابه بالولادة الطاهرة، أو النص عليها، واختار منهم الأشخاص الذين يتوقع منهم قوة الإيمان وعمق الإخلاص، وصلابة الإرادة، والأقرب فالأقرب لولايته، وذوي الكرامة عند الله سبحانه، ومع ذلك يوصيهم بالكتمان.

فعن أحمد بن الحسن بن إسحاق القمي، قال: «فلما ولد الخلف الصالح عليه السلام ورد عن مولانا أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام إلى جدي أحمد بن إسحاق كتاب، فإذا فيه مكتوب بخط يده عليه السلام الذي كان ترد به التوقيعات عليه، وفيه: ولد لنا مولود فليكن عندك مستوراً، وعن جميع الناس مكتوماً، فإنا لم نظهر عليه إلا الأقرب لقرابته، والولي لولايته، أحببنا إعلامك ليسرك الله به مثل ما سرنا به والسلام»[٢]، ففي الرواية نص واضح على ولادة الإمام الحجة عليه السلام وفي الوقت نفسه يلاحظ إصرار الإمام الحسن العسكري على كتمان ذلك عن غير أوليائه، وأعدائه موصياً بذلك أوليائه وشيعته.

وقد تشرف بعض أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام برؤية الإمام المهدي ليكون أبلغ في تأكيد الحجة وتبليغ النص، وقد أثبتت الحجة عليهم قولاً وفعلاً، فبعضهم رأوه منذ اليوم الأول بعد ولادته، وبعضها الآخر رآه في اليوم الثالث، وآخرون حينما بلغ السنة الثالثة أوالخامسة من عمره الشريف، وسنذكر هنا بعض الروايات التي أشارت إلى ذلك:

---

(١) الصدوق، كمال الدين، ص٤٣١.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٣٤.

«محمد بن يحيى عن الحسين بن رزق الله أبو عبد الله، قال: حدثني موسى بن محمد بن القاسم بن حمزة بن موسى بن جعفر، قال: حدثتني حكيمة ابنة محمد بن علي وهي عمة أبيه، أنها رأته ليلة مولده وبعد ذلك»[١].

«علي بن محمد، عن جعفر بن محمد الكوفي، عن جعفر بن محمد المكفوف عن عمرو الأهوازي قال: أرانيه أبو محمد وقال: هذا صاحبكم»[٢].

«وعن معاوية بن حكيم ومحمد بن أيوب بن نوح، ومحمد بن عثمان العمري قالوا: عرض علينا أبو محمد الحسن بن علي ونحن في منزله، وكنا أربعين رجلاً فسئل عن الحجة من بعده، فخرج عليهم غلام أشبه الناس به، فقال: هذا إمامكم من بعدي، وخليفتي عليكم، فلا تفرقوا من بعدي في أديانكم، فتهلكوا أما إنكم لا ترونه بعد يومكم هذا، قالوا: فخرجنا من عنده، فما مضت الأيام قلائل حتى مضى أبو محمد عليه السلام»[٣].

«وعن أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري، قال: دخلت على أبي محمد الحسن بن علي، وأنا أريد أن أسأله عن الخلف من بعده، فقال لي مبتدئاً: يا أحمد بن إسحاق إن الله تبارك وتعالى لم يخل الأرض منذ خلق آدم عليه السلام، ولا يخليها إلى أن تقوم الساعة من حجة لله على خلقه به يدفع البلاء عن أهل الأرض، وبه ينزل الغيث وبه يخرج بركات الأرض، قال: فقلت له: يابن رسول الله، فمن الإمام الخليفة من بعدك؟ فنهض مسرعاً، فدخل البيت، ثُمَّ خرج وعلى عاتقه غلام كأن وجهه القمر ليلة البدر من أبناء الثلاث سنين، فقال: يا أحمد بن إسحاق لولا كرامتك على الله عزّ وجلَّ وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا، إنه سمي رسول الله، وكنيّه الذي يملأ الأرض

(١) الكليني، الأصول من الكافي، ج١، ص٣٣١.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٣٣٢؛ الصدوق، كمال الدين، ص٢٣٤.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٣٥. باختلاف يسير.

قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يا أحمد بن إسحاق مثله في هذه الأمة مثل الخضر عليه السلام، ومثله مثل ذي القرنين والله ليغيبن غيبة لا ينجو فيها من الهلكة إلا من ثبته الله عزّ وجلَّ على القول بإمامته، ووفقه للدعاء بتعجيل فرجه، فقال أحمد بن إسحاق: فقلت له: يا مولاي فهل من علامة يطمئن إليها قلبي؟ فنطق الغلام عليه السلام بلسان عربي فصيح، فقال: أنا بقية الله في أرضه والمنتقم من أعدائه، فلا تطلب أثراً بعد عين يا أحمد بن إسحاق، فقال أحمد بن إسحاق: فخرجت مسروراً فرحاً ...»[١].

٢. اتخاذ أسلوب الاحتجاب عن الشيعة:

كان الإمام الحسن بن علي عليه السلام قد اتخذ هذا الأسلوب تبعاً لأبيه أبي الحسن الهادي عليه السلام؛ وذلك لغرض تهيئة الذهنية العامة للاحتجاب، وحسن تقبل الغيبة لدى أصحابه، وأصحاب الإمام الحجة عليه السلام، وقد اتخذ الإمام العسكري، ومن قبله أبوه عليهما السلام أسلوب إيكال أمر تبليغ الأحكام، وقبض الحقوق المالية، وإيصال التواقيع الصادرة عنهما إلى الوكلاء الذين كانا يختارونهم من خاصة أصحابهما.

قال المسعودي: «رُويَ أن أبا الحسن صاحب العسكر احتجب عن كثير من الشيعة إلا عن عدد يسير من خواصه، فلما أفضي الأمر إلى أبي محمد كان كلّم شيعته الخواص، وغيرهم من وراء الستر إلا في الأوقات التي يركب فيها إلى دار السلطان، وأن ذلك إنما كان منه، ومن أبيه قبله مقدمة لغيبة صاحب الزمان لتألف الشيعة ذلك، ولا تنكر الغيبة وتجري العادة بالاحتجاب والاستتار».[٢]

(١) الصدوق، كمال الدين، ص ٤٣٥؛ الطبرسي، إعلام الورى، ج٢، ص٢٤٨ـ٢٤٩؛ الإربلي، كشف الغمة، ج٣، ص٢٣٣ـ٢٣٤؛ القندوزي، ينابيع المودة، ج٣، ص٣٢٣.

(٢) المسعودي، إثبات الوصية، ص٢٧٥.

٣. استخدام الوكلاء والنواب:

حينما تحكم أسلوب الاحتجاب على معظم حياة الإمام العسكري عليه السلام كان لابد من اتخاذ نظام الوكلاء والنواب، فقد ابتكر أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام نظام الوكلاء منذ عهد الصادقين عليهما السلام حتى عهد الإمامين العسكريين الذي تطور فيه نظام الوكلاء شكلاً، ومحتوى ومضموناً، وأصبح هذا الأمر مقبولاً في نفوس الشيعة مع صعوبة عدم الاتصال المباشر بالإمام عليه السلام، وكان عدد وكلاء الإمامين العسكريين في تصاعد مستمر حتى أصبحوا في شرق الأرض وغربها؛ إذ كانت مسؤوليتهم كبيرة في تلبية إحتياجات اتباع الأئمة عليهم السلام، فكانوا يقومون بجمع رسائلهم ويسألون الإمام عن ذلك بدلهم، وكانوا يستوفون الأموال الشرعية منهم.

وكان الإمام العسكري عليه السلام يجيب على أسئلتهم بالتواقيع، ويمكن القول: إن وكالة عثمان بن سعيد للإمام العسكري عليه السلام هي بمثابة التمهيد للسفارة المهدوية؛ لأن عثمان بن سعيد كان السفير الأول للإمام الحجة عليه السلام، وأنه منصوص على ثقته، وأمانته وعدالته من قبل الإمامين العسكريين عليهما السلام مما يزيد من ثقة الشيعة به، وقد أصبحت التواقيع عن الإمامين العسكريين كثيرة لدرجة أنها أصبحت مادة للجمع، والتأليف من قبل بعض أصحاب الإمامين عليهما السلام وبعض المعاصرين لهم ومنهم: عبد الله بن جعفر الحميري الذي صنف كتاب مسائل الرجال ومكاتباتهم أبا الحسن الثالث ومسائل أبي محمد وتوقيعاته[١]، ومحمد بن الحسن الصفار له مسائل كتب بها إلى أبي محمد الحسن العسكري[٢].

وقد انحرف بعض الوكلاء الذين يعدون على عدد الأصابع طمعاً في الجاه عند الشيعة، أو لأسباب مادية، أو عقائدية، وقد كشف الإمام الحسن العسكري عليه السلام

(١) النجاشي، فهرست أسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي)، ص٤٢٠.

(٢) الطوسي، الفهرست، ص٢٢٠.

انحرافهم، فتبرأ منهم، ولعنهم، وألغى وكالتهم من خلال التواقيع التي خرجت لشيعته، وهذا في الواقع يدل على مدى حرص الإمام على سلامة هذا الجهاز الضخم.

ونذكر هنا بعض، وكلاء الإمام العسكري عليه السلام:

١ـ إبراهيم بن عبدة النيسابوري:

من أصحاب الإمام الهادي والعسكري عليهما السلام، وكان من وكلاء الإمام الحسن العسكري عليه السلام بنص منه كما يظهر ذلك من كتابه عليه السلام إلى إسحاق بن إسماعيل النيسابوري، وعبدالله بن حمدويه البيهقي، وإلى شيعته ومواليه في نيسابور حيث جاء فيه: «وكل من قرأ كتابنا هذا من مواليَّ من أهل بلدك ومن هو بناحيتكم ... فليؤد حقّنا إلى إبراهيم بن عبدة، وليحمل ذلك إلى الرازي، أو إلى من يسمّي له الرازي، فإن ذلك من أمري ورأيي إن شاء الله»[١].

وهناك نص آخر يدل على وكالته، وهو ما كتبه الإمام العسكري عليه السلام لعبد الله بن حمدويه البيهقي حيث جاء فيه: «... وبعد فقد نصبتُ لكم إبراهيم بن عبدة ليدفع النواحي وأهل ناحيتك حقوقي الواجبة عليكم إليه، وجعلته ثقتي، وأميني عند مواليَّ هناك ...».[٢]

٢ـ أحمد بن إسحاق الأشعري القمي:

من عائلة عريقة في الإسلام، والتشيع، وخدمة أهل البيت، وشيعتهم، وإليهم يعود الفضل في تأسيس أول مدرسة علمية إمامية تُعنى بتراث أهل البيت في بلاد فارس[٣].

---

(١) الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ص٤٧٨ـ٤٧٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٨٠.

(٣) للمزيد من التفاصيل ينظر، هاشم، علي زهير، الأشعريون في إقليم الجبال حتى منتصف القرن الثالث الهجري، رسالة جامعية غير منشورة، جامعة الكوفة ـ ٢٠٠٩.

من أصحاب الإمام الجواد عليه السلام حتى الإمام الحسن العسكري عليه السلام وكان من خواصه وتشرف بلقاء صاحب الزمان عليه السلام كما وصفه الشيخ الطوسي بالثقة وكبير القدر وبشيخ القميين ووافدهم[١] أي الذي يفد على الإمام من طرفهم لإيصال الرسائل والأموال.

وهناك الكثير من النصوص تدل على وثاقة هذا الرجل، وعظم منزلته، وأنه كان من خاصة أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ووكلائه نذكر منها:

ما ذكره الطبري في دلائل الإمامة، إذ قال: «وكان أحمد بن إسحاق القمي الأشعري شيخ الصدوق وكيل أبي محمد عليه السلام فلما مضى أبو محمد عليه السلام إلى كرامة الله عزّ وجلَّ، أقام على وكالته مع مولانا صاحب الزمان تخرج إليه توقيعاته، ويحمل إليه من سائر النواحي التي فيها موالي مولانا فنسلمها إلى أن استمر في المسير إلى قم فخرج الإذن بالمضي، وذكر أنه لا يبلغ إلى قم، وأنه يمرض ويموت في الطريق بحلوان ومات ودفن بها»[٢].

٣ـ أحمد بن إسحاق الرازي:

عدَّه الشيخ الطوسي في رجاله في أصحاب الإمام العسكري عليه السلام[٣]، قائلاً هو: «ثقة»[٤]، وكان الرازي وكيلًا للإمام العسكري عليه السلام، كما يظهر من كتابه عليه السلام إلى إسحاق بن إسماعيل، إذ جاء فيه: «فليؤد حقوقنا إبراهيم، وليحمل ذلك إبراهيم بن عبدة إلى الرازي أو إلى من يسمي له الرازي، فإن ذلك عن أمري، ورأيي إن شاء

(١) الطوسي، رجال الطوسي، ص٣٩٨، ٤٢٧؛ الفهرست، ص ٢٩.

(٢) الطبري، دلائل الإمامة، ص٢٦٨.

(٣) الطبرسي، إعلام الورى، ص٤٩٨.

(٤) الطوسي، رجال الطوسي، ص٤١٠.

الله»[١].

٤ـ عثمان بن سعيد العمري السمّان (الزيّات):

هو من أصحاب الإمامين العسكريين عليهما السلام ومن أجلّة وكلائهما وأصبح أول النواب الأربعة[٢]، ويكنى أبا عمرو واشتهر بالسمّان أو الزيّات لمهنته التي اشتغل فيها التي كان يمتهنها تخفياً على ارتباطه بالإمام العسكري عليه السلام، وكان الشيعة إذا حملوا إلى أبي محمد العسكري عليه السلام ما يجب عليهم حمله من الأموال أنفذوا إلى أبي عمرو فجعله في جراب السمن وزقاقه ويحمله إلى أبي محمد تقية وخوفاً[٣]، وقد وصفه الشيخ الطوسي بجلالة القدر والوثوق[٤]، وذكره كذلك في كتابه (الغيبة) في السفراء الممدوحين وأثنى عليه، وروى عدة روايات في مدحه.[٥]

وقد خدم الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام وهو ابن عشر سنين، وقد قال في حقه عندما سأله أحد الشيعة عن مَن مِن أصحابه يأخذون أقواله وأمر من يمتثلون، فأجاب: «هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ما قاله لكم فعنّي يقول، وما أدّاه إليكم فعنّي يؤدّيه»، والراوي نفسه في تتمة هذه الرواية ذكر المقولة نفسها عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام صدرت عنه بعد وفاة والده أبوالحسن الهادي عليه السلام حيث قال: «هذا أبو عمرو الثقة الأمين ثقة الماضي، وثقتي في المحيا والممات، فما قاله لكم فعنّي يقوله، وما أدّى إليكم فعني يقول فاسمع له وأطع فإنه الثقة المأمون»[٦].

---

(١) الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ص٤٧٨ـ٤٧٩.

(٢) الحائري، منتهى المقال في أحوال الرجال، ج٤، ص٢٥٩.

(٣) الطوسي، الغيبة، ص٢٢٠.

(٤) الطوسي، رجال الطوسي، ص٤٣٤.

(٥) الطوسي، الغيبة، ص٢٢٠ـ٢٢٢.

(٦) المصدر نفسه، ص٢٢٠.

وعن الإمام الحسن العسكري عليه السلام في خبر طويل وفي حضور جمع من شيعته أحضر عثمان بن سعيد لقبض الأموال الشرعية من وفد من شيعته أتوا بها إلى سامراء من اليمن وقال له: «امض يا عثمان فإنك الوكيل، والثقة المأمون على مال الله واقبض من هؤلاء النفر اليمنيين ما حملوه من المال»، وفي تتمة الرواية قال الجمع الحاضر من الشيعة للإمام الحسن العسكري: «يا سيدنا والله إن عثمان لمن خيار شيعتك، ولقد زدتنا علماً بموضعه من خدمتك، وإنه وكيلك وثقتك على مال الله تعالى»، فأجاب الإمام عليه السلام: «نعم واشهدوا عليَّ أن عثمان بن سعيد العمري وكيلي، وأن ابنه محمداً وكيل ابني مهديكم»[١].

٥ـ القاسم بن العلاء الهمداني:

من أهل أذربيجان ومن وكلاء الناحية[٢]، وممن رأى الإمام الحجة عليه السلام[٣] «وهو أحد وكلاء [الإمام] العسكري عليه السلام، وقد عمَّر مائة وسبعة عشر سنة، منها ثمانون سنة صحيح العينين، لقي الإمامين العسكريين عليهما السلام، وحجبت عيناه بعد الثمانين، وكان الإمام الحجة في توقيعه أخبره فيه بعد ورود الكتاب عليه بأربعين يوماً ...»[٤]،

وما رواه العلّامة المجلسي عن الشيخ الطوسي في المصباح، قال: «خرج إلى القاسم بن العلاء الهمداني وكيل أبي محمد أن مولانا الحسين ولد يوم الخميس لثلاث خلون من شعبان».[٥]

---

(١) الطوسي، الغيبة، ص٢٢١.

(٢) الحائري، منتهى المقال، ج٥، ص٢٢٩؛ الأردبيلي، جامع الرواة وإزاحة الإشتباهات عن الطرق والإسناد، ج٢، ص١٩.

(٣) الصدوق، كمال الدين، ص٤٣٤.

(٤) الطوسي، الغيبة، ص٢٢٦.

(٥) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٠١.

٦ـ محمد بن عثمان بن سعيد العمري:

وكيل صاحب الأمر عليه السلام، وهو ثاني النواب الأربعة.

لا يوجد نص صريح من الإمام الحسن العسكري عليه السلام دال على أنه كان من وكلائه، ولكن الظاهر من كلام الشيخ الطوسي في حقه أنه أيضاً كان وكيل الإمام العسكري عليه السلام حتى في حياة والده[1].

وعلى الرغم من الرقابة والحصار اللذين كانا مفروضين على الإمام العسكري عليه السلام، فإن هذه الظروف لم تمنع الإمام من التواصل مع المناطق التي كانت فيها شيعته ومواليه بل استطاع أن يكسر كل الحواجز بالمكاتبة والوكلاء، ومهد هذا الأسلوب لشيعته كي تتقبل أمر الغيبة.

المبحث الثالث: التكليف في زمن الغيبة من منظور الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

سار الإمام الحسن العسكري عليه السلام على خطى آبائه عليهم السلام في التأكيد على الغيبة وأنها حتمية وأن الشيعة سوف يمتحنون، ويمحصون، ويُغَرْبَلون لكي يسعد من يسعد ويشقى من يشقى، فمن الواجب الصبر، وانتظار الفرج إلى اليوم الموعود، وظهور الإمام المهدي وتأسيس دولة الحق في آخر الزمان، وكانت توصيات الإمام الحسن العسكري في هذا المنظور لشيعته عن طريق لقاءاته، وكتبه تترى، وكان يبلغهم بتكليفهم في زمن الغيبة، ويمكن لنا تلخيص هذه التوصيات للإمام العسكري عليه السلام بما يلي:

١. ضرورة معرفة الحجة رغم طول زمن الغيبة:

وقد أكدت هذا المعنى الروايات الواردة عنه عليه السلام، ومنها:

روى أبو علي بن همام، قال: «سمعت محمد بن عثمان العمري يقول: سمعت

(١) الطوسي، الغيبة، ص٢٢٦.

أبي يقول: سُئل أبو محمد الحسن بن علي، وأنا عنده عن الخبر الذي روي عن آبائه: أن الأرض لا تخلو من حجة الله على خلقه إلى يوم القيامة وأنَّ مَن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، فقال: إن هذا حق كما أن النهار حق، فقيل له: يا ابن رسول الله فمن الحجة والإمام بعدك؟ فقال ابني محمد هو الإمام، والحجة بعدي من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية ... »[١].

وعن الحسن بن محمد بن صالح البزاز، قال: سمعت الحسن بن علي العسكري يقول: «إن ابني هو القائم من بعدي، وهو الذي تجري فيه سنن الأنبياء بالتعمير والغيبة حتى تقسوا القلوب لطول الأمد، فلا يثبت على القول به إلا من كتب الله في قلبه الإيمان وأيده بروح منهُ».[٢]

٢. التحذير من الاختلاف والشك:

حذر الإمام العسكري عليه السلام أصحابه من أن تميل قلوبهم عن الحق وأن يقعوا في الفتن ويتفرقوا لطول الغيبة، وقد أشار إلى الزمن الذي يتفرق فيه بعض شيعته. فقد جاء في حديث أبي غانم، قال: «سمعت أبا محمد الحسن بن علي عليهما السلام يقول: في سنة مائتين وستين تفترق شيعتي، قال: ففيها قبض أبو محمد عليه السلام، وتفرقت الشيعة وأنصاره، فمنهم من انتمى إلى جعفر ومنهم من تَاهَ، ومنهم من شك، ومنهم من وقف على تحيره، ومنهم من ثبت على دينه بتوفيق الله عزّ وجلَّ»[٣].

وأكّد الإمام على ضرورة التمسك بالإمام من بعدهِ، كما ورد في الحديث الذي

(١) الصدوق، كمال الدين، ص٤٠٩؛ الخزاز، كفاية الأثر، ص٢٩٤؛ الطبرسي، إعلام الورى، ج٢، ص٢٥٣؛ الإربلي، كشف الغمة، ج٣، ص٣٣٦؛ العاملي، الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم، ج٢، ص٢٣٢.

(٢) الصدوق، المصدر نفسه، ص٥٢٤؛ الراوندي، الخرائج والجرائح، ج٢، ص٩٦٤؛ العاملي، الصراط المستقيم، ج٢، ص٢٣٨.

(٣) الصدوق، المصدر نفسه، ص٤٠٨.

نقله موسى بن جعفر بن وهب البغدادي قائلاً: «سمعت أبا محمد الحسن بن علي عليه السلام قول: كأني بكم، وقد اختلفتم بعدي في الخلف منّي، أما إن المُقِرّ بالأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنكر لولدي كمن أقر بجميع أنبياء الله ورسله، ثم أنكر نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله، والمنكر لرسول الله صلى الله عليه وآله كمن أنكر جميع أنبياء الله؛ لأن طاعة آخرنا كطاعة أولنا، والمنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا، أَمَا إن لولدي غيبة يرتاب فيها الناس إلا من عَصَمَه الله»[1].

٣. ترسيخ قواعد المرجعية الدينية:

لقد برز نظام المرجعية الدينية في عهد الإمام العسكري عليه السلام، وتعاظم أثر علماء الشيعة بوصفهم وكلاء، ونواب، وسفراء عن المعصوم عليه السلام، وهي تعني تمحور الطائفة الإمامية حول علماء دين الله الأمناء على حلاله وحرامه، وهناك رواية عن الإمام العسكري عليه السلام جاء فيها بيان صفات الفقيه الواجب على الشيعة تقليده الذي يكون حجة الإمام الغائب على الناس، إذ قال: «فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً على هواه مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه، وذلك لا يكون إلا بعض فقهاء الشيعة لا كلهم، فإن من ركب القبائح، والفواحش مراكب علماء العامة، فلا تقبلوا منهم عنا شيئاً ولا كرامة ...»[2].

وراح العلماء في زمن الإمام العسكري عليه السلام يتصدون لشؤون الطائفة من خلال مراسلة الإمام فيما تأتيهم من مسائل غامضة، ثم يأتي الجواب من الإمام مختوماً بتوقيعه.

إن المرجعية نظام إلهي بعيد عن الطائفية، والعشائرية ويكمن قوة تنفيذ

---

(١) الصدوق، كمال الدين، ص٤٠٩؛ الخزاز، كفاية الأثر، ص٢٩٥ـ٢٩٦؛ الطبرسي، إعلام الورى، ج٢، ص٢٥٣ـ٢٤٥؛ العاملي، الصراط المستقيم، ج٢، ص٢٣٢.

(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ج١١، ص١٣١.

أوامرها من فطرة الإنسان، ففي اتباعهم اتباعاً لأوامر الله، وإن أساس بناء المرجعية هو التقوى لا الحتمية، فإن هذا الكيان يتجاوز الفوراق المادية التي بين الناس من الأرض والدم واللغة فينشأ المجتمع الإسلامي النقي الذي يقوم على أساس طاعة الإمام ويكون جسراً بين المؤمنين.

الخاتمة:

وبعد أن خضنا غمار جانب من جوانب سيرة الإمام الحسن العسكري عليه السلام العطرة يمكننا أن نلخص، ونستنتج الآتي:

انصبت جهود الإمام الحسن العسكري عليه السلام المظنية في رعايته لشيعته في ظل ظروف بالغة التعقيد، والحساسية في الاحتجاب عنهم ضماناً لهم من الملاحقة الأمنية للسلطان القاهر الحاكم، والاختصار على الإلتقاء غير المباشر مع الخواص فقط. وكان من شأنه عليه السلام تزويد مريديه بالأدعية بوصفها برامج فكرية ثقافية لبث الأفكار التربوية، وبرامج لتحدي كل أنواع الفساد الثقافي والاجتماعي والسياسي، فكانت تلك الأدعية تبث في نفوس الشيعة الثورة ضد الطغاة بكل مصاديقها ولا سيما الفكرية من بينها، وتقوية روح الاستقامة، والصبر في مواجهة الظالمين، وعدم التسليم لوسائل التطويع من الترغيب، والترهيب، والتضليل، وكان عليه السلام يجود بما يمكنه وبلمسات غيبية على شيعته، ويقضي حوائجهم بصورة غير مباشرة، وبالطرق المختلفة وهو ديدن آبائه الكرام أيضاً.

ومن أهم شعب رعايته عليه السلام لشيعته هي الرعاية الفكرية ـ إن صحّ القول ـ ومن أهم ظواهر هذا الرعاية الفكرية الأبوية هي ما حصل، أو كاد أن يحصل بعد شهادته وهي ظاهرة غيبة خلفه الإمام المهدي عليه السلام، فقد اتبع عليه السلام أساليب شتى تصب في الإعداد لتقبّل هذه الظاهرة كان منها تخطيطه الممنهج في الإعلان عن ولادة

خلفه من خلال الجمع بين نقيضين، هما: إخفاء الولادة عن الأعداء، والتكتم على شخصه، والإعلان عن ولادة ولده إلى خلّص أصحابه، والثقات منهم، وبيان موقعه من الولاية الإلهية، وكان الإمام العسكري عليه السلام يخبر بالولادة الميمونة بتحفظ بحسب المناسبة وطبيعة الكتمان، فتارة يصرّح، وتارة يلمّح، وتنفرد كتب الحديث في أبواب خاصة بذكر بعض أصحاب الإمام العسكري عليه السلام ممن نالوا شرف رؤية خلفه عليه السلام في صباه قبل شهادة أبيه عليهما السلام.

وكان أسلوب الاحتجاب نفسه الذي اتخذه الإمام عليه السلام خوفاً من ملاحقة مريديه من قبل السلطات قد اتخذه هنا كتهيئة ذهنية، وحسن تقبّل للغيبة لدى أصحابه، وقد نتج عن هذا الأمر قلة الاتصال بشخصه عليه السلام مما دعاه أن يتخذ أسلوب إيكال أمر تبليغ الأحكام، وقبض الحقوق المادية، وإيصال التواقيع الصادرة عنه إلى الوكلاء الذين كان يختارهم من خاصة أصحابه.

وقد بيّن عليه السلام تكليف الشيعة في زمن الغيبة فيما أُثر عنه من أقوال منها تأكيده على ضرورة معرفة الحجة على الرغم طول الغيبة والتحذير من الإختلاف والشك وآخرها هو ترسيخه لقواعد مرجعية العلماء الدينية بعضهم وكلاء، ونواب، وسفراء عن المعصوم عليه السلام.

والحمد لله أولاً وآخراً.

المصادر والمراجع:

١. ابن بابويه، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى القمي (ت٣٨١هـ/ ٩٩١م)، كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم ـ ١٤٠٥).

٢. ابن شهر آشوب، رشيد الدين أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني (ت ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م)، مناقب آل أبي طالب: تحقيق لجنة من العلماء، المكتبة الحيدرية، (النجف ـ ١٩٥٦).

٣. ابن طاووس، رضي الدين أبوالقاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسني (ت ٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م)، مهج الدعوات ومنهج العبادات، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة الآفاق، (طهران ـ ٢٠٠١).

٤. الإربلي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت ٦٩٣ هـ/ ١٢٩٤م)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، دار الأضواء، (بيروت ـ د.ت).

٥. الأردبيلي، محمد بن علي الغَرَوي الحائري (توفي بعد ١١٠٠ هـ/ ١٦٨٩م)، جامع الرواة وإزاحة الإشتباهات عن الطرق والإسناد، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، (قم ـ ١٤٠٣).

٦. الحائري المازندراني، أبو علي محمد بن إسماعيل (ت ١٢١٦ هـ/ ١٨٠١ م)، منتهى المقال في أحوال الرجال، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (قم ـ ١٤١٧).

٧. الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤ هـ/ ١٦٩٣ م)، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط ٢، (قم ـ ١٤١٤).

٨. الخزاز القمي، أبو القاسم علي بن محمد بن علي (ت ٤٠٠ هـ/ ١٠١١ م)، كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، انتشارات بيدار، (قم ـ ١٤١٧هـ).

٩. الراوندي، أبو الحسين قطب الدين سعيد بن هبة الله بن الحسن (ت ٥٧٣ هـ١١٨٧م)، الخرائج والجرائح، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، (قم ـ ١٤٠٩هـ).

١٠. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي)، إعلام الورى بأعلام الهدى، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (قم ـ ١٤١٧هـ).

١١. الطبري، محمد بن جرير بن رستم (القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)، دلائل الإمامة، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت ـ ١٩٨٨).

١٢. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠ هـ/ ١٠٦٨م)، اختيار معرفة الرجال، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم ـ ١٤٢٧هـ).

١٣. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠ هـ/ ١٠٦٨م)، الفهرست، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم ـ ١٤١٧هـ).

١٤. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠ هـ/ ١٠٦٨م)، رجال الطوسي، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم ـ ١٤١٥هـ).

١٥. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠ هـ/ ١٠٦٨م)، كتاب الغيبة، منشورات الفجر، (بيروت ـ ٢٠٠٩).

١٦. العاملي، زين الدين أبو محمد علي بن يونس النباطي (ت ٨٧٧ هـ/ ١٤٧٢ م)، الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم، تحقيق: محمد باقر البهبودي، المكتبة المرتضوية

لإحياء الآثار الجعفرية، (قم ـ ١٣٨٤).

١٧. القندوزي، سليمان بن خوجه إبراهيم قبلان الحسيني الحنفي النقشبندي (ت١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م)، ينابيع المودة، تحقيق: السيد علي جمال أشرف الحسيني، دار الأسوة، (قم ـ ١٤١٦هـ).

١٨. الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت ٣٢٩ هـ/ ٩٤١ م)، الأصول من الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، ط٥، (طهران ـ ١٩٨٤).

١٩. المجلسي، المولى محمد باقر بن محمد تقي (ت ١١١١ هـ/ ١٦٩٩م)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق: السيد حسن الموسوي الخرسان وآخرون، مؤسسة الوفاء، (بيروت ـ ١٩٨٣).

٢٠. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي الهذلي (ت ٣٤٦ هـ/ ٩٥٧ م)، إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، دار الأضواء، ط ٢، (بيروت ـ ١٩٨٨).

٢١. المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م)، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، (دار المفيد ـ ١٩٩٣).

٢٢. النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس الأسدي الكوفي (ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)، فهرست أسماء مصنفي الشيعة الشهير برجال النجاشي، مؤسسة النشر الإسلامي، ط ٥، (قم ـ ١٤١٦هـ).

٢٣. هاشم، علي زهير، الأشعريون في إقليم الجبال حتى منتصف القرن الثالث الهجري، رسالة جامعية غير منشورة، جامعة الكوفة ـ ٢٠٠٩.

البحث الثامن

توظيف البعد الغيبي سياسياً واجتماعياً في فكر الإمام الحسن العسكري عليه السلام في إصلاح المجتمع ـ دراسة تاريخية ـ

م.د. عباس محيسن حريجة سلمان اللامي

تدريسي في مديرية تربية ميسان

المقدمة

وظّف أئمة أهل البيت عليهم السلام البعد الغيبي بشكل واسع النطاق، ولم يستثمر في الجانب الديني وبعده النظري فحسب، بل ابتعدوا به كثيراً إلى بناء الإنسان وحركة المجتمع معاً وبما يضمن حل الإشكالات الاجتماعية، والسياسية، بل وحتى الاقتصادية التي تعترض طريق الإنسان وتعيق عمله، وهذا يدل على مدى التفاعل الاجتماعي، والتربوي بين الأئمة عليهم السلام، والإنسان بصورة عامة، وقواعدهم، ومواليهم بصورة خاصة، مما يدلل مدى واقعية أهل البيت عليهم السلام مجتمعياً، وأن هدفهم كان إصلاح المجتمع أولاً وآخراً، وهذا ما ينعكس على محور بحثنا وهو أحد هؤلاء الأئمة الإمام الحسن العسكري عليه السلام الذي وظف البعد الغيبي الإعجازي خير توظيف في إصلاح المجتمع سياسياً واجتماعياً، أما عن آلية وماهية الحصول على البعد الغيبي فان الأئمة عليهم السلام لديهم علماً لدنياً، وهذا ما أشار إليه أحد الباحثين قائلاً: «**عند التأمّل في الروايات الواردة عنهم عليهم السلام نجد أنّها تجيب وبشكل واضح وصريح على أنّ علم أهل البيت عليهم السلام علم لدني...**»[1].

وكانت وراء اختيار هذا الموضوع عوامل عدة منها بيان أن أئمة أهل البيت عليهم السلام يمتلكون علماً إعجازياً غيبياً قد منحهم الله إياه، ومن ضمنهم محور دراستنا الإمام الحسن العسكري عليه السلام، كانت الغاية الأساسية من اختيار هذا الموضوع هو أنه عليه السلام لم يوظف البعد الغيبي الذي يمتلكه لمصالح، وغايات ضيقة،

(١) الحيدري، علم الإمام، ص ٢١٩، وللوقوف بشكل مفصل عن علم الإمام المعصوم وحقيقته وطرق الحصول عليه، ينظر، كمال الحيدري، علم الإمام، ص ٢٠٩ ـ ٢٥٠.

أو غير منتجة مجتمعياً، بل على العكس من ذلك حيث أثبتت الدراسة هذه أنه وظفهُ في إصلاح المجتمع، وعلى الصعيدين السياسي والاجتماعي، وساهم في حل العديد من الإشكالات، والصعوبات التي كانت تعترض سبيل بعض الأشخاص والتي من الصعوبة حلها بالطرق الاعتيادية الطبيعة، وإنما يتطلب بعداً غيبياً وهذا ما وظفه الإمام عليه السلام خير توظيف، ومن عوامل البحث في هذا الموضوع هو بيان البعد الإنساني الكبير الذي كان يتحلّى به الإمام العسكري عن طريق استثماره للبعد الغيبي في تقديم المعونات الإنسانية، والمالية لصالح المجتمع من دون أن يوظفها لشخصه عليه السلام، وهذه من أروع صور الإيثار، والإنسانية، والرقي المجتمعي.

منهج البحث

اعتُمد في دراسة هذا الموضوع منهجين أساسيين، الأول سردي تاريخي من خلال إيراد الروايات التاريخية تحديداً ذات الطابع الغيبي بشقيها السياسي والاجتماعي محور البحث، والثاني المنهج التحليلي، وفيه تم تحليل أغلب الروايات الصادرة عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وتفسير حركتها، والغاية التي كانت من ورائها، ومدى الإفادة من العلم الغيبي في حل الإشكالات السياسية، والاجتماعية على حد سواء.

فرضية البحث

البحث يعالج الجانب الغيبي الإعجازي، ومدى استثماره من قبل الإمام العسكري عليه السلام لصالح المجتمع، والإفادة منه على خلاف فلسفة الآخرين في توظيفه لأمور شخصية لا تخدم المجتمع، بل قد تضره وتسبب مشاكلاً له.

هيكلية البحث

فرضت طبيعة الموضوع، والمادة العلمية المتوافرة إلى تقسيمه على مبحثين سبقا بمقدمة، وختما بخاتمة لاستخلاص أهم النتائج، وبخصوص المبحث الأول الذي كان

عنوانه (**توظيف البعد الغيبي سياسياً في فكر الإمام الحسن العسكري عليه السلام لإصلاح المجتمع**)، فقد تناول أهمية البعد الإعجازي الغيبي، ومدى توظيفه في إصلاح بعض الأمور السياسية من قبل الإمام العسكري عليه السلام، ولا سيما أن عصر الإمام قد امتاز بالتعقيد السياسي، والمضايقات الأمنية فضلاً عن حملات الاعتقالات والمطاردات، على حين خصص المبحث الثاني، والمعنون بـ (**توظيف البعد الغيبي اجتماعياً في فكر الإمام الحسن العسكري عليه السلام لإصلاح المجتمع**)، وتم استعراض أهم المسائل والمشاكل ذات الطابع الاجتماعي التي كانت تواجه المجتمع آنذاك، وكيفية توظيف الجانب الغيبي في تجاوز تلك العقبات، ولا سيما أن هناك مسائل اجتماعية معقدة تتعلق بحفظ كرامة الإنسان قد تدخل بها الإمام عليه السلام عن طريق علمه الإعجازي، وأوجد الحلول الناجحة لها دون المساس بكرامة المحتاج، أو إشعاره بذلك.

التمهيد

أولاً: الغيب لغة واصطلاحاً.

١ - الغيب لغة:

تعرضت المعاجم اللغوية إلى بيان مدلول الغيب واشتقاقاته، فقد ذكر الجوهري أن «الغيب: كل ما غاب عنك، تقول: غاب عنه غيبة وغَيْباً وغِيَاباً وغُيُوباً ومغيباً. وجمع الغائب غيب وغياب وغيب أيضاً، وإنما ثبتت فيه الياء مع التحريك؛ لأنه شبه بصيد وإن كان جمعاً، وصيد مصدر: قولك بعير أصيد؛ لأنه يجوز أن ينوى به المصدر، وغيبته أنا، وغَيَابةِ الجُبِّ: قعره، وكذلك غيابة الوادي، تقول: وقعنا في غيبة وغيابة، أي هبطة من الأرض، وقولهم: غيبه غيابه، أي دفن في قبره، ابن السكّيت: بنو فلان يشهدون أحيانا، ويتغايبون أحيانا، وغابت الشمس، أي غربت»[١].

ولم يختلف ابن منظور كثيراً عما أورده الجوهري من أن: «الغَيْبُ: الشَّكُّ، وجمعه غِيابٌ وغُيُوبٌ... والغَيْبُ: كلُّ ما غاب عنك. يؤمنون بالغَيْبِ، أَي يؤمنون بما غابَ عنهم، مما أَخبرهم به النبيُّ صلى الله عليه وآله، من أَمرِ البَعْثِ والجنةِ والنار، وكلُّ ما غابَ عنهم مما أَنبأَهم به، فهو غَيْبٌ، وقال ابن الأَعرابي: يؤمنون بالله، ويُقال: سمعتُ صوتاً من وراء الغَيْب أَي من موضع لا أَراه، وغابَ عَنِّي الأَمْرُ غَيْباً، وغِياباً، وغَيْبَةً، وغَيْبُوبةً، وغُيُوباً، ومَغاباً، ومَغِيباً، وتَغَيَّب: بَطَنَ. وغَيَّبه هو، وغَيَّبه عنه»[٢].

وفيما ذكر الزبيدي أن: «مَا غَابَ عن العُيُونِ وإِنْ كَانَ مُحَصَّلاً في القُلُوب. ويقال: سَمِعتُ صَوتاً مِنْ ورَاء الغَيْبِ، أَي مِنْ مَوْضِعٍ لا أَراه، وقد تَكرَّر في الحَدِيثِ ذكْرُ الغَيْب، وهو كلُّ ما غَاب عَنِ العُيُون سَوَاءٌ كان مُحصَّلاً في القلوب أَو غَيْرَ مُحصَّل»[٣].

---

(١) الجوهري، الصحاح، ج١، ص١٩٦.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص ٦٥٤.

(٣) الزبيدي، تاج العروس، ج١، مادة (غاب) ص٢٩٥.

على حين تعرض الفيروزآبادي إلى بيان الاشتقاقات اللغوية لمفردة الغيب قائلاً: «الغيب... وغِيَاب، والغيوب، والغيوبة، والمغاب، والمغيب، والتغيب، وغاب الشيء في الشيء يغيب غيابة، بالكسر، وغيوبة وغياباً، وغياباً وغيبة، بكسرهما، وقوم غيب، وغياب، وغيب، محركة: غائبون، والغابة: الوهدة، والجمع من الناس، والرمح الطويل، أو المضطرب في الريح، والأجمة، وع بالحجاز، وغيابة كل شيء: ما سترك منه، ومنه غيابت الجب، وغياب الشجر، وتشدد الياء: عروقه»[١].

٢ - الغيب اصطلاحاً:

اصطلح على تسمية الأمور الغائبة زمانياً، أو مكانياً، أو التي لم تحدث أصلاً ومعرفتها بالغيب، ولهذا عرفه شيشرون بأنه «معرفة ما يخفيه المستقبل»[٢].

ويعرفه أحد الباحثين على أنه: «... هو الأمر الخفي الذي لا يدركه الحس ولا تقتضيه بداهة العقل، ويقع العلم به دون مقدمات، أو أسباب تفضي إليه من غير استدلال منطقي تنتهي إلى معرفته، ودون أن تثبت عنه خبر صادق، أما ما يدرك بالدليل والقياس، والنظرة فإنه مجرد ظن والظن غير العلم، وعلى هذا يكون العلم بالغيب إدراك جزئي أو كلي مغيب عنا، دون التوسل إلى ذلك بصناعة، أو نحوها مما يستند إليه الزجر والتطير وما إليه...»[٣].

وفيما عرّفه باحث آخر بوصفه مصطلحاً قرآنياً، فيقول: «وقد دعانا القرآن إلى الإيمان بالغيب عن طريق الوحي فقط؛ لأن العقل وإن كان مرشداً إلى أمور الغيب إلا أنه ليس كاشفاً عنها، فالذي لا يدرك بالحس يعتمد وجوب الإيمان به عن طريق الوحي مباشرة، وعن طريق العقل بواسطة، فقد أخبرنا الوحي بوجود الله

(١) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج١، مادة (غاب) ص ١١٢.

(٢) شيشرون، علم الغيب في العالم القديم، ص ٣٨.

(٣) الطويل، التنبؤ بالغيب، ص٩.

سبحانه، ووجود الملائكة والجن، والمعاد والحساب يوم القيامة إلا أنه ليس هناك من دليل أعظم من الدليل العقلي في إثبات وجود الصانع، ولا شك أن الإيمان بالغيب يستوجب حتمية البعث والنشر بعد الموت»[١].

ثانياً: الغيب قرآنياً وعقائدياً:

١- الغيب. قرآنياً:

ورد في القرآن الكريم العديد من الأخبار، والوقائع ذات الطابع الغيبي المستقبلي، وهذه إحدى الوجوه التي تشير إلى عظمة هذا الكتاب المقدس وفلسفته الحكيمة، وقد سلط أحد العلماء الضوء على هذا الموضوع، بقوله: «إن في القرآن إخباراً عن شؤون البشر في مستقبل أدواره وأطواره، وإخباراً بملاحم وفتن وأحداث ستقع في مستقبل الزمن، وهذا الإخبار إن دل على شيء فإنما يدل على كون القرآن كتاباً سماوياً أوحاه سبحانه إلى أحد سفرائه الذين ارتضاهم من البشر، لأنه أخبر عن حوادث كان التكهن، والفراسة يقتضيان خلافها، مع أنه صدق في جميع أخباره، ولا يمكن حملها على ما يحدث بالمصادفة، أو على كونها على غرار أخبار الكهنة، والعرافين والمنجمين، فإن دأبهم هو التعبير عن أحداث المستقبل برموز، وكنايات حتى لا يظهر كذبهم عند التخلف، وهذا بخلاف أخبار القرآن فإنه ينطق عن الأحداث بحماس ومنطق قاطع»[٢].

فضلاً عن ذلك فقد تضمنت فلسفة القرآن الكريم العديد من المفاهيم والمضامين والفلسفات سواء أكانت السياسية أم التي تكون ذات طابع ديني عقدي أم الفكرية أو حتى الاجتماعية وغيرها، ومن تلك الفلسفات هي فلسفة الغيب التي عبر عنها القرآن الكريم عبر منظومة، وشبكة واسعة من الآيات القرآنية، والأحداث

(١) الأعرجي، النظرية الاجتماعية في القرآن الكريم، ص٨.

(٢) السبحاني، الإلهيات، ص ٣١٩.

بكل تفاصيلها سواء الجزئية أو التفصيلية عن الرؤية القرآنية لماهية، وحركة، وفلسفة الغيب ومضامينه ومستوياته، والأطر التي يتحرك في ضوئها؛ ولسعة هذا المفهوم وشموليته قرآنياً سنقتصر على بعض الآيات ذات الفلسفة الغيبية، إذ إنّ فلسفة الغيب بشكله العام والمطلق يكون ضمن مختصات الله سبحانه وتعالى ولا يمكن لأحد الاطلاع عليه، ونجد هذا المضمون واضحاً في قوله تعالى: ﴿**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾[٢]، أو قوله تعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ**﴾[٣]، وبهذا يكون الغيب بفلسفته هذه مختصاً بالله سبحانه وتعالى.

وفي ضوء الفلسفة الإلهية التي تتجسد في بعض حالاتها في بعثة الأنبياء للمجتمعات البشرية لهدايتهم وتبليغهم يطلع الله عزّ وجلَّ انبياءه لبعض الأخبار والاحداثيات المستقبلية قبل وقوعها، أو أحياناً يخبرهم ببعض الأمور الغائبة عنهم سواء زمانياً أم مكانياً، ومن تلك الإشارات القرآنية قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ**﴾[٤]، ويفسر الطبرسي ﴿**أَنْبَاءِ الْغَيْبِ**﴾ الوارد في سياق هذه الآية بقوله: «إشارة إلى ما سبق من نبأ زكريا ويحيى ومريم ﴿**مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ**﴾ التي لم تعرفها إلا بالوحي ﴿**نُوحِيهِ إِلَيْكَ**﴾ أي: نلقيه إليك معجزة لك؛ لأن علم ما غاب

---

(١) «مفاتح الغيب» معناه الأمور التي بها يستدل على الغائب فتعلم حقيقته، يقال: فتحت على الرجل، أي عرفته أولاً، ويستدل به على آخر، وجملة يعرف بها التفصيل، ومنه قولهم: افتح عليَّ أي: عرّفني، ينظر، الطوسي، التبيان، ج١، ص١٥٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٥٩.

(٣) سورة يونس، الآية ٢٠.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٤٤.

عن الإنسان لا يمكن حصوله إلا بدراسة الكتب، أو بالتعلم، أو بالوحي، ومعلوم أنك لم تشاهد هذه القصص، ولم تقرأها من كتاب ولا تعلمتها، إذ كان نشوؤك بين قوم لم يكونوا أهل كتاب، فوضح أنك لم تعرف ذلك إلا بالوحي...»[١].

وحتى مجتمعات الأنبياء لم تعلم تلك الأمور والأخبار المستقبلية، أو غائبة عنها بفعل الزمان، والمكان كقوله تعالى: ﴿**تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[٢]، ولم يَدعْ أحدٌ مهما كانت منزلته علمه بالغيب من دون مصدرية، وعلم وتأييد من الله جلَّ جلاله؛ لقوله تعالى: ﴿**قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ**﴾[٣]، ويشير الطوسي في تفسير هذه الآية إلى أنهُ: «**أمر الله تعالى نبيه محمداً** صلى الله عليه وآله أن يقول لعباده: «لا أقول لكم: عندي خزائن الله أغنيكم منها، ولا أعلم الغيب الذي يختص بعلم الله تعالى فأعرفكم مصالح دنياكم، وإنما أعلم قدر ما يعلّمني الله من أمر البعث والجنة والنار، وغير ذلك، ولا أدعي أني ملك؛ لأني إنسان تعرفون نسبي لا أقدر على ما يقدر عليه الملك، وما أتبع إلا ما يوحي الله به إليَّ، وبيّن لهم أن الملك من عند الله، والوحي هو البيان الذي ليس بإيضاح نحو الإشارة والدلالة؛ لأن كلام الملك كان له على هذا الوجه، وإنما أمره بأن يقول ذلك؛ لئلا يدعوا فيه ما ادعت النصارى في المسيح؛ ولئلا ينزلوه منزلة خلاف ما يستحقه»[٤].

أما ما يخص طرق الأخبار، وأساليب وصولها، وأشكاله، والمعلومات المستقبلية أو الغائبة زمانياً إلى من يريد الله سبحانه وتعالى اطلاعه عليها فتعددت

(١) تفسير جوامع الجامع، ج١، ص ٢٨٦.

(٢) سورة هود، الآية ٤٩.

(٣) سورة الأنعام، الآية ٥٠.

(٤) الطوسي، التبيان، ج٤، ص١٤٢.

واختلفت، منها قوله تعالى: «**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**»[١]، فتحدد هذه الآية ثلاث مصادر أساسية لطرق إيصال الأخبار منها الوحي والثانية من وراء حجاب، والثالثة إرسال الرسل، ويشير أحد المفسرين إلى توضيح تلك الطرق، قائلاً: «وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلا وحياً بأن يشاهد ملكاً فيسمع منه، أو يقع في قلبه من غير مشاهدة أحد وأصل الوحي الكلام الخفي الذي يدرك بسرعة، أو من وراء حجاب بأن يسمع صوتاً من غير مشاهدة أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء فيسمع من الرسول...»[٢]، في حين سلّط الطباطبائي الضوء أكثر على مفهوم الوساطة، بقوله: «أن لا واسطة بينه تعالى وبين من يكلّمه من حجاب أو رسول إذا كان تكليم وحي، وإذ لم يكن هناك أي واسطة مفروضة لم يجد الموحى إليه مكلّما لنفسه، ولا توهمه إلا الله ولم يجد الكلام إلا كلامه ولو احتمل أن يكون المتكلّم غيره، أو الكلام كلام غيره لم يكن تكليماً ليس بين الإنسان وبين ربه غيره، وهذا حال النبي، والرسول في أول ما يوحى إليه بالنبوة، والرسالة لم يختلجه شك، ولا اعترضه ريب في أن الذي يوحي إليه هو الله سبحانه من غير أن يحتاج إلى إعمال نظر، أو التماس دليل، أو إقامة حجة، ولو افتقر إلى شيء من ذلك كان اكتساباً بواسطة القوة النظرية لا تلقياً من الغيب من غير توسط واسطة...»[٣].

وقد يستثني سبحانه وتعالى بعض الشخصيات لاطلاعها على أمور غيبية لمصلحة تقتضيها الحكمة الإلهية؛ لقوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ﴾[٤]، ومن المناسب هنا إيراد ما ذكره الراغب بهذا الشأن،

---

(١) سورة الشورى، الآية ٥١.

(٢) الكاشاني، التفسير الصافي، ج٤، ص ٣٨١.

(٣) الطباطبائي، الميزان، ج١٤، ص ١٣٨.

(٤) سورة الجن، الآية ٢٦ - ٢٧.

بقوله: «فيه إشارة أنّ لله تعالى علماً يخصّ به أولياءه، والعَالِمُ في وصف الله هو الَّذي لا يخفى عليه شيء كما قال: ﴿لا تَخْفى مِنْكُمْ خافِيَةٌ﴾[١]، وذلك لا يصحّ إلا في وصفه تعالى والعَلَمُ: الأثر الذي يُعْلَمُ به الشيء كعلم الطَّريق، وعلم الجيش، وسمّي الجبل علماً لذلك، وجمعه أَعْلَامٌ»[٢]، ويضيف الطباطبائي توضيحاً قيماً بهذا الصدد، ويؤكد عدم نفي بعض الغيب لبعض الأولياء والصالحين بإذن الله، وعلمه بقوله: «وجه عدم المنافاة أن الآيات النافية للعلم بالغيب عنه، وعن سائر الأنبياء عليهم السلام إنما تنفيه عن طبيعتهم البشرية بمعنى أن تكون لهم طبيعة بشرية، أو طبيعة هي أعلى من طبيعة البشر من خاصتها العلم بالغيب بحيث يستعمله في جلب كل نفع ودفع، كل شر كما نستعمل ما يحصل لنا من طريق الأسباب، وهذا لا ينافي انكشاف الغيب لهم بتعليم إلهي من طريق الوحي كما أن إتيانهم بالمعجزات، فيما أتوا بها ليس عن قدرة نفسية فيهم يملكونها لأنفسهم، بل بإذن من الله تعالى وأمره»[٣].

٢- الغيب عقائدياً:

وفي ضوء ذلك كله وفيما يخص موضوع دراستنا هذه التي تركز على فلسفة الغيب عند الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وكيفية توظيفها لفائدة المجتمع وإصلاحه، وقبل الدخول في صلب الموضوع لابد من إثبات تاريخي عقائدي لقدرة، وفلسفة أئمة أهل البيت عليهم السلام بوصف الإمام العسكري عليه السلام هو أحد هؤلاء الأئمة عليهم السلام فلا بد من إبراز الأدلة الروائية التي تؤيد المفهوم الغيبي لهم عليهم السلام منها ما أخبر به أمير المؤمنين عليه السلام بعض أصحابه الذين كانوا مجتمعين حوله بعض الأخبار ذات الطابع الغيبي إذ تعجب أصحابه من ذلك ما دفعهم إلى القول بأنه عليه السلام يمتلك علم الغيب، ونص ذلك الآتي: «لقد أُعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب! فضحك عليه السلام، وقال للرجل

(١) سورة الحاقة، الآية ١٨.

(٢) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٥٨١.

(٣) الطباطبائي، الميزان، ج١٨، ص١٩١.

وكان كلبيّاً: «يا أخا كلب ليس هو بعلم غيب، وإنّما هو تعلّم من ذي علم... علّمه الله نبيّه فعلّمنيه، ودعا لي بأن يعيه صدري، وتضطمّ عليه جوانحي»[١].

ويؤكد هذا المفهوم أيضاً الإمام الصادق عليه السلام لأحد أصحابه، قائلاً: «سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن الإمام يعلم الغيب؟ فقال: لا، ولكن إذا أراد أن يعلم الشيء أعلمه الله ذلك»[٢]، وكذلك قوله عليه السلام: «إن الله فرض طاعتنا في كتابه فلا يسمع الناس جهلاً، لنا صفو المال، ولنا الأنفال، ولنا كرائم القرآن، ولا أقول لكم إنّا أصحاب الغيب، ونعلم كتاب الله وكتاب الله يحتمل كل شيء، إنّ الله أعلمنا علماً لا يعلمه أحد غيره، وعلما قد أعلمه ملائكته ورسله، فما علمته ملائكته ورسله فنحن نعلمه»[٣].

ويبدو أن فلسفة معرفة أئمة أهل البيت عليهم السلام بالغيب قد أثارت الشكوك والتساؤلات، والإبهام لدى الكثير من المتكلّمين بدلالة ما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام في جواب عمرو بن هذّاب ـ وهو أحد المتكلّمين وكان يختلف مع الإمام عليه السلام فكرياً وعقائدياً ـ حينما نفى عن الأئمّة عليهم السلام علم الغيب متذرّعاً: بأنّ الغيب لا يعلمه إلّا الله تعالى، قال عليه السلام: «**أوليسَ الله يقول: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾، فرسول الله عند الله مرتضى، ونحن ورثة ذلك الرسول الذي أطلعه الله على ما شاء من غيبه، فعلمنا ما كان وما يكون إلى يوم القيامة**»[٤].

وخلاصة القول الذي ثبت لنا من خلال بعض خلال ما تم عرضه آنفاً وجود استثناءات محدودة لبعض الأولياء، والصالحين (وهو ما يصطلح عليه

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٨، ص ٢١٥.

(٢) الكليني، الكافي، ج١، ص ٢٥٧.

(٣) العياشي، تفسير، ج١، ص١٦ح٧.

(٤) الطوسي، ابن حمزة، الثاقب في المناقب، ص ١٨٩.

الغيب النسبي) لمعرفة بعض الأمور ذات الطابع الغيبي، ومن بين هؤلاء أئمة أهل البيت عليهم السلام وتشخيصاً موضوع دراستنا هذه الإمام الحسن العسكري عليه السلام فكان لهم طريق خاص في معرفة بعض حوادث المستقبل، والاطلاع عليها، ومدى توظيفها لفائدة المجتمع سياساً، أو فكرياً، وكذلك اجتماعيّاً.

المبحث الأول: توظيف البعد الغيبي في إصلاح المجتمع سياسياً وأمنياً.

لم يكن هدف الأئمة عليهم السلام بصورة عامة، والإمام الحسن العسكري عليه السلام بصورة خاصة من الجانب الغيبي خرق النواميس الطبيعية، أو استثماره بأمور لا تعود على المجتمع الإسلامي بالفائدة، بل على العكس من ذلك تماماً، إذ نجد التوظيف الغيبي في فكر الإمام العسكري عليه السلام قد استثمر في خدمة المجتمع وإصلاح بعض مفاصله ومعالجتها، ولا سيما في المجال السياسي والأمني، علاوة على ذلك أن الوضع السياسي في عصر الإمام العسكري عليه السلام كان يتصف بالتعقيد والمراقبة الشديدة من قبل السلطة العباسية الحاكمة آنذاك التي أخذت بالتشديد والمضايقة تارة والتنكيل والاعتقال والتصفية تارة أخرى ضد حركة ونشاط القواعد الموالية لأئمة أهل البيت عليهم السلام، وهنا يحلل أحد الباحثين سبب كثرة التنبؤات الغيبية للإمام العسكري عليه السلام من دون بقية الأئمة عليهم السلام، إذ يرجعها إلى عاملين أساسيين هما الظروف العصيبة والأجواء المفعمة بالاضطهاد التي عاشها الإمامان الهادي والعسكري عليهما السلام؛ لأنه عندما انتقل الإمام الهادي عليه السلام كرهاً إلى سامراء كان يخضع للمراقبة الشديدة، ولهذا لم تتوفر فرصة تعريف وتقديم ابنه الحسن عليه السلام بوصفه إماماً تالياً لأبيه عليه السلام لشيعته، وكان هذا الأمر يعرض حياته للخطر من قبل الحاكم العباسي، ولهذا تم تعريف الإمام العسكري عليه السلام للشيعة في أواخر حياة أبيه الإمام الهادي عليه السلام لدرجة أنه عندما رحل الإمام الهادي لم يكن كثير من الشيعة قد علم بإمامة الحسن العسكري عليه السلام، والسبب الآخر هو اعتقاد جماعة من الشيعة بإمامة محمد بن علي وهو أخو الإمام العسكري عليه السلام، اجتمعت هذه الأسباب وبعثت على إثارة الشك بين جماعة من الشيعة حول إمامته في البداية، وأن بعضهم حاول أن يختبر الإمام، وكاتب بعضهم الإمام وراسله حول ذلك، ولأجل ذلك اضطر الإمام إلى رفع الستار والحجب عما وراء هذا العالم الظاهري تأثيراً في استقطاب المعاندين، والمخالفين، وتقوية إيمان الشيعة[1].

(١) البيشوائي، سيرة الأئمة، ص ٥٧٢ ـ ٥٧٣.

يتضح لنا من خلال تلك الأسباب، أو التحليلات آنفة الذكر التي أوردها الباحث أن بعضها لم تكن صائبة إلى حد ما، أو اننا لا نتفق معها، ولا سيما تلك التي تشير إلى أن سبب كثرة الغيبيات للإمام العسكري عليه السلام كان بسبب ضعف الاعتقاد بإمامته وذلك لسببن أساسيين، هما:

١ـ أن أغلب الغيبيات التي وردت في سيرة الإمام العسكري عليه السلام كانت لشخصيات مقربة، ومن خواصه، وهي بلا شك معتقدة بإمامته، وكانت طبيعتها عبارة عن تقديم الدعم المالي لها لحاجتها الماسة لتلك الأموال.

٢ـ هناك بعض الحالات التي حصل فيها البعد الغيبي أمام بعض الشخصيات طلب الإمام منها أن تكتم ذلك بعد أن حل مشكلتها سواء أكانت سياسية أم اجتماعية أم تربوية تهذيبية.

ولكن بالإمكان قبول العوامل الأخرى التي أوردها الباحث فضلاً عن طرح احتمالاً آخراً إليها ألا وهو أن الإمام العسكري عليه السلام في طور إعداد قواعد جماهيرية واسعة مقبلة على انعطافة كبيرة في تاريخ الشيعة الإمامية، وهي غيبة الإمام الحجة المهدي عجل الله فرجه الشريف؛ إذ لابد من تهيئة الأرضية لتلك القواعد لتقبل البعد الغيبي الإعجازي بشكل واسع، ولا سيما أن غيبة الإمام المهدي عليه السلام، هي في حد ذاتها غيب وإعجاز؛ لذا أراد الإمام العسكري عليه السلام أن يشيع ثقافة الغيب لدى الشيعة بصورة عامة.

وهناك رأي لأحد العلماء جدير بالذكر يشير إلى: «أن السبب في عدم اشتهار الرواية عن الإمام الحسن العسكري هو قصر مدته عليه السلام، وأنه قد قضى عمره الشريف تحت الحراسة الشديدة، وبعيداً عن الناس»[1]، ويمكن ربط هذا الرأي مع توجه أغلب المؤرخين الذين أرخوا للإمام بتركيزهم على الأحداث ذات الطابع الغيبي الإعجازي.

(١) الميلاني، دراسات في منهاج السنة، ص٣٨٠.

ومن خلال استقصاء بعض المصادر التي تعرضت لشخص الإمام العسكري عليه السلام نجد العديد من الروايات، والأحداث التي وظف بها الإمام العسكري الجانب الغيبي في معالجة بعض المسائل السياسية، ودرء خطرها على بعض مواليه، ومحبيه من خلال تنبيههم، وتحذيرهم من الأخطار الأمنية، والمؤامرات السياسية التي تحاك ضدهم من قبل السلطة الحاكمة آنذاك، أو إخبارهم ببعض المقدمات وبعض التخبطات السياسية قبل وقوعها لكي يوظفوها في إصلاح أوضاعهم، وليستثمروها لصالحهم ولأغراض مختلفة جلها تصب في خدمة المجتمع، ومن ذلك ما أخبر به عليه السلام أبا القاسم إسحاق بن جعفر الزبيري قبل موت الحاكم العباسي المعتز بالله بنحو عشرين يوماً، بقوله: «**الزم بيتك حتى يحدث الحادث، فلما قتل بريحة كتب إليه قد حدث الحادث فما تأمرني؟ فكتب: ليس هذا الحادث هو الحادث الآخر، فكان من أمر المعتز ما كان**»[١].

وكذلك معرفته عليه السلام المستقبلية بموت الحاكم العباسي المستعين بالله حيث ورد نصٌ يشير فيه إلى ذلك، ونصه: «**إني نازلت الله في هذا الطاغي ـ يعني المستعين ـ وهو آخذه بعد ثلاث، فلما كان اليوم الثالث خلع، وكان من أمره ما كان إلى أن قتل**»[٢].

والأمر تكرر أيضاً في المعرفة المسبقة في تحديد اليوم الذي سيقتل به الحاكم العباسي المهتدي بالله، وهذا ما أشار إليه أحد خواص الإمام عليه السلام أبو هاشم الجعفري[٣]، إذ قال: «**كنت محبوساً مع الحسن العسكري في حبس المهتدي بن الواثق**

---

(١) الكليني، الكافي، ج١، ص٥٠٦.

(٢) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص ٥٣٠.

(٣) داود بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أبو هاشم الجعفري رحمه الله من أهل بغداد، جليل القدر عظيم المنزلة عند الأئمة، قد شاهد الجواد والهادي والعسكري عليهم السلام وروى عنهم عدة مرويات في مختلف الموضوعات، ينظر، الكليني، الكافي، ج١، ص٢٣، ٩٨، ٩٩، ٣٢٧؛ الصدوق، كمال الدين، ص ٦٤٨؛ البروجردي، طرائف المقال، ج١، ص٣٠٥.

فقال لي في هذه الليلة يبتر الله عمره، فلما أصبحنا شغب الأتراك، وقتل المهتدي، وولي المعتمد مكانه»[١].

وقد فسر أحد المختصين والباحثين في هذا المجال فلسفة الروايات آنفة الذكر التي أشارت إلى إخبارات الإمام عليه السلام الغيبية بتحديد أوقات وتواريخ دقيقة لموت بعض الحكام العباسيين، قائلاً: «لرفع معنويات أصحابه، وأن يعلموا أن إمامهم وقائدهم المهدد سيبقى على قيد الحياة، وأن الذي هدده هو الذي سيبوء بالفناء والدمار، مضافاً إلى أنها ستكون دليلاً جديداً على إيمانهم، وصدق مقاعدهم عند تحقيق النبوءة، فتزيدهم قوة في العمل، وتحملاً للتضحية في سبيل الحق...»[٢].

وهناك رواية أخرى بنفس المضمون للرواية آنفة الذكر، ونصها أن: «**أحمد بن محمد قال: كتبت إلى أبي محمد عليه السلام حين أخذ المهتدي في قتل الموالي: يا سيدي الحمد لله الذي شغله عنا، فقد بلغني أنه يتهددك، ويقول: والله لأجلينهم عن جديد الأرض، فوقع أبو محمد عليه السلام بخطه: ذلك أقصر لعمره، عُدْ من يومك هذا خمسة أيام، ويقتل في اليوم السادس بعد هوان، واستخفاف يمر به، فكان كما قال عليه السلام**»[٣].

ونتيجة حملات الاعتقالات العشوائية التي كانت تطال القواعد الجماهيرية الشيعية ولأسباب مختلفة كان الكثير منهم تفتقد أخباره عن أهله ومحبيه، وهنا يأتي التوظيف الغيبي من لدن الإمام عليه السلام لتحديد وضع البعض منهم بل الأبعد من ذلك في تحديد وقت وتاريخ خروج بعضهم من الحبس، وهذا ما ينعكس إيجاباً على أهل المحبوس، ويجعلهم أكثر اطمئناناً على ولدهم ومعرفة مصيره، ومن تلك الحالات

---

(١) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص ٥٣٠.

(٢) الصدر، تاريخ الغيبة الصغرى، ج١، ص ١٧٨.

(٣) الكليني، الكافي، ج١، ص ٥١٠؛ المفيد، الإرشاد، ج٢، ص ٣٣٣؛ الإربلي، كشف الغمة، ج٣، ص ٢٠٩.

أشار أحد خواص الإمام عندما حبس أخوه، فقال: «**كان أخي محبوساً فكتبت إلى سيدي أبي محمد عليه السلام أسأله عن أشياء أجابني عنها، وكتب: إن أخاك يخرج من الحبس يوم يصلك كتابي هذا، وقد كنت أردت أن تسألني عن أمره فأنسيت، فبينا أنا أقرأ كتابه إذا أناس جاؤني يبشرونني بتخلية أخي فتلقيته، وقرأت عليه الكتاب**»(١).

ولشدة عواقب الحبس، وآثاره النفسية شكا أبو هاشم الجعفري إلى الإمام العسكري عليه السلام ضيق الحبس، وشدة القيد، فكتب إليَّ: «تصلي الظهر في منزلك فأخرجت وقت الظهر، وصليت في منزلي، وكنت مضيقا، فأردت أن أطلب منه معونة في الكتاب الذي كتبته إليه فاستحييت فلما صرت إلى المنزل وجه إليَّ مائة دينار، وكتب إليَّ إذا كانت لك حاجة، فلا تستحي، واطلبها تأتيك على ما تحب أن تأتيك»(٢).

ولم يقف التوظيف الغيبي عند هذا الحد، بل ذهب إلى ما هو أوسع من ذلك فعندما وقعت السلطة الحاكمة في مأزق حقيقي يهز كيان وبنية المجتمع، والدولة معاً على حد سواء هنا تلجأ إلى باب علم الله، وهو الإمام المعصوم عليه السلام، ونجد ذلك واضحاً في ما حدث من قحط شديد في مدينة سامراء في مدة حكم المعتمد العباسي، وما نتج عنهُ من انعكاسات خطيرة في الجانب الاقتصادي والديني معاً، تحدياً واضحاً للسلطة العباسية الحاكمة آنذاك مما دفعها للالتجاء إلى الإمام العسكري عليه السلام لحل تلك المشكلة، إذ إنّ تلك المشكلة تتطلّب تدخلاً غيبيّاً إلهيّاً، ومن المؤكد أن السلطة الحاكمة تعرف جيداً المكانية الإلهية للإمام عليه السلام وهو المعني الحقيقي في هذا المجال وحل تلك الإشكالية، ولتسليط الضوء أكثر عن هذه الحادثة ننقل الرواية بنصها: «**قحط الناس بسر من رأى، فأمر المعتمد بن المتوكل الحاجب، وأهل المملكة أن يخرجوا إلى الاستسقاء فخرجوا ثلاثة أيام متوالية إلى المصلى يستسقون، ويدعون فما**

---

(١) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٥٢٧.

(٢) الراوندي، الخرائج والجرائح، ج١، ص٤٣٥.

سقوا. فخرج الجاثليق في اليوم الرابع إلى الصحراء، ومعه النصارى والرهبان، وكان فيهم راهب، فلما مَدَّ يده هطلت السماء بالمطر وخرج في اليوم الثاني، فهطلت السماء بالمطر، فشك أكثر الناس، وتعجبوا وصبوا إلى النصرانية، فبعث الخليفة إلى الحسن ـ وكان محبوساً ـ فاستخرجه من حبسه، وقال: إلحق أمة جدك فقد هلكت، فقال له: إني خارج في الغد، ومزيل الشك إن شاء الله، فخرج الجاثليق في اليوم الثالث، والرهبان معه، وخرج الحسن عليه السلام في نفر من أصحابه فلما بصر بالراهب ـ وقد مَدّ يده ـ أمر بعض مماليكه أن يقبض على يده اليمنى، ويأخذ ما بين إصبعيه، ففعل وأخذ من بين سبابته والوسطى عظماً أسود، فأخذ الحسن عليه السلام بيده، ثم قال له: استسق الآن. فاستسقى، وكانت السماء متغيمة، فتقشعت، وطلعت الشمس بيضاء، فقال الخليفة: ما هذا العظم يا أبا محمد؟ فقال عليه السلام: هذا رجل مَرَّ بقبر نبي من أنبياء الله، فوقع في يده هذا العظم، وما كشف عن عظم نبي إلا هطلت السماء بالمطر، واستحسنوا ذلك فامتحنوه، فوجدوه كما قال فرجع أبو محمّد الحسن إلى داره بسرّ من رأى وقد أزال عن الناس هذه الشبهة، وقد سرّ الخليفة والمسلمون ذلك، وكلّم أبو محمّد الحسن الخليفة في إخراج أصحابه الذين كانوا معه في السجن، فأخرجهم وأطلقهم له، وأقام أبو محمّد الحسن بسرّ من رأى بمنزله بها معظّماً مكرّماً مبجّلاً، وصارت صِلات الخليفة، وأنعامه تصل إليه في منزله إلى أن قضي تغمّده الله برحمته»[1].

وعند التمعن بقراءة الرواية يمكن أن يتبادر إلى الذهن إشكالاً عقائديّاً ألا وهو لماذا قدم الإمام الحسن العسكري عليه السلام العون، والمساعدة للحاكم العباسي، بمعنى أدق لماذا أبدى تعاوناً مع السلطة العباسية الحاكمة بحسب ظاهر الرواية أعلاه؟

للإجابة على هذا الإشكال هناك عدة نقاط لابد من إيرادها:

---

(١) الطوسي، ابن حمزة، الثاقب في المناقب، ص ٥٧٦؛ الراوندي، الخرائج والجرائح، ج١، ص٤٤٢؛ المالكي، ابن الصباغ، الفصول المهمة، ج٢، ص١٠٨٧.

١ـ أن أصل المساعدة التي قدمها الإمام عليه السلام لم تخص السلطة الحاكمة، وإنما تخص المجتمع الإسلامي آنذاك ولا سيما أنّ ما قام به الجاثليق كان أمام أنظار الرأي العام، ومن المؤكد أن يكون قد أثر فيهم نتيجة ما شاهدوه من واقعية نزول الأمطار.

٢ـ الخوف على عقيدة المسلمين من التأثر بما قام به الجاثليق، وهو يدين بالمسيحية، بقرينة نص الرواية (وقد أزال عن الناس هذه الشبهة...).

وفي ضوء ما تقدم نستشف من الرواية المتقدمة أن هذه الحادثة قد أفرزت نتائج إيجابية منها إطلاق سراح بعض الشيعة المحتجزين لدى السلطة الحاكمة، وازدياد شعبية الإمام عليه السلام.

وقد يطرح إشكال آخر وهو كيف حصل الجاثليق على عظم النبي عليه السلام والمرتكز عقائديّاً أن أجساد الأنبياء لا تفنى أو تتفسخ فكيف حصل هذا الجاثليق على العظم؟ للإجابة على هذا الإشكال نشير إلى تحليل أحد العلماء، بقوله: «إنه ليس بالضرورة أن يكون العظم الذي أخذه ذلك الراهب من الأجزاء المتصلة بالجسد، فقد يكون عظماً من قبيل الضرس، أو السن، أو الظفر المدفون مع الجسد، إذ يستحب دفن هذه الأجزاء التي تؤخذ من الجسد حال الحياة، وربما يشير إلى ذلك ما أظهرته الرواية المشار إليها من صغر حجم ذلك العظم حتى أن الراهب قد وضعه بين إصبعيه: السبابة والوسطى، وإذا كان الأمر كذلك، فإن الحصول على هذا العظم لا يتناقض مع النصوص القائلة: إن أجساد الأنبياء لا تفنى، فلعل الجسد باقٍ، وقد بقي معه ما دفن من أجزاء منفصلة عنه كالظفر، والسن، وما إلى ذلك، بل إن الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة قد دلت على أن المجرمين، والطغاة كانوا يقتلون النبيين بغير حق، وكانوا يقطعون أجسادهم بالمناشير، فلعل هذا الجزء من ذلك الجسد الطاهر قد قطع ثم دفن، وهو لم يفن بعد...»[1].

(١) العاملي، الصحيح من سيرة النبي صلى الله عليه وآله، ج٣٣، ص٢٠٣.

ويعمل الإمام عليه السلام جاهداً بتوظيف كل الطرق، والأساليب، ومنها الغيبية للحفاظ على أنصاره بوجه الخصوص والمجتمع بوجه العموم من قمع السلطة الحاكمة آنذاك بدلالة ما رواه أحد رجالات السلطة العسكرية العباسية، بقوله: «**اجتمعنا بالعسكر، وترصدنا لأبي محمد عليه السلام يوم ركوبه، فخرج توقيعه: «ألا لا يسلمنَّ عليَّ أحد، ولا يشير إليَّ بيده، ولا يومئ أحدكم، فإنكم لا تأمنون على أنفسكم**»[1].

ومن ضمن إجراءات السلطة الحاكمة العباسية المراقبة الدقيقة التي اتبعتها ضد الإمام العسكري ومواليه استعمال المنهج الاستخباري في التجسس، والحصول على المعلومات بشتى الطرق والوسائل، ولكنْ بفضل التوظيف الغيبي الذي استخدمه الإمام عليه السلام تمكن من كشف هؤلاء الجواسيس، وإبلاغ مواليه بضرورة الحذر من هؤلاء، وتجنبهم، وعدم إفشاء الأسرار، والأخبار أمامهم، ونص ذلك ما ذكره أبو هاشم داود بن القاسم، قال: «كنت في الحبس المعروف بحبس حسيس في الجوسق الأحمر أنا والحسن بن محمد العقيقي، ومحمد بن إبراهيم العمري، وفلان وفلان، إذ دخل علينا أبو محمد الحسن عليه السلام، وأخوه جعفر فحففنا به، وكان المتولي لحبسه صالح بن وصيف، وكان معنا في الحبس رجل جمحي، يقول: إنه علوي، قال: فالتفت أبو محمد عليه السلام، فقال: لولا أن فيكم من ليس منكم لأعلمتكم متى يفرج عنكم، وأومئ إلى الجمحي أن يخرج فخرج، فقال أبو محمد عليه السلام: «هذا الرجل ليس منكم فاحذروه، فإن في ثيابه قصة قد كتبها إلى السلطان يخبره بما تقولون فيه»، فقام بعضهم ففتش ثيابه، فوجد فيها القصة يذكرنا فيها بكل عظيمة»[2].

وثمّة تحليل قيم لأحد الباحثين لهذه الرواية، بقوله: (ولعلك تلاحظ مقدار صرامة الدولة في ملاحقة أصحاب الإمام عليه السلام حتى في أثناء اعتقالهم حيث وضعت

(١) الراوندي، الخرائج والجرائح، ج١، ص٤٣٩.

(٢) الطبرسي، إعلام الورى، ج٢، ص١٤٠؛ ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٥٣٦؛ الإربلي، كشف الغمة، ج٣، ص٢٢٩.

عليهم عيناً يرفع عنهم التقارير إلى الدولة من دون أن يعلموا بهويته، وكان بارعاً في أداء عمله بادعاء كونه علوياً، لئلا يكون لهم حرج في التكلّم أمامه، ومن هنا نرى أن يكشفهُ أولاً لأصحابه أمام هذا الرجل نفسه، ثم يحذرهم منه، ثم يخبرهم بالتقرير الذي يحمله، أما تفتيش ثياب الرجل، فهو خطوة ثورية لم تكن بأمر الإمام لمنافاتها لمنهج السلبية... وإنما كان ارتجالاً من أحد أصحابه حيث حمله الغضب من هذا الرجل على ذلك، ولم يردعه الإمام لأجل الإظهار العملي لصدق قوله عند استخراج التقرير منه، وسيكون هذا درساً علميّاً لهذه الجماعة الصالحة لم يكونوا يعرفوه قبل ذلك، وهو إمكان ملاحقة الدولة لهم بالرقابة السرية حتى في السجن، ومن هنا يكون لزاماً عليهم تطبيق سياسة السلبية حتى في مثل هذا الموطن)[1].

وفي نهاية هذا المبحث لابد من استخلاص بعض النتائج المفيدة من خلال الإشارات الروائية التي استعرضناها من قبلُ، والتي تخص البعد الغيبي السياسي:

١ـ أن الإمام العسكري عليه السلام كان يقيّم جيداً الوضع السياسي العصيب، والمعقد وكان يتدخل في الوقت المناسب لإنقاذ أصحابه، ومواليه قدر تعلّق الأمر بنجاتهم.

٢ـ أن الإمام عليه السلام كان حذراً في التعامل مع السلطة الحاكمة آنذاك، وكان باستمرار يطلب من أصحابه، وأنصاره الحذر، واليقظة، وهذا ما لمسناه من اكتشافه لأحد الجواسيس التابعين للسلطة الحاكمة وإبلاغه أصحابه عنه مما يدل على المراقبة الأمنية الشديدة التي كان يطوق بها الإمام، وأنصاره، وقواعده الجماهيرية.

(١) الصدر، تاريخ الغيبة الصغرى، ج١، ص٢٠٧.

المبحث الثاني: توظيف البعد الغيبي في إصلاح المجتمع اجتماعياً وتربوياً

أعطى أئمة أهل البيت عليهم السلام الجانب الاجتماعي مساحة واسعة في فكرهم؛ لما له من أهمية في بناء المجتمع الإسلامي بصورة أعم، والأسرة بصورة أخص ففضلاً عن انعكاساته على بقية مفاصل الحياة، وحركة الإنسان، وشكل المفصل الأهم في إصلاح حركة المجتمع، ومنه تنطلق الحركة الاصلاحية للمجتمع، وتصحح المسارات والسلوكيات الخاطئة، وفي ضوء ذلك كله وظف أئمة أهل البيت كل الإمكانيات والسبل لاستثمارها في إصلاح الوضع الاجتماعي، وتصحيح مساره وبكل صوره وأشكاله، ومنها الجانب الغيبي ولا سيما في عصر الإمام الحسن العسكري عليه السلام، إذ نجد العديد من الإشارات الروائية ذات الطابع الغيبي التي فيها يعالج عليه السلام بعض القضايا الاجتماعية ويعمل على إيجاد الحلول الناجحة التي تسهم في إصلاح حركة المجتمع، وهذا يدل على واقعية الأئمة عليهم السلام وصلتهم القوية في المجتمع وملامستهم لقضايا عصرهم، ومتابعتهم لها في إيجاد الحلول لها، ومن أبرز تلك الإشارات الروائية: «**أن رجلا من موالي أبي محمد العسكري عليه السلام دخل يوماً عليه، وكان حكاك الفصوص، فقال: يا ابن رسول الله إن الخليفة دفع إلى فيروزجاً كأكبر ما يكون، وأحسن ما يكون، وقال: انقش عليه كذا وكذا، فلما وضعت عليه الحديد صار نصفين، وفيه هلاكي، فادع الله لي فقال: لا خوف عليك إن شاء الله فخرجت إلى بيتي، فلما كان الغد دعاني الخليفة، وقال لي: إن لي حظيتين اختصمتا في ذلك الفص، ولم ترضيا إلا بأن يجعل نصفين بينهما، فاجعله اثنين فانصرفت، وأخذت ذلك وقد صار قطعتين فأخذتهما ورجعت بهما إلى دار الخلافة فرضيتا بذلك، وأحسن الخليفة إليَّ بسبب ذلك، فحمدت الله تعالى**»[1].

ومن الملاحظ أن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قد وظف العلم الغيبي بشكل

(١) الراوندي، الخرائج والجرائح، ج٢، ص٧٤٠.

كبير في إعطاء المعونات، والمساعدات المالية التي تحسن الوضع الاقتصادي لبعض الأشخاص التي هم في حاجة ماسة لها، وكان عليه السلام يقدم تلك المعونات قبل أن يبتدر السائل إلى السؤال من الإمام عليه السلام، ولعل فلسفة الإمام من وراء هذا هو حفظ كرامة الإنسان وعدم إراقة ماء وجهه.

منها ما أشار إليه محمد بن علي بن إبراهيم بن موسى بن جعفر، قال: ضاق بنا الأمر فقال لي أبي: امض بنا حتى نصير إلى هذا الرجل ـ يعني أبا محمد ـ فإنه قد وصف عنه سماحة، فقلت: تعرفه؟ فقال: ما أعرفه ولا رأيته قط، قال: فقصدناه، فقال لي: أبي وهو في طريقه: ما أحوجنا إلى أن يأمر لنا بخمسمائة درهم مائتا درهم للكسوة ومائتا درهم للدين ومائة للنفقة، فقلت في نفسي: ليته أمر لي بثلاثمائة درهم مائة أشتري بها حماراً، ومائة للنفقة، ومائة للكسوة، وأخرج إلى الجبل، قال: فلما وافينا الباب خرج إلينا غلامه فقال: يدخل علي بن إبراهيم، ومحمد ابنه، فلما دخلنا عليه وسلمنا، قال لأبي: «يا علي ما خلّفك عنا إلى هذا الوقت؟ فقال: يا سيدي استحييت أن ألقاك على هذه الحال، فلما خرجنا من عنده جاءنا غلامه فناول أبي صرة، فقال: هذه خمسمائة درهم مائتان للكسوة ومائتان للدين ومائة للنفقة وأعطاني صرة، فقال: هذه ثلاثمائة درهم اجعل مائة في ثمن حمار ومائة للكسوة، ومائة للنفقة ولا تخرج إلى الجبل وصر إلى سوراء[1]، فصار إلى سوراء وتزوج بامرأة، فدخله اليوم ألف دينار ومع هذا يقول بالوقف، فقال محمد بن إبراهيم: فقلت له: ويحك أتريد أمراً أبين من هذا؟ قال فقال: هذا أمر قد جرينا عليه».[2]

ومن الجدير بالذكر أن هذه الرواية تشير إلى أمر هام جداً ألا وهو أن الإمام

---

(١) سوراء: بضم أوله، وسكون ثانيه ثم راء، وألف ممدودة: موضع يقال هو إلى جنب بغداد، وقيل: هو بغداد نفسها، ويروى بالقصر، قيل: سميت بـ(سوراء) بنت أردوان بن باطي الذي قتله كسرى أردشير ...، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٢٧٨ .

(٢) الكليني، الكافي، ج١، ص ٥٠٦.

الحسن العسكري عليه السلام ينظر إلى الإنسان بمنظار شمولي إنساني في تقديم المساعدة وتلبية احتياجاته الحياتية، بغض النظر عن عقيدة وانتماء الشخص، إذ يلاحظ من خلال الرواية المتقدم ذكرها أن الإمام عليه السلام قدم المساعدة للشخص على الرغم من أنهُ يحمل عقيدة مخالفة لمنهج الإمام عليه السلام، ولكنه عليه السلام يرى أن تلبية حاجة الإنسان من الضروريات الملحة والتي يجب عدم استغلالها لإهانة كرامة الإنسان، أو لدوافع أخرى مختلفة.

وللضرورة نفسها نقل لنا أبو هاشم الجعفري، قائلاً: «شكوت إلى أبي محمد عليه السلام الحاجة فحك بسوطه الأرض، فأخرج منها سبيكة فيها نحو الخمسمائة دينار، فقال: خذها يا أبا هاشم، واعذرنا»(١).

وقد تكررت مثل هذه الحالات كثيراً في عصر الإمام عليه السلام، إذ نقل لنا أبو عمرو عثمان بن سعيد، وأحمد بن إسحاق الأشعري، وعلي بن جعفر الهمداني أنّهم دخلوا على أبي الحسن العسكري عليه السلام فشكى إليه أحمد بن إسحاق ديناً عليه فقال: «يا أبا عمرو ـ وكان وكليه ـ ادفع إليه ثلاثين ألف دينار وإلى علي بن جعفر ثلاثين ألف دينار وخذ أنت ثلاثين ألف دينار»(٢).

وبهذا الصدد يوظف الإمام العسكري عليه السلام العلم الغيبي لتلبية حاجة أبي هاشم الجعفري المالية وسد نفقاته المادية، ولكن بصورة إعجازية، إذ يقول: «**ركب أبو محمد عليه السلام يوماً إلى الصحراء فركبت معه، فبينا نسير وهو قدامي وأنا خلفه، إذ عرض لي فكر في دين كان عليَّ، فجعلت أفكر في أي وجه يكون قضاؤه، فالتفت إليَّ، وقال: الله يقضيه، ثم انحنى على قربوس سرجه فخطّ بسوطه خطة في الأرض، وقال: يا أبا هاشم انزل فخذ واكتم، فنزلت وإذا سبيكة ذهب، قال: فوضعتها في خفي وسرنا، فعرض لي**

(١) المفيد، الإرشاد، ج٢، ص ٣٢٩؛ ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٥٣١.

(٢) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٥١٢.

الفكر، فقلت: إن كان فيها تمام الدين، وإلا فإني أرضي صاحبه بها، ويجب أن ننظر الآن في وجه نفقة الشتاء، وما نحتاج إليه من كسوة وغيرها، فالتفت إليَّ ثم انحنى ثانية وخَطّ بسوطه خطة مثل الأولى، ثم قال: انزل فخذ واكتم، فنزلت فإذا سبيكة مثل الأول إلا أنها فضة، فجعلتها في خفي الآخر وسرنا يسيراً، ثم انصرف إلى منزله وانصرفتُ إلى منزلي، فجلست وحسبت ذلك الدين وعرفت مبلغه، ثم وزنت سبيكة الذهب فخرجت بقسط ذلك الدين، ما زادت ولا نقصت»[1].

ويحلل أحد الباحثين المبالغ الكبيرة التي كان يعطيها الإمام العسكري عليه السلام إلى بعض أصحابه، بقوله: «**إن ضخامة تلك الأموال كانت تنفق على مشاريع اجتماعية، أو عدة مشاريع وإنْ لم تصرح الرواية بالوجوه التي كان ينفق فيها هذه الأموال حفاظاً على منهج الكتمان...**»[2]، ونتفق مع هذا الرأي بدلالة أن أغلب تلك العطايا المالية الضخمة التي كان يمنحها الإمام العسكري عليه السلام كانت تسلم لشخصيات كبيرة بارزة، ومقربة من الإمام عليه السلام، بمعنى آخر هم من خواصه عليه السلام ممن كانوا موضع ثقته، ووكلائه وبهذا الطريقة بالإمكان توزيعها على بقية القواعد، والجماهير من خلال هؤلاء الوكلاء أو المقربين، ولعل هذا ضمن الأسلوب الأمني السري الذي اتبعه الإمام عليه السلام للحفاظ على أرواح قواعده ومواليه من قمع وملاحقة السلطة الحاكمة العباسية آنذاك.

في ما هناك رأي لطيف آخر لأحد الباحثين، وهو يفسر موقف الإمام عليه السلام المتمثل بدعم الشيعة مادياً بتوظيف الأسلوب الغيبي، ولا سيما لأصحابه المقربين بقوله: «إن هذه المواقف التي اتخذها الإمام تجاه أصحابه كانت تمنع من أن ينجذبوا

---

(١) ابن حمزة الطوسي، الثاقب في المناقب، ص٢١٧؛ الراوندي، الخرائج والجرائح، ج١، ص٤٢١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص ٢٦٠.

(٢) الصدر، تاريخ الغيبة الصغرى، ج١، ص ٢٠٩.

تحت الضغوط المالية إلى الحكم العباسي...»[١].

وكذلك عالج الإمام عليه السلام إحدى معوقات الحج غيبياً حينما تخوف مجموعة من الحجيج الذهاب والسفر لأداء مناسك الحج؛ لعدم توفر المياه والخوف من العطش، ولا سيما أن السفر في تلك الأزمان صعب، إذ لم تتوفر السبل الكافية للسفر والترحال آنذاك فكان تخوفهم في محله، ولكن الإمام الحسن العسكري عليه السلام حل تلك الإشكالية، ورفع ذلك التخوف، وزاد من معنوياتهم مما دفعهم إلى السفر، والارتحال لحج بيت الله الحرام بفضل التوظيف الغيبي للإمام، ومعرفته عليه السلام بعدم إصابتهم بالعطش فقال: «**امضوا فلا خوف عليكم إن شاء الله، فمضوا ولم يجدوا عطشاً**»[٢].

على حين وظف الإمام عليه السلام الجانب الغيبي من خلال إصلاح بعض السلوكيات الخاطئة، وحث الإنسان على التربية السليمة ومنها عدم الكذب في كل الأمور الصغيرة أو الكبيرة، وأعطى لنا درساً تربوياً في هذا الإطار فضلاً عن ذلك فقد نبه الإمام عليه السلام إلى مسألة اجتماعية خطيرة ألا وهي البخل الشديد، ويستشف ذلك من خلال ما أورده: **إسماعيل بن محمد العباسي، قال: «شكوت إلى أبي محمد الحاجة وحلفت أنه لي عندي درهم فما فوقه، فقال: أتحلف بالله كاذباً، وقد دفنت مائتي دينار وليس قولي لك هذا دفعاً عن العطية أعطه يا غلام ما معك، فأعطاني مائة دينار ثم أقبل عليَّ، فقال: إنك تحرم الدنانير التي دفنتها في أحوج ما تكون إليها؛ وذلك أنّني اضطررت وقتاً ففتشت عنها فلم أجدها، فنظرت فإذا ابن عم لي قد عرف موضعها فأخذها وهرب»**.

ولم يقف التوظيف الغيبي عند هذا الحد فحسب، بل شمل خدمة المجتمع بصورة أوسع من ذلك، فقد استثمره الإمام عليه السلام في إبداء المشورة الاقتصادية ومنافعها الاجتماعية، وبيان النتيجة النهائية المرجوة من إقامة بعض المشاريع، أو الإقدام عليها

---

(١) البيشوائي، سيرة الأئمة، ص ص ٥٦٧ــ٥٦٨.

(٢) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص ٥٣١.

ونص ذلك: «**عن أبي بكر، قال: عرض عليَّ صديق أن أدخل معه في شراء ثمار من نواحي شتى فكتبت إلى أبي محمد أشاوره فكتب لا تدخل في شيء من ذلك ما أغفلك عن الجراد والحشف**[١]**، فوقع الجراد فأفسده، وما بقي منه تحشف، وأعاذنا الله من ذلك ببركته**»[٢].

ومن اللافت للنظر أن الإمام عليه السلام هو من كان يبادر في تقديم المعونة المادية للمحتاجين من دون أن ينتظر طلبهم منه، وذلك لعلمه المسبق لحاجتهم للمعونات المادية لقضاء بعض أمورهم وتيسيرها، وبهذا الصدد ينقل أحد أصحابه، قائلاً: «**صحبت أبا محمد عليه السلام من دار العامة إلى منزله، فلما صار إلى الدار، وأردت الانصراف، قال: أمهل فدخل، ثم أذن لي، فدخلتُ فأعطاني مائة دينار، وقال: اصرفها في ثمن جارية فإن جاريتك فلانة ماتت، وكنت خرجت من المنزل، وعهدي بها أنشط ما كانت، فمضيت فإذا الغلام، قال: ماتت جاريتك فلانة الساعة قلت: ما حالها؟ قال: شربت ماء فشرقت فماتت**»[٣].

يستشف من خلال ما ورد عدة أمور لابد من الإشارة إليها وعلى شكل نقاط أساسية:

١ـ أن الإمام العسكري عليه السلام قد وظف الجانب الإعجازي الذي منحهُ الله لهُ في خدمة المجتمع ومساعدة الآخرين في حل مشاكلهم، المالية، والمادية، والمعنوية على حدٍّ سواء.

٢ـ أن الإمام عليه السلام هو من كان يبادر في تقديم المساعدات المالية قبل أن يطلب منه صاحب الحاجة، ولعل فلسفة ذلك الحفاظ على كرامة الشخص، واحترامه وعدم إراقة ماء وجهه.

---

(١) ما تَخَشَّف من التَّمر فلم يَعْقِد له نوًى، ينظر، ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص١٠٧.

(٢) الإربلي، كشف الغمة، ج٣، ص٢١٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٦٠.

(٣) الطوسي، ابن حمزة، الثاقب في المناقب، ص٢١٦.

٣ـ لم يفرق الإمام العسكري عليه السلام في تقديم المساعدات للمحتاجين بسبب المذهب، أو المعتقد، أو الوضع الاجتماعي، بل ينظر إلى الجميع بمنظار واحد هو الإنسانية.

الخاتمة وأهم النتائج المستخلصة.

توصلت الدراسة الموسومة بـ «توظيف البعد الغيبي سياسياً واجتماعياً في فكر الإمام الحسن العسكري عليه السلام في إصلاح المجتمع ـ دراسة تاريخية» إلى جملة من النتائج المفيدة والحقائق الواضحة، ويمكن إجمالها بالآتي:

١ـ أن أئمة أهل البيت عليهم السلام كان لديهم بعداً غيبياً إعجازياً استمدوه من الله سبحانه وتعالى بوصفهم أبواب الله.

٢ـ كان للإمام الحسن العسكري عليه السلام بعداً غيبياً واضحاً قد وظفه في جوانب عدة، واتجاهات مختلفة منها سياسية، وأخرى تربوية اجتماعية الهدف منها إصلاح المجتمع وخدمته.

٣ـ وظف الإمام العسكري البعد الغيبي الذي امتلكه في تقريب الناس إلى الله سبحانه وتعالى، وربطهم بالسماء من خلال إحداث الأمور الإعجازية الخارقة للنواميس الطبيعية.

٤ـ كان الهدف الأساس للإمام العسكري عليه السلام من توظيفه للبعد الغيبي هو خدمة المجتمع وتقديم المساعدات المالية، والمادية، والمعنوية للأشخاص الذين هم بحاجة إلى تلك المساعدة.

٥ـ لم نلحظ من خلال اطلاعنا البسيط، والمتواضع أن الإمام عليه السلام قد استثمر البعد الإعجازي الغيبي في أمور ذات طابع سلبي، أو انتقامي حتى ضدّ أعدائه، مما يدلل على مقدار السمو الإنساني الذي يمتلكه عليه السلام.

٦ـ لم يفرق الإمام عليه السلام في توظيفه للبعد الغيبي في إبداء المساعدة بين شخصٍ وآخر، ولأي اعتبار سواء أكان مذهبيّاً أم اجتماعيّاً أم غيره.

٧ـ هناك العديد من الإشكالات سواء السياسية أو حتى الاجتماعية تطلبت تدخلاً غيبياً واضحاً، ولولا امتلاك الإمام عليه السلام لذلك البعد الإعجازي لصعب حل تلك المعوقات، وهذا يدلل على أن البعد الغيبي له أثر نافع، ونتائج مجتمعية مثمرة وإيجابيّة.

٨ـ يلحظ من خلال الروايات التي وردت في متن البحث أن البعد الغيبي للإمام عليه السلام قد خفف عن الكثير من الشخصيات، وساهم في حل مشكلاتها سواء أكانت سياسية، أم اجتماعية.

٩ـ الكثير من القضايا التي وردت في متن الدراسة التي ساهم الإمام العسكري عليه السلام في حلها كان يهدف منها إلى تهذيب النفس، وتربيتها على السلوكيات الايجابية وتحذيرها من الانخراط بالعادات الخاطئة، ومنها على سبيل المثال الرجل الذي ادعى كذباً عدم امتلاكه للأموال، ولكنّ الإمام عليه السلام بفضل امتلاكه للبعد الغيبي بيّن له كذبه داعياً إياه لعدم تكرار الكذب مع تقديمه إياه للمساعدة، وهذا يعني أن هدف الإمام عليه السلام أن ينشأ مجتمعاً صادقاً بعيداً عن السلوكيات الخاطئة، والمنحرفة التي تفسد العلاقات الاجتماعية، وتثير الحقد، والبغضاء بين أبنائه وتجعل منه مجتمعاً مفككاً غير صالح.

١٠ـ ومن خلال الروايات التي أوردناها في هذه الدراسة اتضح لنا أن الإمام عليه السلام كان يعطي الأموال لبعض الشخصيات التي تكفيها بشكل واضح من دون أن تبقى محتاجة لأي مساعدة أخرى، ويبدو أن فلسفة ذلك أن الإمام عليه السلام لا يريد للإنسان المؤمن أن يستعطي، أو يمد يده للآخرين، وأن يحفظ كرامته، وعفته، وشخصيته.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

أولاً: المصادر المطبوعة

١. ابن الصباغ المالكي، عليّ بن محمّد بن أحمد المالكي المكي (ت٨٥٥هـ ـ١٤٥٥م)، الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة، حققه ووثّق أصوله وعلّق عليه: سامي الغريري، ط١، (قم ـ ١٤٢٢هـ)، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر.

٢. ابن حمزة الطوسي، عماد الدين أبي جعفر محمد بن علي الطوسي (ت ٥٦٠هـ ١١٦٠م)، الثاقب في المناقب، تحقيق: نبيل رضا علوان، ط٢، (قم المقدسة ـ ١٤١٢هـ)، الناشر: مؤسسة أنصاريان ـ قم المقدسة.

٣. ابن شهر آشوب، أبو جعفر محمد بن علي (ت: ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م)، مناقب آل أبي طالب، تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، سنة الطبع (١٣٧٦ ـ ١٩٥٦ م)، المطبعة: الحيدرية ـ النجف الأشرف.

٤. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ت ٧١١هـ ـ١٣١١م)، لسان العرب، الناشر: نشر أدب الحوزة (محرم ١٤٠٥هـ).

٥. الإربلي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت ٦٩٣هـ ١٢٩٣م)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ط٢، (بيروت ـ ١٩٨٥م) دار الاضواء.

٦. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل(ت٤٢٥هـ/ ١٠٣٥م)، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط٢، (قم ـ ١٤٢٧هـ).

٧. الراوندي، قطب الدين (٥٧٣هـ/ ١١٧٣م)، الخرائج والجرائح، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام ط١، (قم المقدسة ـ ١٤٠٩هـ).

٨. الزبيدي، محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي (ت

١٢٠٥هـ ـ ١٨٢٥م)، تاج العروس من جواهر القاموس تحقيق: علي شيري، دار الفكر، (بيروت ـ ١٩٩٤م).

٩. الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١ هـ/ ٩٨٣م)، كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، (إيران ١٤٠٥ ـ١٣٦٣ش) مؤسسة النشر الإسلامي (التابعة) لجماعة المدرسين بقم المشرفة (إيران).

١٠. الطبرسي، الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٨م)، تفسير جوامع الجامع، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط١، (إيران ـ ١٤١٨هـ).

١١. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٧٠م)، التبيان في تفسير القران، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العامل، ط١، (إيران ـ١٤٠٩هـ).

١٢. العياشي، محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي (ت٣٣٠هـ ـ٩٤٠م)، تفسير العياشي، وقف على تصحيحه وتحقيقه والتعليق عليه: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية ـ طهران، (د.ت).

١٣. الكليني، محمد بن يعقوب الرازي (ت ٣٢٩هـ / ٩٤٠م)، الكافي، تحقيق: علي أكبر غفاري، ط٥، دار الكتب الإسلامية، (طهران ١٣٦٣ش).

١٤. المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت٤١٣هـ ـ١٠١٣م)، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق: مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، ط٢، (إيران١٩٩٣م).

١٥. ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ ـ ١٢٢٦م)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، (بيروت ـ ١٩٧٩م).

المراجع الثانوية

١٦. البروجردي، علي أصغر ابن العلّامة السيد محمد شفيع الجابلقي المشهور بالبروجردي، طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، إشراف: السيد محمود المرعشي، ط١، (قم المقدسة ـ ١٤١٠هـ)، نشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة ـ قم المقدسة.

١٧. البيشوائي، مهدي، سيرة الأئمة، تعريب: حسين الواسطي، (إيران ـ ١٤٢٥هـ) نشر مؤسسةالإمام الصادق عليه السلام.

١٨. الحيدري، كمال، علم الإمام: بحوث في حقيقة ومراتب علم الأئمة المعصومين تقريراً لأبحاث السيد كمال الحيدري بقلم: الشيخ علي حمود العبادي، ط١، (قم ـ ٢٠٠٨م) دار فراقد للطباعة والنشر.

١٩. شيشرون، ماركوس توليوس، علم الغيب في العالم القديم، ترجمة وشرح: توفيق الطويل، مكتبة الآداب (مصر ـ ١٩٤٦م).

٢٠. الصدر، محمد صادق، تاريخ الغيبة الصغرى، (بيروت، ٢٠١١م) دار ومكتبة البصائر.

٢١. الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، بدون تاريخ.

٢٢. الطويل، توفيق، التنبؤ بالغيب عند مفكري الإسلام، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٥.

٢٣. العاملي، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، ط١، دار الحديث للطباعة والنشر، قم ـ ١٤٢٦هـ.

٢٤. الميلاني، علي الحسيني، دراسات في منهاج السنة لمعرفة ابن تيمية مدخل لشرح منهاج الكرامة، ط١، (إيران ـ ١٤١٩هـ).

البحث التاسع

الإمام العسكري عليه السلام ورعايته لشؤون الشيعة وإعدادهم لزمن الغيبة

د.سادسة حلاوي حمود

جامعة واسط

المقدمة

البحث في التاريخ لأئمة المسلمين عليهم السلام يجعلنا على قناعة كاملة بجدارتهم لقيادة الأمة، وأحقيتهم في الحكم والخلافة التي سُلبت منهم من قِبل السلطة القرشية الانقلابية الأولى، إذ انقلبوا على أعقابهم، واستولوا على الحكم والسلطة وحاولوا بكل جهدهم كسب الشَّرعية من أصحابها الحقيقيين ففعلوا أفعالاً يندى لها جبين التاريخ والإنسانية ولا سيما ما أقدموا عليه بحق سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام وهجومهم على بيتها، ومحاولتهم إحراقه، وفعلوا ما فعلوا فيها سلام الله عليها.

وهكذا كانت سيرة زوجها وأبنائها من أئمة المسلمين جميعاً حتى وصلت إلى الإمام الحادي عشر الحسن العسكري عليه السلام الذي كان يعيش في مدينة العسكر سُرَّ مَنْ رأى، (سامراء) بما يُشبه الإقامة الجبرية والسجن الواسع نسبياً، وكانوا يعدُّون عليه أنفاسه، وكل ذلك بمحاولة لمنع ولادة ولده الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف، ولكن إرادة الله غالبة، فولد الإمام وعاش ونشأ في حجر أبيه العظيم عليه السلام حتى اغتالته يد السلطات العباسية الشريرة الآثمة وهو في ريعان الشباب ولم يبلغ الثلاثين من عمره الشريف.

وخلال هذه المُدَّة الزمنية التي قاد فيها الأمة الإسلامية ولست سنوات وفي أعقد وأحلك أيامها من حيث الظلم، والظلام العباسي المجرم، بحيث إنهم ضيَّقوا على الإمام العسكري كما ضيَّق فرعون على بيت عمران، وبني إسرائيل في سالف الأزمان، وفي تلك الظروف الخانقة، والأحوال الضاغطة جداً فكيف لشاب في مقتبل العمر (٢٢ سنة فقط)، أن يقود الأمة الإسلامية المترامية الأطراف الذي كان الخليفة

الحاكم يعجز عن ضبطها ففي كل يوم تخرج ثورة، أو انتفاضة على ظلمه، وطغيان ولاته على الأمصار، وكيف كان يتواصل مع محبيه وشيعته، وأهل ولايته، وهو في تلك الظروف الصعبة؟ وما هو الإبداع الذي تكفَّل به للوصول من شيعته وإليهم؟

وكيف هيَّأ الشيعة الكرام لزمن الغيبة من بعده، لعلمه بأن ولده المبارك ستكون له غيبة طويلة يحتجب فيها عن محبيه وشيعته، وهي على مرحلتين صغرى، وكبرى ما زلنا نعيش في ظلها ونترقب طلعة تلك الغرة الميمونة المباركة لسيدنا، وإمامنا (أرواحنا له الفداء).

فالإمام الحسن العسكري وخلال سنوات إمامته القصيرة كان همُّه الأكبر ينحصر بكيف يأتي خليفته بعيداً عن عيون السلطة العباسية، ثم كيف يوصل صورته ويُعرِّف الأمة بإمامها المفترض عليها طاعته ومعرفته، وهنا يمكن أن نتحدث عن الإبداع الإداري، والتألق الفكري الحضاري للإمام الحسن العسكري عليه السلام، والمتمثِّل بالنجاح المنقطع النظير في الجانب الاجتماعي، والتواصل المضمون مع الشيعة، وقيادتهم في تلك البحار المتلاطمة من المشاكل.

والإمام الحسن العسكري عليه السلام مثله في ذلك مثل أجداده الكرام مظلوم أشد الظلم من الأمة الظالمة وحكامها من بني العباس الطغاة الظالمين الذين حاولوا إطفاء ذاك النور، وإسكات ذاك الصوت الحق، ولكن الفطنة، والحكمة التي كان عليها الإمام فوَّتت عليهم الفرصة من دون تحقيق مآربهم، بل التفَّ عليها كلها وحقق رسالته كاملة في الأمة؛ ولذا لم يتركوه فخافوا على ملكهم فدسوا له السم، فقتلوه وهو في الثامنة والعشرين من عمره الشريف، ولكنه ترك للأمة، والعالم مخلّصها من أشرارها وظلمهم، وباني دولة الحق والعدل الإلهية المنتظرة فيهم في قادم الأيام بإذن الله تعالى.

وهنا لا بد لنا من البحث الموجز عن جوانب مختلفة كان لها تأثيرها على سير

الأحداث التي عاشها الإمام الحسن العسكري عليه السلام لنستطيع معرفة مدى الإبداع في ذلك الظرف، وهي:

١-الجانب السياسي وموقف الإمام عليه السلام

للحديث في الجانب السياسي في العصر العباسي يجب أن نعي ونُدرك أثر العنصر الخارجي فيها، ففي حركة التأسيس والعصر الذهبي ـ كما يسمونه ـ كان العنصر الفارسي هو المسيطر، وهو صاحب الصولة والجولة فيها، وأما في العصر العباسي الثاني الذي بدأ بالمعتصم الذي رفضه بداية العرب والفرس، ونادوا باسم ابن أخيه العباس بن عبد الله المأمون، إذ كانت أمّه تركية (ماردة) حتى أنه ورث الكثير من صفاتهم الخَلقية والخُلقية، فراح يستقدم أخواله، ويستكثر منهم في بغداد، فطلبهم من فرغانة، وتركمانستان حتى بلغ عددهم في عهده سبعين ألفاً.

وكان المعتصم ينفق عليهم بسخاء، واتخذ لهم ثكنات خاصة يعيشون فيها من معيشة عسكرية، وكان يلبسهم أنواع الدِّيباج، والمناطق المذهَّبة، والحلية المذهبة وأبانهم بالزي عن سائر جنوده، ورفع المعتصم من أقدارهم، ولا سيما ثلاثة من كبار قادته وهم: الأفشين، وإيتاخ، وأشناس، فساروا في شوارع بغداد ممتطين خيولهم من دون أن يعبئوا بالمارة، فتأذى من ذلك أهل بغداد، واجتمع أهل الخير على باب المعتصم وقالوا: إما أن تخرج من بغداد، فإن الناس قد تأذوا بعسكرك، أو نحاربك، فقال: كيف تحاربوني؟ قالوا: نحاربك بِسِهَام السَّحَر، قال: وما سِهَام السَّحَر؟ قالوا: ندعو عليكَ، فقال المعتصم: لا طاقة لي بذلك[1].

ونأخذ هذه الصورة من المعتصم نفسه وندمه على تقديم وتسليط العنصر التركي الأهوج على مقاليد الأمور؛ لأن لهم شأناً كبيراً في تنصيب الخلفاء، وعزلهم في تلك

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج٧، ص٣١٢ـ٣١٤، خليفة، حسن، الدولة العباسية قيامها وسقوطها، ص١٣٨.

الحقبة التي وصلت بعصر إمامة الإمام علي الهادي، وولده الحسن العسكري عليهما السلام، ولفهم سبب حضورهم في تلك المنطقة البعيدة، وطبيعة تلك المدينة التي سكنوا فيها سُرَّ مَنْ رأى، فيروي إسحاق بن إبراهيم، قائلاً: دعاني أمير المؤمنين المعتصم يوماً فدخلتُ عليه وعليه صدرة وشى، ومنطقة ذهب، وخف أحمر، فقال لي: يا إسحاق أحببتُ أن أضرب معك بالصوالجة فبحياتي عليك إلا لبستَ مثل لباسي؛ فاستعفيته من ذلك فأبى، فلبستُ مثل لباسه، ثم قُدِّم إليه فرسٌ محلَّاة بحلية الذهب، ودخلنا الميدان فلما ضرب ساعة، قال لي: أراك كسلان وأحسبك تكره هذا الزّي؟ فقلتُ: هو ذاك يا أمير المؤمنين فنزل وأخذ بيدي ومضى يمشي، وأنا معه إلى أن صار إلى حجرة الحَمَّام، فقال: خذ ثيابي يا إسحاق؛ فأخذتُ ثيابه حتى تجرَّد، ثم أمرني بنزع ثيابي ففعلتُ ثم دخلنا أنا، وهو الحَمَّام وليس معنا غلام فقمتُ عليه، ودلَكته وتولَّى أمير المؤمنين المعتصم منِّي مثل ذلك، وأنا في كل ذلك أستعفيه فيأبى عليَّ، ثم خرج من الحمام فأعطيته ثيابه، ولبستُ ثيابي ثم أخذ بيدي، ومضى يمشي، وأنا معه حتى صار إلى مجلسه، فقال: يا إسحاق جئني بمصلى ومخدتين؛ فجئته بذلك فوضع المخدتين ونام على وجهه، ثم قال: هاتِ مصلى ومخدتين فجئتُ بهما، فقال: ألقه ونَمْ عليه بحذائي، فحلفتُ ألا أفعل فجلستُ عليه ثم حضر إيتاخ التركي، وأشناس، فقال لهما: امضيا إلى حيث إذا صحتُ سمعتما.

ثم قال: يا أبا إسحاق[1] في قلبي أمر أنا مفكِّر فيه منذ مدة طويلة، وإنما بسطتك في هذا الوقت لأفشيه إليك؛ فقلتُ: قلْ يا سيدي يا أمير المؤمنين فإنما أنا عبدك وابن عبدك؛ قال: نظرتُ إلى أخي المأمون، وقد اصطنع أربعة أنجبوا واصطنعتُ أنا أربعة لم يفلح أحد منهم؛ قلتُ: ومن الذين اصطنعهم أخوك؟

قال: طاهر بن الحسين فقد رأيتَ وسمعتَ، وعبد الله بن طاهر فهو الرجل

(١) كذا.

الذي لم يُر مثله، وأنتَ فأنتَ والله لا يتعارض السلطان منك أبداً، وأخوك محمد بن إبراهيم وأين مثل محمد؟! وأنا فاصطنعت الأفشين، فقد رأيتَ إلى ما صار أمره، وأشناس ففشل أيه، وإيتاخ فلا شيء، ووصيف فلا مغنى فيه.

فقلت: يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك أُجيبُ على أمان من غضبك؟ قال: قلْ؛ قلتُ: يا أمير المؤمنين أعزك الله نظر أخوك إلى الأصول فاستعملها فأنجبت فروعها، واستعمل أمير المؤمنين فروعاً لم تنجب، إذ لا أصول لها.

قال: يا إسحاق لمقاساة ما مرَّ بي في طول هذه المدة أسهل عليَّ من هذا الجواب».[1]

وهكذا دارت الأيام ومضى المعتصم، وملك ابنه الواثق، واستوزر ابن الزيات، وغضب على أخيه جعفر بن المعتصم، وقبل أن يموت الواثق سُئل عن الخليفة من بعده، فقال: «لا يراني الله أتقلدها حياً وميتاً»، ويبدو من هذه الكلمة؛ أنه كان يعرف ماذا تعني الخلافة في عصره، أو ليست تعني القمع، والدجل، والمؤامرات، والانغماس في الشهوات؛ ولذا ما لبث أن مات، واستخلف المتوكل وقتل ابن الزيات، وشهد عصره قدراً من الإستقرار، ولكنه كان استقراراً قائماً على العنف والتضليل، وأبرز مظاهر عنفه سياسته الإرهابية تجاه البيت العلوي ولا سيما أئمة أهل البيت عليهم السلام، فهو الذي أمر بهدم قبر سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام (سنة ٢٣٦هـ) وهدم ما حوله من الدُّور، وأن يُحرث ويُبذر، ويُسقى موضعه، وأن يمنع الناس من إتيانه وزيارته، وراح صاحب الشرطة ينادي في الناحية: مَنْ وجدناه عنده بعد ثلاثة أيام بعثنا به إلى المطبق (السجن)، فهرب الناس وخافوا من المصير إليه روحي فداه، وبهذه السياسة الفاسدة أثار المتوكل حفيظة المسلمين، ولا سيما أهل بغداد الذين ردُّوا على

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٢٧٢، ابن الأثير، الجزري، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢١٢.

هذه الإهانات التي ألحقها بالعلويين بسبِّه في المساجد، والطرقات[١].

بعد أن قُتل المتوكل انقشعت عن آل أبي طالب والموالين لأهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله سحابة الإرهاب، إذ كان المنتصر بن المتوكل يُخالف أباه في كل شيء، ويظهر الحب والاحترام لآل الرسول وشيعتهم، وعزل والي المدينة صالح بن علي، ونصّب مكانه علي بن الحسين بن إسماعيل بن العباس، فدخل عليه يودِّعه، فقال: يا علي إني أوجهك إلى لحمي ودمي، ومدَّ جلد ساعده، وقال: إلى هذا وجهتك، فانظر: كيف تكون للقوم، وكيف تعاملهم يعني آل أبي طالب»[٢].

فثار المنتصر على ظلم أبيه، وكانت سيرته حسنة مرضية كما يصفه المؤرخون، ولكنه مات بعد ستة أشهر وذلك سنة (٢٤٨هـ)، وبايع الناس أحمد بن محمد المعتصم (٢٤٨هـ/ ٢٥٢هـ) المستعين بالله، فأراد أن يحدّ من نفوذ الأتراك الذين تحولت قوتهم العسكرية إلى قوة سياسية متنامية في البلاد وشعر بخطرها، فواجه تحدياً من قبل بغا وباغر الذين تمردا عليه، وبايعا المعتز بن المتوكل، وقامت حرب ضارية بين الخليفتين كان الأول ببغداد والثاني بسامراء، وبعد أن تمَّ الأمر للمعتز أُبعد المستعين إلى واسط، غير أنه قتل فيها على يد سعيد الخادم.[٣]

ولكن المعتز بقي يخشى جانب الأتراك الذين قتلوا أباه وخلعوا ابن عمه، ثم قتلوه بصورة شنيعة على طريقة داعش: «حيث دخل إليه جماعة من الأتراك فجرُّوه برجله إلى باب الحجرة، وضربوه بالدبابيس، وخرقوا قميصه، وأقاموه في الشمس في

(١) المدرسي، السيد محمد تقي، النبي وأهل البيت عليهم السلام قدوة وأسوة، ج٢، ص٢٨٠، حسن، حسن إبراهيم، عن تاريخ الإسلام السياسي، ج٣، ص٥.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٣٥٣، ابن الأثير، الكامل، ج٣ ص٢٤٢، المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢١٠.

(٣) ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم الجزري، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٦٠، بتصرف.

الدار، فكان يرفع رجلاً، ويضع أخرى؛ لشدة الحر وكان بعضهم يلطمه، وهو يتقي بيده وأدخلوه حجرة، وأحضروا ابن أبي الشوارب وجماعة أشهدوهم على خلعه، وشهدوا على صالح بن وصيف أن للمعتز وأمه وولده وأخته الأمان.. وسلموا المعتز إلى مَنْ يُعذِّبه، فمنعه الطعام والشراب ثلاثة أيام، فطلب حسوة من ماء البئر، فمنعوه، ثم أدخلوه سرداباً وجصَّصوا عليه فمات»[١].

وبعده استخلفوا المهتدي بن الواثق عام (٢٥٥ هـ) واضطربت البلاد في عهده فمن ثورة ببغداد إلى تمرد في الجيش، إلى انتفاضات للعلويين هنا وهناك، وهكذا أصبحت الخلافة العباسية شعاراً لكل الطامعين في السلطة، فصارت المؤامرة والدجل سمة بارزة للسياسة، وكل ذلك كان نهاية طبيعية للإرهاب والدجل الذي مارسه الرواد الأوائل لهؤلاء الخلفاء[٢] حتى حكى بعض المؤرخين أنه لما جلس المعتز على سرير الخلافة قعد خواصهم وأحضروا المنجمين، وقالوا لهم: انظروا كم يعيش، وكم يبقى في الخلافة، وكان بالمجلس بعض الظرفاء، فقال: أنا أعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته، فقالوا: فكم تقول إنه يعيش وكم يملك؟ قال: مهما أراد الأتراك، فلم يبق في المجلس إلّا من ضحك»[٣].

فالسياسة العباسية في عصر الإمام الحسن العسكري عليه السلام وصلت من التدنِّي إلى أسفل سافلين، فكان يتحكم فيها الأتراك والعبيد من خارج القصور، والإماء من داخلها، فكان الحُكم باسمهم ولكن الأمر إلى عبيدهم وإمائهم، وفي تلك الدَّولة المتهالكة كان يعيش الإمام العسكري عليه السلام، غير أنه ينأى بنفسه المقدسة عن الدخول في تقلُّباتها مع، أو ضد السلطة؛ لأنها كانت سلطة ظالمة قائمة على الجور، وسُنَّة الله

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٦٦.

(٢) المدرسي، السيد محمد تقي، النبي وأهل البيت عليهم السلام قدوة وأسوة، ج٢، ص٢٨٣.

(٣) حسن، حسن إبراهيم، عن تاريخ الإسلام السياسي، ج٣، ص١٥، ابن طباطبا، محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية، ج١، ص٩١.

تعالى في خلقه أنه يُسلِّط الظالمين على الظالمين، وكما في الحديث القدسي: (**الظَّالِمُ سَيْفِي؛ أَنْتَقِمُ بِهِ وَأَنْتَقِمُ مِنْهُ**)[١].

والإمام العسكري عليه السلام أعلم الناس بالسياسة العباسية المخادعة التي بدأها وسار عليها عبد الله المأمون مع جده الإمام الرضا عليه السلام، فهي السياسة المراوغة والمخادعة لحُكام عصره فكان للإمام الحسن العسكري عليه السلام مكانته، واحترامه، وتقديره في البلاط، غير أنّه كان كوالده الهادي عليهما السلام مجبراً على الإقامة في سامراء، ومكرهاً على الذَّهاب، والحضور إلى بلاط الخليفة كل يوم اثنين وخميس[٢]، أي مرَّتين في الأسبوع، وما تبقى فله حرية الحركة، ولكن ضمن سامراء فقط.

وهكذا كان الإمام العسكري كأبيه عليهما السلام في موقفه من السلطة العباسية وحكامها، حذراً ومحترساً في علاقته بهم، وكانت علاقته روتينية رتيبة، إذ يحضر في مجلسهم في الوقت المحدد ثم ينصرف إلى بيته لمتابعة شؤون الأمة، وإدارتها من خلف الكواليس، وهذه الطريقة أكسبته أمام الحُكم مزيداً من الاحترام والتقدير، وظهر ذلك من خلال علاقته بوزراء بني العباس في عصره؛ لأنه فرض شخصيته على أشدِّ الناس حقداً وانحرافاً عن أهل البيت عليهم السلام وهو الوزير يحيى بن خاقان الذي يقول في الإمام عليه السلام: ما رأيتُ ولا عرفتُ بسرِّ مَنْ رأى رجلاً من العلوية مثل الحسن بن علي بن محمد بن علي الرِّضا في هديه، وسكونه، وعفافه، ونبله، وكبرته عند أهل بيته وبني هاشم كافة وتقديمهم إيَّاه على ذوي السنِّ منهم والخطر.[٣]

وإليك هذه الصورة المشرقة التي يرويها ابن الوزير، فقد كان حاضراً وشاهداً لها ومتعجباً منها، كان أحمد بن عبيد الله بن خاقان على الضّياع والخراج بقم، فجرى

---

(١) الشيرازي، السيد الشهيد حسن، كلمة الله، ص١٨٠.

(٢) ابن شهرآشوب، أبي جعفر محمد بن علي السروي المازندراني، المناقب، ج٣، ص٣٣٥.

(٣) المفيد، الإرشاد، ص٨١٣، الطبرسي، الشيخ الفضل بن الحسن، إعلام الورى، ص٧٥٣.

في مجلسه يوماً ذكر العلوية ومذاهبهم، وكان شديد النّصب والانحراف عن أهل البيت عليهم السلام، فقال: ما رأيتُ ولا عرفتُ بسرّ مَنْ رأى رجلاً من العلويّة مثل الحسن بن علي بن محمّد بن عليّ الرّضا في هديه وسكونه، وعفافه، ونبله، وكبرته عند أهل بيته، وبني هاشم، وتقديمهم إيّاه على ذوي السّنّ منهم والخطر، وكذلك كانت حاله عند القوّاد والوزراء، وعامّة الناس، فأذكر يوماً أنّي كنتُ قائماً على رأس أبي، وهو يوم مجلسه للنّاس إذ دخل حجّابه، فقالوا: أبو محمّد بن الرّضا بالباب؛ فقال بصوت عالٍ: ائذنوا له.

فتعجّبتُ من جسارتهم أن يكنّوا رجلاً بحضرة أبي، ولم يكن يُكنَّى عنده إلّا خليفة أو ولي عهد، أو من أمر السلطان أن يُكنّى، فدخل رجل أسمر حسن القامة، جميل الوجه، جيّد البدن، حديث السّنّ له جلالة وهيئة حسنة، فلما نظر إليه أبي قام فمشى إليه خُطىً، ولا أعلمه فعل هذا بأحد من بني هاشم والقوّاد، فلمّا دنا منه عانقه، وقبّل وجهه وصدره، وأخذ بيده، وأجلسه على مصلاّه الّذي كان عليه، وجلس إلى جنبه، مقبلاً عليه بوجهه، وجعل يكلّمه ويفديه بنفسه، وأنا متعجّب ممّا أرى منه إذ دخل الحاجب، فقال: الموفّق (الخليفة) قد جاء.

وكان الموفّق إذا دخل على أبي تقدّمه حجّابه وخاصّة قوّاده، فقاموا بين مجلس أبي وبين باب الدّار سماطين إلى أن يدخل ويخرج، فلم يزل أبي مقبلاً عليه يُحدّثه حتّى إذا نظر إلى غلمان الخاصّة فقال حينئذٍ له: «إذا شئتَ جعلني الله فداك»، ثمّ قال: خذوا به خلف السّماطين لا يراه هذا يعني الموفّق، فقام وقام أبي، فعانقه ومضى.

فقلتُ لحجّاب أبي وغلمانه: ويحكم مَنْ هذا الّذي كنّيتموه بحضرة أبي وفعل به أبي هذا الفعل؟ فقالوا: هذا علوي يقال له: الحسن بن عليّ يعرف بابن الرّضا.. فازددت تعجّباً، ولم أزل يومي ذلك قلقاً متفكّراً في أمره وأمر أبي، وما رأيته منه حتّى كان الليل وكانت عادته أن يُصلّي العتمة، ثمّ يجلس فينظر فيما يحتاج إليه من

المؤامرات، وما يرفعه إلى السلطان، فلمّا صلّى وجلس جئتُ وجلست بين يديه، وليس عنده أحد، فقال لي: يا أحمد ألك حاجة؟ فقلتُ: نعم يا أبه، فإن أذنتَ، سألتك؟ قال: أذنتُ. قلتُ: مَنْ الرّجل الّذي رأيتك بالغداة فعلتَ به من الإجلال، والكرامة، والتبجيل، وفديته بنفسك وأبويك؟ فقال: ذاك إمام الرّافضة الحسن بن عليّ المعروف بابن الرّضا، ثمّ سكت ساعة وأنا ساكت، ثمّ قال: يا بُني لو زالت الإمامة عن خلفاء بني العبّاس ما استحقّها أحد من بني هاشم غيره، لفضله، وعفافه، وصيانته، وزهده، وعبادته، وجميل أخلاقه، وصلاحه، ولو رأيتَ أباه، رأيتَ رجلاً جزلاً نبيلاً فاضلاً.

قال: فازددتُ قلقاً وتفكّراً وغيظاً على أبي، وما سمعته منه فيه، ورأيت من فعله به، فلم يكن لي همّة بعد ذلك إلّا السؤال عن خَبَرِهِ، والبحث عن أمره، فما سألتُ أحداً من بني هاشم، والقوّاد، والكتّاب، والقضاة، والفقهاء، وسائر الناس، إلّا وجدته عندهم في غاية الإجلال والإعظام، والمحل الرّفيع، والقول الجميل، والتّقديم له على جميع أهل بيته ومشائخه، فعظم قدره عندي إذ لم أر له وليّاً ولا عدوّا إلّا وهو يحسن القول فيه والثّناء عليه».[1]

تلك هي صورة مصغرة عن الظروف السياسية لحكومة بني العباس، وموقف الإمام الحسن العسكري عليه السلام منها، ومن حكامها ووزرائها، فهو الإمام الذي يشار إليه بالبنان فيها رغم حداثة سنه، ونضارة عوده، وشباب أيامه سلام الله عليه، وعلى آبائه الأطهار.

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص٨١٣، الكليني، الكافي، ج١، ص٥٠٤، الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ص٣٦٠.

٢-الجانب الاجتماعي وسلوك الإمام عليه السلام

الحديث عن الجانب الاجتماعي هو الحديث عن مهمة الرسالة والدين ذاتها في هذه الحياة، إذ إن كل رسالات السماء مهمتها اجتماعية في الدرجة الأولى، ولكن المجتمع تابع إلى السياسة ومتأثر بها فإذا كان الحاكم عادلاً يكون المجتمع في راحة وبلهنية من العيش وأما إذا كان ظلوماً عسوفاً، فإنه يحول حياة الناس إلى جحيم لا يُطاق كما فعل المتوكل على الشيطان حين ضجَّ الناس من ظلمه فراحوا يسبونه، ويلعنونه جهاراً نهاراً في بغداد، فما رأيك ببقية الحواضر في دولته المترامية الأطراف؟

فاتساع الثورات والانتفاضات وكثرتها في الدولة يزعزع الأمن، والاستقرار فيها وهذا يؤدي إلى ضرب المجتمع في مقتل لأن الاجتماع لا ينمو، ويتقدم ويتطور إلا في ظل الاستقرار السياسي والأمني للدولة، وهذا كان مفقوداً في ذلك العصر الذي عاشه الإمام العسكري عليه السلام ولا سيما وهو في مدينة الجند والعسكر سُرَّ مَنْ رأى (سامراء) فهي كانت ذات خصائص مميزة، وليست كبقية الحواضر العريقة كالكوفة وبغداد وغيرها من حواضر العراق، بل كانت مدينة عسكرية وطبيعة العسكر قاسية، فظة، وغليظة ومختلفة تماماً عن المجتمعات المدنية الأخرى، فهي ثكنة موسعة وفيها بعض العوائل وأغلبهم الإماء والخدم، فكانت حياته عليه السلام الاجتماعية ليست كحياة كل الأئمة من أجداده عليهم السلام الذين عاشوا في المدينة المنورة، أو في الحواضر المدنية إلا أن الإمام العسكري عليه السلام كان في سجن مفتوح، ومراقب من كل ما حوله، وليس له الحرية في الحركة إلا بما يضمن الحياة من مأكل وملبس، وأما العلاقات الاجتماعية فهو إمام الرافضة ـ كما يُسمونه ـ فمَنْ يجرؤ على لقائه أو زيارته، أو الجلوس عنده والتعلم منه؟

فالاختلاط الكبير، والعجيب في البلاد الإسلامية لأنواع العبيد، والإماء الذي استقدمهم رجال الحكم، والحكام للخدمة تكاثروا، وصار لهم صولة وجولة منها

ثورة الزنج في البصرة في عهد الإمام عليه السلام التي استمرَّت حوالي خمسة عشر سنة أحرقت الأخضر واليابس في طريقها، كل ذلك جعل حياة الناس البسطاء، والفقراء جحيماً لا يُطاق، فازداد الفقر، والحاجة، وكثرت المشاكل الاجتماعية بسبب الاضطرابات السياسية، وانعزال رجال السلطة، والبلاط عن الناس فكانت السلطة في واد والشعب في واد آخر، والإمام العسكري عليه السلام يرى، ويسمع ويعيش في ذلك المجتمع الضيِّق في كل شيء غير أنه استطاع أن يقود الشيعة، ويُحافظ عليها بقوة وجدارة.

٣- الجانب الديني، والروحي وقيادة الإمام عليه السلام.

هذا الجانب من حياة الأمة هو مهمة، ووظيفة الإمام عليه السلام في عصره، فكان عليه أن يبحث عن طريق يؤدي تلك الرسالة، ويُحافظ على تلك الجماعة المباركة من الشيعة التي كانوا في محطة من أدق وأحسِّ المُدد الزّمنية لها من تأثير على مستقبل الأمة كلها، فمهمة الإمام الحسن العسكري عليه السلام الشاب الذي أُبعد عن أهله، وقواعده في المدينة المنورة، وجاؤوا به إلى مدينة العسكر، ومنعوا أحداً من الاتصال به إلا لضرورة، فهو في مكان غريب ومجتمع أشد غربة، وظروف في غاية البؤس والتقلب والضغط الاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي، والثقافي وحتى الإنساني منها، وكان عليه أن يعطي الأمة حقها ويُحافظ لها على دينها، ويُدافع عن قرآنها، وعقائدها تجاه أولئك المتربصين، من الواقفية، والزنادقة، والفلاسفة، والثنوية، والصوفية، والرد على الشبهات الكثيرة التي كانت تُثيرها حركة الترجمة، والاختلاط الثقافي في المجتمع.

ورغم كل تلك الظروف المعقدة جداً ترى الإمام الشاب الحسن العسكري عليه السلام وهو في قلب مدينة العسكر حيث يعدون عليه أنفاسه، ويراقبونه من يقظته وحتى منامه، تراه مطمئناً هادئاً لا يحسب لهم حساباً بل على العكس كانوا يعيشون حالة من الرعب منه كما ينبه الإمام العسكري عليه السلام بهذه الرواية العجيبة فعلاً، قال الإمام العسكري عليه السلام: «**قَدْ وَضَعَ بَنُو أُمَيَّةَ وَبَنُو العَبَّاسِ سُيُوفَهُمْ عَلَيْنا لِعِلَّتَيْنِ: إِحْداهُما: أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**

أَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ فِي الخِلافَةِ حَقٌّ فَيَخافُونَ مِن ادِّعائِنا إِيَّاهَا وَتَسْتَقِرُّ فِي مَرْكَزِها.

وَثانيهِمَا: أَنَّهُمْ قَدْ وَقَفُوا مِنَ الأخبار المُتواتِرَةِ عَلَى أَنَّ زَوَالَ مُلْكِ الجَبَابِرَةِ وَالظَّلَمَةِ عَلَى يَدِ القائِمِ مِنَّا، وَكَانُوا لا يَشُكُّونَ أَنَّهُمْ مِنَ الجَبَابِرَةِ وَالظَّلَمَةِ، فَسَعَوْا فِي قَتْلِ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وَإِبادَةِ نَسْلِهِ، طَمَعاً مِنْهُمْ فِي الوُصُولِ إلى مَنْعِ تَوَلُّدِ القائِمِ أَوْ قَتْلِهِ، فَأَبَى اللهُ أَنْ يَكْشِفَ أَمْرَهُ لِواحِدٍ مِنْهُمْ، إِلاّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرونَ»[1].

وبناءً على هذا الحديث الذي أعطى فيه الإمام عليه السلام عين الحقيقة والصواب، وأوضح بأن خوف الحكام والسلاطين من أئمة أهل البيت عليهم السلام منذ السقيفة يأتي من هذين الأمرين الخوف على السلطان المغصوب من دون وجه حق، وولادة القائم بالحق عجل الله تعالى فرجه الشريف؛ ولذا سنأخذ هذين الجانبين بشيء من البسط.

- تجاه الأمة عامة والشيعة خاصة.

الأمة هي صاحبة المصلحة الأولى بحكم الدِّين الإسلامي الحق لأنه يحكم بالعدل، ويبسط القسط في المجتمع لكل الأفراد الكبير والصغير، الرجل والمرأة، ولكل الأسر والقبائل والمجتمعات، ولكن لا بد للرسالة من طلائع فكرية تؤمن بها وتعتنق مبادئها، وتُبلِّغ لها فيما بعد في البلاد والعباد، وهؤلاء هم الشيعة الكرام الذين آمنوا بالنهج الرسالي، والمنهج الولائي لأهل البيت الأطهار عليهم السلام، فرفضوا حُكم وتحكيم غيرهم بالدماء والأموال والعراض لاعتقادهم بعصمة الأئمة عن الوقوع في الخطأ، فهم المؤتمنون على الرسالة الأحكام، وتفسير القرآن وتأويله من الله ورسوله صلى الله عليه وآله.

وأول خطوة في هذا الاتجاه ربما هي حماية الشيعة وتحصينهم أمنياً حتى لا تقتلهم السلطات العباسية المتربصة بهم للتنكيل بهم أو سجنهم، فكان المولى الإمام

---

(١) الحر العاملي؛ إثبات الهداة، ج ٣ ص ٥٧٠ ب ٣٢ ف ٤٤ ح ٦٨٥، الكلبيكاني، الشيخ لطف الله الصافي، منتخب الأثر، ص٢٩١ ب ٣٤ ف٢ ح٤، عن كشف الحق.

العسكري عليه السلام يُحاول بكل طريقة، ووسيلة أن يحفظهم ويحميهم من أولئك الطغاة وجلاوزتهم؛ ولذا «شدّد الإمام العسكري دعوته إلى الكتمان، وعدم الإذاعة، والحذر في التعامل مع الآخرين، والتشدد في نقل الأخبار، والوصايا عنه، ونقل أوامره إلى أصحابه ونقل أخبارهم إليه، فإنّ أتباعه قد انتشروا في أقطار الدولة الإسلامية في عصره عليه السلام بعد أن أخذ التشيع طابع المعارضة، واتسعت دائرته تحت راية أهل البيت عليهم السلام وكثيراً ما كانت تصدر عنه عليه السلام التحذيرات المهمة لهم تجاه الفتن، والابتلاءات المستقبلية تجنيباً لهم من الوقوع في شرك السلطة، وحفظاً لهم من مكائدها، فعن محمد بن عبد العزيز البلخي، قال: أصبحتُ يوماً، فجلستُ في شارع الغنم فإذا بأبي محمّد أقبل من منزله يُريد دار العامّة، فقلتُ في نفسي: تُرى إن صحتُ؛ أيّها الناس هذا حجة الله عليكم فاعرفوه، يقتلوني؟ فلمّا دنا منّي أومأ بإصبعه السبّابة على فيه: أن اسكت، ورأيته تلك الليلة، يقول: (**إنّما هو الكتمان أو القتل، فاتّق الله على نفسك**).[1]

وكان الإمام العسكري عليه السلام بهذا التصرف الحكيم حمى نفسه الشريفة، وحمى هذا المؤمن الموالي له؛ لأن الظروف كانت لا تسمح بالعمل في العلن، والأمر يحتاج إلى تقية، وحكمة، وحنكة في كل التصرفات لحفظ الجميع، وكان الإمام عليه السلام هو المبادر إلى ابتكار أساليب جديدة في إيصال أوامره، ووصاياه إلى وكلائه، وثقاته، وإليك هذه الصورة التي رواها أبو هاشم الجعفري عن داود بن الأسود، قال: دعاني سيدي أبو محمد ـ الحسن العسكري عليه السلام ـ فدفع لي خشبة، كأنها رجل باب مدوّرة طويلة ملء الكف، فقال عليه السلام: (**صِرْ بهذه الخشبة إلى العمري**).

فمضيتُ إلى بعض الطريق فعرضَ لي سقَّاء معه بغل، فزاحمني البغل على الطريق، فضربتُ البغل فانشقّت ـ الخشبة ـ فنظرتُ إلى كسرها فإذا فيها كُتب، فبادرتُ سريعاً فرددتُ الخشبة إلى كمّي فجعل السَّقاء يناديني ويشتمني، ويشتم

(١) لجنة التأليف المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، أعلام الهداية؛ الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص١٩١، الخرائج والجرائح، ج١، ص٤٤٧، ح٣٢، كشف الغمة، ج٣، ص٢١٢

صاحبي، فلمّا دنوتُ من الدار راجعاً استقبلني عيسى الخادم عند الباب الثاني، فقال: يقول لك مولاي: (**لِمَ ضربتَ البغل، وكسرت رجل الباب؟**).

فقلتُ: يا سيدي لم أعلم ما في رجل الباب، فقال عليه السلام: (**ولِمَ احتجتَ أن تعمل عملاً تحتاج أن تعتذر منه؟ إيّاك بعدها أن تعود إلى مثلها، وإذا سمعتَ لنا شاتماً فامضِ لسبيلك التي أُمرتَ بها، وإياك أن تُجاوب مَنْ يشتمنا، أو تُعرِّفه مَنْ أنتَ، فإننا في بلد سوء، ومصر سوء وامضِ في طريقك فإنّ أخبارك وأحوالك ترد إلينا فاعلم ذلك**)[1].

هكذا «نجد الإمام عليه السلام يمنع رسوله من التعرّض لأيّ أمر يمكن من خلاله أن تكشف هويته، وشخصيته، وصلته بالإمام عليه السلام حتى لو شتمه أحد أو رُبما يُسبّ الإمام عليه السلام أمامه، فعليه أن يغضّ الطرف، وكأنه ليس هو المقصود، ويذهب في مهمّته حتى لا يُكشف، ولا يتعرّف أحد جلاوزة السلطان على ما يخرج من الإمام عليه السلام لوكلائه وثقاته.

وتفيد هذه النصوص وغيرها أن الظروف الصعبة والقاهرة التي عاشها الإمام عليه السلام وأصحابه هي التي ألجأته إلى اتخاذ السرية، والكتمان الشديد في تعامله مع قواعده الشعبية، ومن ثَمَّ فهي الطريق الأصوب إلى تربية شيعته ومواليه وتهيئة قواعده لعصر الغيبة الصغرى التي سيتم اتصال الشيعة خلالها بالإمام المهديّ عليه السلام عن طريق وكيل له، حيث لا يتيسّر الاتّصال المباشر به، ولا يكون الالتقاء به ممكناً وعمليّاً؛ لما كانت السلطة العباسية قد فرضته من رقابة شديدة على الشيعة لمعرفة محلّ اختفاء الإمام المهديّ عليه السلام.[2]

وهنا يجب أن لا يفوتنا أن نشير إلى تلك الوصايا العظيمة التي كان يوصي

---

(١) لجنة التأليف المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام أعلام الهداية؛ الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص١٩٣، عن مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص٤٦٠-٤٦١.

(٢) أعلام الهداية؛ الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص١٩٣.

بها الإمام الحسن العسكري عليه السلام أصحابه وشيعته، للحفاظ عليهم، وحمايتهم، وتحصينهم ضد السلطات الجائرة، كهذه الوصية العظيمة التي نحتاجها في كل عصر ومصر ولا سيما في هذا العصر، إذ قال عليه السلام: (**أُوصيكم بتقوى الله والورع في دينكم، والاجتهاد لله، وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى مَنْ ائتمنكم من بر أو فاجر، وطول السجود، وحُسن الجوار، فبهذا جاء محمد** صلى الله عليه وآله، **صَلّوا في عشائرهم، واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم، وأدّوا حقوقهم، فإنّ الرجل منكم إذا وَرع في دينه، وصدق في حديثه، وأدّى الأمانة، وحسَّن خلقه مع الناس، قيل: هذا شيعي فيسرّني ذلك، اتّقوا الله وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، جُرّوا إلينا كلّ مودّة، وادفعوا عنّا كلّ قبيح فإنّه ما قيل فينا من حُسْن فنحن أهله وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك... لنا حقٌّ في كتاب الله وقرابة من رسول الله وتطهيرٌ من الله لا يدّعيه أحد غيرنا إلّا كذّاب... أكثروا ذكر الله وذكر الموت وتلاوة القرآن والصلاة على النبي** صلى الله عليه وآله، **فإنّ الصلاة على رسول الله عشر حسنات، احفظوا ما وصّيتكم به، واستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام**)[1]

كم نحن بحاجة إلى هذه الوصية في هذا عصر الفتنة الذي كثر فيه الناطقون باسم الدِّين.

- تجاه الإمام المنتظر من بعده عليه السلام

هذه المهمة الإلهية، والوظيفة الكونية لأنها تتعلق بولي الله وحجته الخاتم الذي لولاه (**لساخت الأرض بأهلها**)، كما في كثير من النصوص الروائية، تعلق بشخص الإمام الحسن العسكري عليه السلام بوصفه الوالد المبارك، والإمام السابق فكانت مهمته تنحصر في ثلاث قضايا أساسية، هي:

---

(١) الحراني، تحف العقول، ٤٨٧ ـ ٤٨٨، المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٥ ص٣٧٢، أعلام الهداية؛ الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص١٨٨.

- **ولادته في الخفاء بعيداً عن عيون السلطة.**
- **حفظه وتعريفه للشيعة شخصاً وشاخصاً.**
- **تحضير الشيعة لعصر الغيبة (الصغرى ثم الكبرى).**

وفعلاً استطاع الإمام الحسن العسكري عليه السلام الشاب الساكن في مدينة لا كالمدن، ومجتمع له صبغته الخاصة، وتكوينه المميَّز من حيث العصر، والحياة كلها، والمراقب في كل شيء أن يقوم بتلك المهام العويصة تجاه الأمة وقائدها، والشيعة وإمامها، فقد تزوَّج بتلك الأميرة المقدسة التي ما زالت قصَّتها تُحيِّر العقول والألباب، النجيبة النسيبة التي كانت حفيدة هرقل الروم، ولكنها من بنات شمعون الصفا وصي السيد المسيح عليه السلام، فخطبها منه رسول الله صلى الله عليه وآله في السماء وزوَّجه بها قبل زواجها منها في الأرض، وتقول الرواية: (فيقول له محمد صلى الله عليه وآله: **يا روح الله إني جئتك خاطباً من وصيك شمعون فتاته مليكة لابني هذا وأومأ بيده إلى أبي محمد عليه السلام ابن صاحب هذا الكتاب فنظر المسيح إلى شمعون، وقال له: قد أتاك الشَّرف فصِلْ رحمك برحم آل محمد عليهم السلام، قال: قد فعلتُ، فصعد ذلك المنبر، فخطب محمد صلى الله عليه وآله زوَّجني من ابنه وشهد المسيح عليه السلام وشهد أبناء محمد عليهم السلام، والحواريون**).[1]

تلك الفتاة الأميرة المقدسة المحفوظة بحفظ الله ساقتها الأقدار إلى ذلك البيت الطاهر فتزوجها الإمام الطاهر الحسن العسكري عليه السلام في مدينة العسكر، وحملت بابنه المنتظر الموعود سمي جده رسول الله صلى الله عليه وآله الذي أخفى الله سبحانه حمله، وولادته عن جلاوزة بني العباس كما أخفى حمل، وولادة إبراهيم الخليل عليه السلام عن النمرود، وموسى الكليم عليه السلام عن فرعون، والحبيب المصطفى عن اليهود، وجواسيسهم في قريش، فجاء ابن سيدة الإماء الذي تخفى على الناس ولادته، ويغيب عنهم شخصه، وكان ذلك بزواج الإمام العسكري عليه السلام في السماء لا في الأرض، وأما في سامراء فكانت أمه رومية جاءت مع سبي الروم، وساقتها الأقدار إلى سُرّ مَنْ رأى فاشتراها

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥١، ص٨، الطبري، دلائل الإمام الطبري، ص٤٩٤.

الإمام الهادي عليه السلام ودفعها إلى عزيزه، ووصيه، ووصاه بها خيراً لأنها خير الإماء وأم الموعود المدَّخر لأمر السماء.

ولهذا «خفيت الولادة ـ روحي فداه ـ حتى على أقرب القريبين من الإمام، فإنّ عمّة الإمام عليه السلام بمقامها، وعظمتها، وجلالة قدرها، لم تتعرّف على حمل أُم الأميرة مليكة (نرجس) الإمام المهدي عليه السلام فضلاً عن غيرها، ومن هنا كانت الولادة في ظروف سرّية جداً وبعد منتصف الليل، وعند طلوع الفجر وهو وقت لا يستيقظ فيه إلّا الخواص من المؤمنين فضلاً عن غيرهم»[1].

وهكذا خطّط الإمام العسكري عليه السلام ليبقى أمر الإمام المهدي عليه السلام بعيداً عن الأنظار كما ولد خفية، ولم يطلع عليه إلّا الخواص، أو أخصّ الخواص من شيعته ومحبيه الذين أراد الإمام الحسن العسكري عليه السلام أن يقرَّ عيونهم برؤيته تارة وبولادته أخرى، فكان يُعطي كلاً منهم قدر طاقته وحاجته، فممَّن رآه، وشهد بذلك السيدة العلوية الطاهرة حكيمة بنت الإمام الجواد، وأُخت الإمام الهادي، وعمّة الإمام الحسن العسكري عليهما السلام، وهي التي قد تولّت أمر نرجس أُم الإمام المهدي عليه السلام ساعة ولادتها، ونعمت بمشاهدة الإمام المهدي بعد مولده، وشهد الإمام العسكري عليه السلام بأنها قد غسّلته، وساعدتها بعض النسوة، مثل جارية أبي علي الخيزراني التي أهداها إلى الإمام العسكري عليه السلام، ومارية، ونسيم خادمة الإمام العسكري عليه السلام[2].

وهكذا احتفل الإمام الحسن العسكري عليه السلام بولده المبارك الذي انتظرته الدنيا قروناً متطاولة من زمان أبيه آدم عليه السلام وحتى ولد في مدينة العسكر، وتحت الحصار والسجن العباسي ليكون للعالمين أملاً بمستقبل العدل والقسط، والحكومة الرَّبانية

(١) أعلام الهداية، الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص١٥٥ بتصرف.

(٢) الصدوق، عن كمال الدِّين وتمام النعمة، ج٢، ص٤٢٤، الثاقب في المناقب، ص٢٠٣، أعلام الهداية، ص١٥٩.

التي انتظرها الإنسان منذ فجر الإنسانية، ولكن لم تتحقق تلك الأمنية في دولة عالمية، ونظام كوني يقوم على شرع الله، ويُطبَّق بالحق، والعدل بين البشر حيث تنتفي الحاجة، والفقر، والتخلّف، وينتشر الخير في البلاد والعباد.

فاحتفاؤه عليه السلام بولده الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ليس احتفالاً عادياً كما يفعل البشر، والناس عادة، بل هو احتفاء بالمولود الرِّسالي، واحتفال بالامتداد الدِّيني له الذي يحفظ الدِّين الإسلامي الحنيف، ويكون أمل الدنيا بالقسط والعدل حين تمتلئ بالظلم والجور، ويكون المصلح الأعظم حين ينتشر الفساد ويعم، ويحكم المفسدون هذه الدنيا ويُضيِّقونها على أهل الصلاح والإصلاح فيكون هو الأمل بصلاح الدِّين والدنيا.[1]

إظهار الإمام عليه السلام لبعض الخواص

وبعد تلك الأعمال الكبيرة وغير المعهودة من الإمام الحسن العسكري عليه السلام بمناسبة ولده المبارك حيث أوصل للشيعة والمحبين خبر الولادة الميمونة، وعزز ذلك بالتصريح العلني في رسائله المكتوبة أيضاً، ثم كان منه لفتة عطوفة على بعض أهل الولاء وثقاة شيعته ومريديه، فلما زاره بعضهم أراهم ولده المبارك وأقر عيونهم برؤيته وقلوبهم بمعرفته، فعن أبي غانم الخادم أنه ولد لأبي محمد ولد فسمّاه محمّداً فعرضه على أصحابه يوم الثالث، وقال: (**هذا صاحبكم من بعدي وخليفتي عليكم وهو القائم الذي تمتدّ إليه الأعناق بالانتظار، فإذا امتلأت الأرض جوراً وظلماً فملأها قِسطاً وعدلاً**)[2].

وعن عمرو الأهوازي أن أبا محمّد أراه ابنه، وقال: (**هذا صاحبكم من بعدي**)[3].

---

(١) مقال، الإِمَامُ الحَسَن العَسكَرِي يَفرَحُ بِوَرِيثِهِ الرِّسَالِي، موقع مجلة الهدى.

(٢) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص٤٣١.

(٣) الكليني، الكافي، ج١، ص٣٢٨، الشيخ الطوسي، الغيبة، ص٢٣٤.

وعن معاوية بن حكيم ومحمد بن أيّوب بن نوح ومحمد بن عثمان العمري رضي الله عنه أنهم قالوا: عرض علينا أبو محمد الحسن بن علي عليهما السلام، ونحن في منزله، وكنّا أربعين رجلاً فسئل عن الحجة من بعده فخرج عليهم غلام أشبه الناس به، فقال: **(هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم، أطيعوه ولا تتفرّقوا من بعدي في أديانكم فتهلكوا، أما إنّكم لا ترونه بعد يومكم هذا)**[1].

وممّا حدّث به أحمد بن إسحاق حين سأل الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن علامة يطمئن إليها قلبه حول إمامة المهدي عليه السلام حين أراه إيّاه، وقد كان غلاماً كأنّ وجهه القمر ليلة البدر من أبناء ثلاث سنين، وأن الغلام نطق بلسان عربيّ فصيح، فقال: **(أنا بقية الله في أرضه، والمنتقم من أعدائه فلا تطلب أثراً بعد عين يا أحمد بن إسحاق)**[2].

هكذا عرَّف الإمام العسكري عليه السلام ولده لخواص الشيعة، وأخبرهم بخبر ولادته، وأطعمهم من خيراته، وعقيقته، وأشهد على ذلك أربعين منهم، وكتب لبعضهم وفي كل ذلك يأمرهم بالكتمان لسرِّه وأمره؛ لأنه سر من أسرار الغيب الإلهية، وأمره بيد الله حيث ادَّخره لنفسه، ولتمام أمره ورسالته، وإقامة دولة الحق في هذه الدنيا، عجَّل الله تعالى فرجه وسهل مخرجه.

تهيئة المجتمع والشيعة لغيبة إمامهم

وكان ذلك من الإمام الحسن العسكري عليه السلام بعدد من الخطوات وهي بمجملها ترتبط بمسألة الوكالة والوكلاء التي اعتمدها والده الإمام علي الهادي عليه السلام، فكان نظام الخاصَّة هو المعتمد في الغيبة الصغرى التي استمرت حوالي سبعين عاماً وتعاقب فيها أربعة وكلاء معروفين، ثم بدأت مرحلة الغيبة الكبرى التي استمرت إلى اليوم

(١) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص٤٣٥، الشيخ الطوسي، الغيبة، ص٢٥٧.

(٢) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص٤٨٤.

وإلى ما شاء الله تعالى.

ففي رواية محمد بن إسماعيل وعلي بن عبد الله الحسنيان قالا: دخلنا على أبي محمد الحسن عليه السلام بسرَّ مَنْ رأى وبين يديه جماعة من أوليائه وشيعته حتى دخل عليه بدر خادمه، فقال: يا مولاي بالباب قوم شعث غبر، فقال لهم: (**هؤلاء نفر من شيعتنا باليمن**)، في حديث طويل يسوقانه إلى أن ينتهي إلى أن قال الحسن عليه السلام لبدر: (**فامض فأتنا بعثمان بن سعيد العمري**)، فما لبثنا إلا يسيراً حتى دخل عثمان، فقال له سيدنا أبو محمد عليه السلام: (**امض يا عثمان فإنك الوكيل والثقة المأمون على مال الله، واقبض من هؤلاء اليمنيين ما حملوه من المال**)، ثم ساق الحديث إلى أن، قالا: ثم قلنا بأجمعنا: يا سيدنا والله إن عثمان لمن خيار شيعتك ولقد زدتنا علماً بموضعه من خدمتك، وإنّه وكيلك وثقتك على مال الله، قال: **نعم، واشهدوا على أن عثمان بن سعيد العمري وكيلي، وأن ابنه محمداً وكيل ابني مهديكم**)[1].

هذا النظام الراقي بهذا البيان المحكم من الإمام الحسن العسكري عليه السلام أوضح للأمة الإسلامية معالم القيادة الربانية فيها، ولم يتركهم هملاً كما يدَّعي الآخرون من اتباع الحكام، والطغاة الظالمين، «فإعداد الأُمة المؤمنة بالإمام المهدي عليه السلام لتقبّل هذه الغيبة التي تتضمّن انفصال الأُمة عن الإمام بحسب الظاهر، وعدم إمكان ارتباطها به، وإحساسها بالضياع، والحرمان من أهم عنصر كانت تعتمد عليه وترجع إليه في قضاياها، ومشكلاتها الفردية والاجتماعية، فقد كان الإمام حصناً منيعاً يذود عن أصحابه، ويقوم بتلبية حاجاتهم الفكرية والروحية والمادية في كثير من الأحيان.

فهنا صدمة نفسية وإيمانية على الرغم من أن الإيمان بالغيب يشكّل عنصراً من عناصر الإيمان المصطلح؛ لأنّ المؤمنين كانوا قد اعتادوا على الارتباط المباشر بالإمام عليه السلام

(١) الطوسي، الغيبة، ص٣٥٦، المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥١، ص٣٤٦، الكلبيكياني، منتخب الأثر، ص٣٩٣، ح٢.

ولو في السجن، أو من وراء حجاب، وكانوا يشعرون بحضوره وتواجده بين ظهرانيهم ويحسّون بتفاعله معهم، والآن يُراد لهم أن يبقى هذا الإيمان بالإمام حيّاً وفاعلاً وقويّاً بينما لا يجدون الإمام في متناول أيديهم وقريباً منهم بحيث يستطيعون الارتباط به متى شاءوا».[١]

ولتخفيف تلك الصدمة هيَّأهم الإمام الهادي أولاً، ثم الإمام العسكري عليهما السلام لتلك المرحلة العصيبة غير المعهودة، فأعدُّوهم الإعداد الديني، والعقائدي، والثقافي الفكري بتقوية عقائدهم بأصل الإمامة، وأعدوهم الإعداد النفسي والروحي بوجود القيادة الشرعية التي تكون صلة الوصل بين الأمة، والإمام عليه السلام.

وكان يؤكد الإمام العسكري عليه السلام على مبدأ الإيمان بأصل الإمامة والولاية المرتبطة بالغيب، وشجّع شيعته على الثبات، والصبر، وانتظار الفرج، فقد حدّث أبو علي بن همّام، قائلاً: سمعتُ محمد بن عثمان العمري (قدس الله روحه)، يقول: سمعتُ أبي يقول: سُئل أبو محمد الحسن بن علي عليهما السلام، وأنا عنده عن الخبر الذي روي عن آبائه عليهم السلام: **(إنّ الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه إلى يوم القيامة، وأن مَنْ مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية)**، فقال عليه السلام: **(إنّ هذا حقّ كما أنّ النهار حق)**، فقيل له: يا ابن رسول الله فمَنْ الحُجة والإمام بعدك؟ فقال: **(ابني محمّد هو الإمام والحجة بعدي مَنْ مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية، أَمَا إنّ له غيبة يحار فيها الجاهلون، ويهلك فيها المبطلون، ويكذب فيها الوقّاتون، ثم يخرج فكأني أنظر إلى الأعلام البيض تخفق فوق رأسه بنجف الكوفة)**[٢].

وحدّث موسى بن جعفر بن وهب البغدادي، فقال: سمعت أبا محمد الحسن عليه السلام يقول: «**كأني بكم وقد اختلفتم بعدي في الخلف منّي، أما إن المقرّ بالأئمة بعد رسول**

(١) أعلام الهداية، الإمام العسكري عليه السلام، ص١٦٦.

(٢) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص٤٠٩، القمي، الخزاز، كفاية الأثر، ص٢٩٦.

الله صلى الله عليه وآله المنكر لولدي كمَنْ أقرّ بجميع أنبياء الله، ورسله ثم أنكر نبوّة رسول الله صلى الله عليه وآله، والمنكر لرسول الله صلى الله عليه وآله كمَنْ أنكر جميع الأنبياء؛ لأن طاعة آخرنا كطاعة أوّلنا والمنكر لآخرنا كالمنكر لأوّلنا، أَمَا إنّ لولدي غيبة يرتاب فيها الناس إلّا من عصمه الله عزّ وجل»[1].

وحدّث الحسن بن محمد بن صالح البزّاز، قائلاً: سمعتُ الحسن بن علي العسكري عليهما السلام، يقول: (**إنّ ابني هو القائم من بعدي، وهو الذي يُجري فيه سنن الأنبياء بالتعمير، والغيبة حتى تقسو القلوب لطول الأمد، فلا يثبت على القول به إلّا من كتب الله عزّ وجلّ في قلبه الإيمان، وأيّده بروح منه**)[2].

تكليف الشيعة في عصر الغيبة

والغيبة ـ كما مرّ من قبلُ ـ غيبتان، صغرى كان فيها أربعة وكلاء معروفين للإمام الحجة بن الحسن المهدي عجل الله فرجه الشريف وهم (عثمان بن سعيد العمري، وابنه محمد بن عثمان، والحسين بن روح النوبختي، وعلي بن محمد السمَّري)، ودامت وكالتهم حوالي سبعين عاماً، خرج على أيديهم الكريمة الكثير من الرسائل، والمسائل وحل الكثير من المعضلات المختلفة، ولكن بعد هؤلاء الكرام الأربعة جاء الأمر بالغيبة الكبرى التي استمرت إلى اليوم، وإلى ما شاء الله، فهي غيب وسر لله سبحانه.

ولكن لا بدَّ للأمة من قيادة شرعية، كما نعتقد ونؤمن فكيف الحل، وما هو الطريق المأمون لمعرفة أحكام الله التي لا بد منها، وما هو تكليفنا في عصر ومصر، وهنا كان الإبداع الولائي بتفويض الأمر إلى الوكلاء العامين حيث أعطى الإمام الصفاة العامة للوكيل فكل مَنْ يتَّصف بتلك الصفاة يكون وكيلاً عن إمامه وأوجب العقل والنقل على الأمة تقليده، واتباع رأيه في المستجدات في هذه الحياة، فالأئمة هم

(١) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص٤٠٩، القمي، كفاية الأثر، ص٢٩٦.

(٢) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص٥٢٤.

الذين أمروا الشيعة بالرجوع إلى العلماء الفقهاء العدول من أتباعهم، وأعطاهم الإمام الصادق عليه السلام صبغته التشريعية، بقوله: (**ينظر مَنْ كان منكم ممَّن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا، وحرامنا وعرف أحكامنا، فليرضوا به حكماً فإني قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه، فإنما استخفّ بحكم الله وعلينا ردّ، والرادّ علينا رادّ على الله وهو على حدّ الشرك بالله**).[1]

وتعززت تلك الفكرة في الأذهان في عصر الإمام الهادي عليه السلام الذي كان له الأثر البارز في إعطاء الصيغة الاجتماعية الكاملة لمرجعية العلماء والفقهاء الوكلاء، فقد قال عليه السلام: (**لولا مَنْ يبقى بعد غيبة قائمكم عليه السلام من العلماء الداعين إليه والدالّين عليه، والذابّين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب لما بقي أحد إلّا ارتدّ عن دين الله، ولكنهم الذين يمسكون أزمّة قلوب ضعفاء شيعتنا كما يمسك صاحب السفينة سكّانها، أُولئك هم الأفضلون عند الله عزَّ وجلَّ**)[2].

إن فكرة إرجاع الأُمّة إلى الفقهاء العدول هو في الحقيقة ضرورة: «لأن الأجيال المسلمة تحتاج باستمرار إلى المرشد والموجه والمفكّر المُدَّبر كي يعطيهم تعاليم دينهم ويرتفع بمستوى إيمانهم وعقيدتهم ويشرح لهم إسلامهم ويوجههم في سلوكهم إلى العدل والصلاح ورضا الله عزّ وجلَّ»[3].

وهكذا كان الإمام الحسن العسكري عليه السلام يهيِّئ الأمة قولاً وفعلاً لعصر الغيبة، فيُروى أنه احتجب عن الشيعة عندما ازدادت الضغوط السياسية عليهم، واتخاذ

(١) الكليني، الكافي، ج١، ص٥٤، ح١٠، ج٧، ص٤١٢، ح٥، الطوسي، التهذيب، ج٦، ص٢١٨، ح٥١٤، ص٣٠١، ح٨٤٥، الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٢٧، ص١٣٦، ح١، ب١١.

(٢) الطوسي، الاحتجاج، ج٢، ص٢٦٠.

(٣) الصدر، محمد محمد صادق، تاريخ الغيبة الصغرى، ص٢١٩ بتصرف.

المراسلات، والتواقيع الخارجة عنه سبيلاً للتواصل من جهة، وطريقة للتمهيد عملياً، ولكن يبقى الإمام العسكري عليه السلام هو الذي قطع للأمة بوجوب الرجوع إلى الفقهاء العدول وتقليدهم، وأخذ معالم دينهم عنهم فيما جاء عنه عليه السلام الصحيح: **(فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلّدوه)**.[1]

وبهذه الخطوات الراكزة والمقصودة أكمل الإمام العسكري عليه السلام الدَّور الموكل إليه، والمناط به في هذه المرحلة المهمة من تأريخ الرسالة الإسلامية، فقد أنشأ مدرسة علمية لها الدَّور الأكبر في حفظ تراث أهل البيت الرسالي، ومبادئ الإسلام أوّلاً، ومن ثم كان لها الأثر الكبير في نشر فكرة الغيبة وتهيئته الذهنية العامة لتقبّلها ثانياً، وقد كان لها مساهمة فعّالة في توجيه شيعة الإمام عليه السلام بالرجوع إلى الفقهاء الذين هم حصن الإسلام الواقي للمسلمين من الأعداء ثالثاً[2].

وها نحن نعيش في ظل الغيبة الكبرى، وننتظر صاحب الطلة البهية، والغرة المحمدية، ونرى ونلمس تلك البركات، والخيرات التي ظهرت من ذاك النظام الراقي، ونتلمَّس الآثار الإيجابية لتلك المدرسة التي رعاها الإمام العسكري عليه السلام وعززها في تعاليمه ووصاياه والتي تتمثَّل في التزام الشيعة، وأتباع أهل البيت عليهم السلام بخط المرجعية المباركة.

فوجود الشيعة الكرام هو مدين لتلك الحقبة الحرجة، ولتلك التضحيات التي قدَّمها الإمام الحسن العسكري عليه السلام حتى قدَّم نفسه المقدسة على مذبح الدين والكرامة الإنسانية حيث استشهد وهو في ريعان شبابه، فواجبنا في عصر الغيبة الكبرى هو انتظار الفرج، وكثيرة الروايات التي جاءت في ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين عليه السلام

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص١٤١، في الاحتجاج، ج٢، ص٢٦٣.

(٢) أعلام الهداية الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص١٧٩.

وحتى الإمام العسكري عليه السلام تُشجع، وتحث الشيعة الكرام على الصبر، والصمود على عقائدهم، وانتظار فرج الله، وفرج صاحب الأمر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف.

فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: (**أفضل أعمال أمّتي انتظار الفَرَج من الله عزّ وجلّ**)(١)، وروى عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (**المنتظِر لأمرنا كالمتشحِّط بدمه في سَبيل الله**)(٢)، وروي عنه عليه السلام، أنه قال: (**طُوبى لشيعةِ قائمنا المنتظِرين لظهوره في غيبته، والمُطيعين له في ظهوره، أولئك أولياءُ الله الذين لا خوفٌ عليهم، ولا هم يحزنون**)(٣).

فعلينا أن نكون ممَّن ينتظر الإمام المهدي عليه السلام بإيجابية بحيث نسعى لنكون من جنده وأصحابه، والقادة في دولته في آخر الزمان، وهي دولة العدل المنتظرة، لا أن نكون سلبيين في انتظارنا، أو أن نُصاب باليأس من ظهوره، والعياذ بالله، ولا سيما في هذا العصر العجيب الذي كثُرت فيه الفتن، وكثر فيه الدجالون المدَّعون بدعاوي ما أنزل الله بها من سلطان.

وأسأل الله سبحانه أن يجعلنا من المؤمنين المنتظرين لظهور سيدنا ومولانا وهادينا ومهدينا، وأن يجعلنا من جنده ومقوية سلطانه، ولا يُبدل بنا غيرنا إنه ولي ذلك كله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق محمد وآله الطيبين الطاهرين ولا سيما مَنْ نحن في رحاب ذكره الشريف الإمام الحسن العسكري عليه السلام. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وتحياته.

---

(١) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص٥٨٤، حديث ٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٨٥، حديث ٦.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٣٥، حديث٥٤.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم الجزري (٥٥٥ـ٦٣٠ هـ)، الكامل في التاريخ، طباعة المنيرية، عام ١٣٥٧ هـ/ ١٩٣٨م.

٢. التفسير المنسوب إلى الإمام أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليهما السلام، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي، قم المقدسة.

٣. حسن، حسن إبراهيم (١٨٩٢ـ١٩٦٨م)، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت.

٤. الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين (٣٥٩ هـ ـ ٤٠٦ هـ)، نهج البلاغة، المجمع العالمي لاهل البيت، ١٣٨١هـ.ش.

٥. الشيرازي، السيد الشهيد حسن (١٩٣٧ ـ ١٩٨٠م)، كلمة الله، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر بيروت لبنان ـ ط٦ / ٢٠٠٦م.

٦. الصدر، محمد محمد صادق، تاريخ الغيبة الصغرى، دار التعارف للمطبوعات. بيروت ـ لبنان، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م

٧. الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٠٥هـ ـ٣٨١ هـ)، كمال الدِّين وتمام النعمة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

٨. الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب، الاحتجاج، تحقيق، السيد محمد باقر الخرسان، نشر مركز الأبحاث العقائدية، طهران.

٩. الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ٢٠٠٦.

١٠. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (٤٦٠ ـ ٣٨٥ هـ)، الغيبة، تحقيق الشيخ

عبد الله الطهراني ـ مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدسة.

١١. الكلبايكاني، الشيخ لطف الله الصافي، منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر عليه السلام، مؤسسة الوفاء ـ بيروت، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٢. الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب، الرازي (ت سنة ٣٢٨ / ٣٢٩ هـ)، الكافي، مطبعة طهران، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٦٣هـ.ش.

١٣. لجنة التأليف المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، أعلام الهداية، المعاونية الثقافية للمجمع ـ بيروت ط٦ عام ١٤٣٠هـ.

١٤. المجلسي، الشيخ محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، (١٠٣٧ هـ ـ ١١١١ هـ) طبع مؤسسة الوفاء ـ بيروت ـ لبنان.

١٥. المدرسي، محمد تقي، النبي وأهل البيت عليهم السلام قدوة وأسوة، دار كميل، النجف.

البحث العاشر

ملامح الشخصية القيادية

للإمام الحسن العسكري عليه السلام

أ.م.د. أحمد علي عبود الخفاجي
جامعة الكفيل
عميد كلية القانون

أ.م.د. محسن كامل غضبان الخزاعي
جامعة الكفيل
تدريسي في كلية القانون

المقدمة

ينبغي أن ينطلق القائد المسلم من مبادئ الإسلام والعقيدة التي يؤمن بها، مُعتمداً على جملة من المبادئ تُحتِّم عليه أنْ يتعامل مع رعيته على وفق موازين الحق والعدل والإنصاف والمصالح الاجتماعية من دون النظر إلى أجناسهم، أو ألوانهم، أو أصولهم، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ**﴾[1]؛ لذا ينبغي على الحاكم أن يعمل على هذا الأساس ليسود العدل والإنصاف بين الناس، وإنَّ تلبية هذه الحاجة، وتحقيق هذا الغرض منوطٌ بتوافر مجموعة من الصفات تتحدد بها ملامح شخصيته القائد في الدولة الإسلامية لتؤهله للنهوض بأعباء الحكم، وأداء المهام الملقاة على عاتقه من حفظ الحقوق، والأموال، والأنفس، والأعراض.

ومن هذا المنطلق كان لابدَّ للقائم مقام النبي صلى الله عليه وآله أن يتحلّى بذات الصفات التي مكنت الأنبياء من أداء تلك المهام على الوجه الأكمل، فهو ـ أي الإمام ـ «ليس مجرّد من يأخذ بزمام الجماعة كيفما كان، ويأمر وينهى بما تشتهيه نفسه، ويحكم على الناس لمجرّد السلطة، وشهوة الحكم، بل هو ذو مسؤوليّة كبيرة وثقيلة»[2]، تحدث عنها القرآن بقوله: ﴿**الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾[3]، وهذا يعني أنَّ الحاكم يجب أنْ يتمتع

(١) سورة النساء، الآية ٥٨.

(٢) السبحاني، مفاهيم القرآن، ج٢، ص٣٤.

(٣) سورة الحج، الآية ٤١.

بلياقات وكمالات يستحق بها الارتقاء إلى هذا المنصب الخطير، والحساس[1].

وتجدر الإشارة إلى أنَّ هذه الكمالات في تطور دائم ما دامت متطابقة مع إرادة الله تعالى، كونه يسير على وفق منهج رباني يتجلّى في العبادة، والصبر، واليقين، واستشعار الرقابة الإلهية، والارتباط الروحي بالملكوت الأعلى، وما إلى ذلك من الصفات.

وإذا كان الأمر كذلك، فإنَّ التساؤل الذي ينبثق في الذهن، هو: هل للحاكم الذي يقوم مقام النبي صلى الله عليه وآله من صفات تحدد ملامح شخصيته بوصفة يمثل قمة الهرم في الدولة الإسلامية، ومقارنة ذلك في شخصية الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وبناءً على هذا التساؤل، فقد انقدحت في الذهن جملة من الفرضيات والتساؤلات ننوي التحقق منها عبر هذه الدراسة، ومن تلك الفرضيات:

١- هل ثمة صفات استثنائية يجب أن يتحلّى بها الإمام في الدولة الإسلامية بوصفه قائم مقام النبي صلى الله عليه وآله ليكون لائقاً للارتقاء إلى هذا المقام.

٢- إذا كانت الإمامة هي خلافة النبي صلى الله عليه وآله بعد وفاته، فما الكيفية لاختيار الإمام الذي يأخذ على عاتقه النهوض بأعباء الخلافة؟

٣- إذا كان الغرض من الإمامة حفظ الشريعة، وتدبير شؤون الناس، فهذا يعني أنَّها شأنٌ اجتماعي، وعليه فلا داعي؛ لأن يشترط بها النصِّ والتعيين من الله تعالى.

٤- وإذا كان ثمة خصائص وصفات في شخص الإمام، فهل أشار إليها القرآن الكريم، وهل توجد شواهد قرآنية على تحققها في الأئمة عليهم السلام.

وللإيفاء بهذه الفرضيات، والتساؤلات العلمية التي تقوم عليها هذه الدراسة سيحاول البحث الإجابة عنها استيفاءً لها عبر مجموعة من الخصائص كانت على

(١) ينظر: السبحاني، مفاهيم من القرآن، ج٢، ص١٤ ـ ٧٦.

النحو الآتي: الخصوصية الأولى: (أن يكون منصوصاً عليه من الله تعالى)، الخصوصية الثانية: (يجب أن يكون معصوماً)، والخصوصية الثالثة: (العبودية الخالصة لله وحده)، الخصوصية الرابعة: (التحلّي بالصبر بمفهومه العام)، الخصوصية الخامسة: (بلوغ أعلى درجات اليقين)، الخصوصية السادسة: (التحلّي بملكة العلم)، الخصوصية السابعة: (سلامة البدن من المنفرات).

بعد ذلك ذُيل البحث بخاتمة رصدت أهم النتائج التي توصل إليها البحث، والله وليُّ التوفيق.

الخصوصية الأولى أن يكون منصوصاً عليه من الله تعالى:

يعتقد أتباع أهل البيت عليهم السلام أنَّ الإمامة إنّما هي إمرةٌ إلهية، وجعلٌ رباني على حدٍّ جعل النبوة، وعليه فهي عندهم أصلٌ من أصول الدين؛ ولذا قال الشيخ محمد رضا المظفر: «نعتقد أن الإمامة أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها، ولا يجوز فيها تقليد الآباء، والأهل، والمربين مهما عَظُمُوا وَكَبُرُوا، بل يجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنبوة»(١).

ولأجل ذلك لم تهمل الشريعة هذا الأصل الذي تتوقف عليه ديمومة الدين، وتُدرأ به الشبهات، وتصان به المقدسات، وتحفظ به الحقوق، فقد وضَّحته بالعبارة تارة، وبالتلويح والإشارة تارة أخرى، مثل قوله تعالى: ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ**﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿**وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾(٣)، وقوله جلَّ وعلا: ﴿**وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً**﴾(٤)، وما إلى ذلك من النصوص التي تؤشر إلى

(١) المظفر، محمد رضا، عقائد الإِمَامِيَّة، ص٧٣.

(٢) سورة القصص، الآية ٦٨.

(٣) سورة القصص، الآية ٥.

(٤) سورة الفرقان، الآية ٧٤.

أنَّ صيغة الحكم إنّما هي صيغة تنصيصية على غرار حكومة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله[١].

ومن أبرز النصوص التي يتمسك بها أتباع أهل البيت عليهم السلام في الدلالة على مبدأ التنصيص الإلهي في الإمامة قوله تعالى: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾[٢]، فإمامة إبراهيم عليه السلام تعدُّ من الخصائص التي انفرد بها بعد اجتيازه لمجموعة من الابتلاءات، إذ صيّره تعالى إماماً للناس يقتدون به ويتبعون هديه، فالآية من منظور اتباع آل البيت عليهم السلام فيها من الوضوح ما يكفي للاستدلال على مفهوم الإمامة والعصمة في كتاب الله العزيز، فقد قرَّرت الآية أنَّ الإمامة عهد من الله، وعهدُ الله لن يكون في الظالمين؛ لأنَّ الظلم يعني تعدي الحدود الإلهية ولو لمرة واحدة، بدلالة قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ الله فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ الله فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾[٤]، وأعلى مراتب الظلم هو الشرك بالله، لقوله تعالى: ﴿**يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِالله إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾[٥]، والظلم بشتى مراتبه مانعٌ من نيل هذا المنصب الإلهي حتى في حال التوبة منه؛ إذ يبقى التائب مشمولاً بقوله تعالى: ﴿**لاَ يَنَالُ عَهْدِيْ الظَّالِمِيْنَ**﴾، وصلاحيته للارتقاء إلى هذا المنصب تحتاج إلى دليل، والدليل مفقود في هذا المقام[٦].

ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ القرآن الكريم استعمل الاصطلاح نفسه الذي استعمله في النبوة، وهو اصطلاح (جاعل، وجعلنا) كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ**

(١) لمعرفة المزيد ينظر: صبحي، أحمد محمود، نظرية الإمامة لدى الشِّيَعة الاثني عشرية، ص١٩.
(٢) سورة البقرة، الآية ١٢٤.
(٣) سورة البقرة، الآية ٢٢٩.
(٤) سورة الطلاق، الآية ١.
(٥) سورة لقمان، الآية ١٣.
(٦) ينظر: السبحاني، الإلهيات: ج٤، ص١٢٢.

﴿رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، وقوله تعالى لداوود عليه السلام: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾[2]، الأمر الذي يعني أنَّ الإمامة لا تكون إلا بجعلٍ من الله تعالى؛ لأنها تمثل القيادة العامة على الصعد، والمستويات كافة.

وفي آياتٍ أخرى يؤشر القرآن الكريم نحو الاتجاه الذي يؤكد مبدأ التنصيص في الإمامة، فقد استدلَّ أتباع أهل البيت عليهم السلام على مبدأ الجعل الإلهي في الإمامة بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[3]، فالآية نزلت في أُخريات حياة النبي صلى الله عليه وآله، وهي من منظور أتباع آل البيت عليهم السلام نزلت بحق علي عليه السلام، إذ يرون أنَّ «لها نفساً خاصاً يميزها عما قبلها وعما بعدها من آيات، أنّها تتوجه بالخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وحده، وتُبيِّن له واجبه، فهي تبدأ بمخاطبة الرسول: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ وتأمره بكل جلاء ووضوح أن ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾، ليكون التوكيد أشد، وأقوى تحذره، وتقول: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، ثم تطمئن الآية الرسول صلى الله عليه وآله وكأنَّ أمراً يُقْلِقُهُ وتطلب منه أن يُهَدِّئ من روعه وأن لا يخشى الناس: فيقول له: ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾»[4].

فالآية بحسب عقيدة أتباع أهل البيت عليهم السلام، وجمع ممن يشاطرهم الرأي نزلت في حادثة غدير خم، وهي تأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بتنصيب علي عليه السلام خليفة من بعده،

---

(١) سورة البقرة، الآية ٣٠.

(٢) سورة ص، الآية ٢٥.

(٣) سورة المائدة، الآية ٦٧.

(٤) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل، ج٤، ص٨٣.

وقد أكَّدت هذا المعنى جملة من الروايات من طرق العامة والخاصة[١]، وعليه يكون ما أُنزل إلى النبي صلى الله عليه وآله من ربِّه هو منصب الإمامة الذي يؤشر إلى تحديد صيغة الحكم من بعده.

في حين يرى أتباع المدرسة الأخرى أنَّ قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**﴾ نزل بعد ما استهزأ اليهود بالنبي صلى الله عليه وآله، وكذَّبوه حين دعاهم إلى الإسلام، ولمّا رأى منهم ذلك سكت عنهم، فأمره الله تعالى أن يدعوهم إلى الإسلام ولا يمنعه عن ذلك تكذيبهم، واستهزاؤهم به، فقال له: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ...**﴾ أي الذي أُنزل من القرآن ﴿**وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ**﴾ بمعنى أنَّك إن لم تُبَلِّغ جميع ما أُنزِل إليك ﴿**فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾، أي كأنَّك لم تُبَلِّغ شيئاً من رسالته بوصفه مأموراً بتبليغ جميع الرسالة، فإذا ترك بعضاً منها صار بمنزلة التارك للكل[٢]، وهذا الاتجاه لا ينسجم مع وفرة النصوص الدالة على مبدأ التنصيص في الإمامة.

ومن هذا المنطلق يتعين أن يكون مبدأ التنصيص الإلهي على الإمامة هو المبدأ الأكثر مقبولية نظراً لوفرة النصوص الدالة عليه من الكتاب، والسنة الشريفة؛ ولذا قال ابن سينا في بيان أفضل أساليب الحكم في الدولة الإسلامية ما نصُّه: «الاستخلاف بالنص أصوب، فإنَّ ذلك لا يؤدي إلى التشعب، والتشاغب، والاختلاف»[٣].

---

(١) إنَّ عملية تتبع الروايات الخاصة بشأن نزول هذه الآية، يتطلب وقتاً كبيراً ومؤلفاً خاصاً وهذا يخرج البحث عن وجهته الصحيحة، وعليه يكتفى بالإحالة لمن أراد الاستزادة إلى كتاب الدر المنثور للسيوطي، وكتاب الغدير للعلّامة الأميني، إذ ينقل في هذا الكتاب حديث الغدير عن ١١٠ من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله مع اسنادها، وعن ٨٤ من التابعين، وعن ٣٦٠ من العلماء والأدباء المسلمين المعروفين، وكتاب إحقاق الحق للقاضي نور الدين التستري، وكتاب المراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدين، وكتاب دلائل الصدق للشيخ محمد حسن المظفر.

(٢) ينظر: تفسير السمرقندي، ج١، ص٤٢٨.

(٣) ابن سينا، الشفاء، ج٢، ص٤٥٢.

وعند قولنا بوجوب النص على إمامة الحسن العسكري عليه السلام، فهناك العديد من الروايات عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت عليهم السلام على إمامته، وتنصيبه علماً ومرجعاً لشيعة أهل البيت، والغرض من ذلك هو لإرشادهم إلى مرجعها العام، وقائدها الروحي، وقد أثرت عنهم عليهم السلام عدة أخبار في إمامة الحسن العسكري عليه السلام، وهذه بعضها:

عن محمد بن علي بن الفضل بن تمام الزيات رضوان الله عليه، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثني عباد بن يعقوب، قال: حدثني موسى بن عثمان، قال: حدثني الأعمش، قال: حدثني أبو إسحاق، عن الحارث وسعيد بن قيس، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا واردكم على الحوض، وأنت يا علي الساقي، والحسن الذائد، والحسين الآمر، وعلي بن الحسين الفارض، ومحمد بن علي الناشر، وجعفر بن محمد السائق، وموسى بن جعفر محصي المحبين والمبغضين، وقامع المنافقين، وعلي بن موسى مزين المؤمنين، ومحمد بن علي منزل أهل الجنة في درجاتهم، وعلي بن محمد خطيب شيعته ومزوجهم الحور (العين)، والحسن بن علي سراج أهل الجنة يستضيئون به، والقائم شفيعهم يوم القيامة حيث لا يأذن الله إلا لمن يشاء ويرضى»[1].

وأثرت نصوص أخرى عن الإمام علي الهادي عليه السلام في إمامة ولده الحسن العسكري عليه السلام، ومنها:

١- روى يحيى بن يسار العنبري، قال: أوصى أبو الحسن علي بن محمد إلى ابنه أبي محمد الحسن قبل موته بأربعة أشهر، وأشار إليه بالأمر من بعده، وأشهدني على ذلك وجماعة من الموالي[2].

---

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين، ج١، ص٩٤ ـ ٩٥.

(٢) الكليني، أصول الكافي، ج١، ص٣٢٥؛ ابن الصباغ، الفصول المهمة، ص٦٦.

٢- روى شاهويه بن عبد الله الجلاب، قال: كتب إليّ أبو الحسن: أردتَ أن تسأل عن الخلف بعد أبي جعفر، وقلقت لذلك، فلا تغتم فإنَّ الله عزّ وجلَّ ﴿**لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ**﴾ وصاحبك بعدي أبو محمد ابني، وعنده ما تحتاجون إليه، يقدم الله ما يشاء، ويؤخر ما يشاء الله ﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهِ**﴾، قد كتبت بما فيه بيان وقناع لذي عقل يقظان[١].

٣- روى عبد العظيم بن عبد الله الحسن عن علي بن محمد عليه السلام أنه، قال: الإمام من بعدي الحسن ابني، فكيف للناس بالخلف من بعده[٢]؟

٤- روى عبد الله بن محمد الأصفهاني، قال: قال أبو الحسن: صاحبكم بعدي الذي يصلي عليَّ، قال: ولم نكن نعرف أبا محمد قبل ذلك، فلما مات أبو الحسن عليه السلام خرج أبو محمد عليه السلام فصلّى عليه[٣].

٥- وجاء عن أحمد بن عيسى العلوي من ولد علي بن جعفر أنه قد دخل على أبي الحسن عليه السلام بـ (صريا) فسلّم عليه، وإذا بأبي جعفر وأبي محمد قد دخلا، فقاموا إلى أبي جعفر ليسلّموا عليه، فقال أبو الحسن عليه السلام: ليس هذا صاحبكم، عليكم بصاحبكم وأشار إلى أبي محمد[٤].

ولذا فإن الإمام الهادي عليه السلام عمد بالنص على الإمام الحسن العسكري عليه السلام بالتدرج خشية وخوفاً عليه من السلطة، إذ كان عليه السلام له أسلوبه خاص لطرح إمامة ابنه الحسن العسكري عليه السلام بما يتناسب مع مهمته المستقبلية في الحفاظ على حجّة الله ووليّه الذي سيولد في ظرف حرج جدّاً؛ ليتسنّى لأتباعه الانقياد للإمام من بعده

(١) الكليني، أصول الكافي، ج١، ص٣٢٨.
(٢) الصدوق، إكمال الدين، ج٢، ص٥٥.
(٣) الطبرسي، إعلام الورى، ج١، ص٣٢٥.
(٤) الطوسي، الغيبة، ص١٢٠.

والتسليم له فيما سيخبر به من وقوع الولادة وتحقّق الغيبة وتحقّق الارتباط به عبر سفيره الذي تعرّفت عليه الشيعة ووثقت به، ولهذا فقد تفنّن الإمام الهادي عليه السلام في كيفية طرح إمامة الحسن عليه السلام[١].

وعلى الرغم من كثرة الروايات الدالة على إمامة الحسن العسكري عليه السلام فإن بعض الشبهات أوجدت حالة من التضليل وخلط الأوراق في الوسط الشيعي، فبعضها يرتبط بمسألة الإمامة والقيادة والتشكيك بإمامة العسكريين عليهما السلام عبر طرح أسماء أخر ادعي لها هذا المقام، وبعضها ادعاء انقطاع الإمامة[٢].

الخصوصية الثانية: يجب أن يكون معصوماً:

تُعدُّ العصمة من الكمالات ذات الأثر الخاص في بلوغ مرتبة الإمامة بوصفها الطريقة المثلى في استشعار الرقابة الإلهية، وبلوغ أعلى درجات التقوى، وهي موهبةٌ مفاضةٌ من الله تعالى بشرط تحقق دواعي إفاضتها، لذا قال الشيخ المفيد: «العصمة تفضُّلٌ من الله على من علم أنّه يتمسك بعصمته»[٣]، وهي من لوازم الإمامة وفق المنظور الإمامي، فلا يكون الإمام إماماً ما لم يكن معصوماً، وهو ما أكّده الشيخ المفيد في (أوائل المقالات) بقوله: «واتَّفَقَتْ الإماميّةُ على أن إمام الدين لا يكون إلّا معصوماً من الخلاف للهِ تعالى، عالماً بجميع علوم الدين، كاملاً في الفضل، بايناً من الكلِّ بالفضل عليهم في الأعمال التي يُسْتَحَقُّ بها النعيم المُقيم»[٤].

---

(١) إمامة الإمام الحسن العسكري عليه السلام والظروف المحيطة بها، د. جاسم ياسين الدرويش ورواء عبد الحسين، (بحث منشور) في مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، العدد ٣/ ب، المجلد ٤٣، ٢٠١٨م، ص١٩٠.

(٢) جهود الإمامين العسكريين عليهما السلام في التصدّي لبعض الإشكاليات الفكرية، إبراهيم، د. محمد حمزة، (بحث منشور) في مجلة تراث سامراء، العدد ١، السنة ١، ص٩٤.

(٣) المفيد، تصحيح اعتقادات الإمامية، ص٦١.

(٤) المفيد، أوائل المقالات، ص٣٩-٤٠.

والقول بتوافر مَلَكةِ العصمة في الإمام له أدلَّته من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيْمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّيْ جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامَاً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِيْ قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِيْ الظَّالِمِيْنَ**﴾[١]، فالآية فيها مستوى عالٍ من الوضوح للدلالة على مفهوم العصمة، إذ نَسَبَ تعالى الإمامة إلى نفسه، فقال: ﴿**عَهْدِيْ**﴾، الأمر الذي يعني أنَّ الإمامة ميثاق، وعهدٌ من الله لا ينالُ الظالمَ، وقد سُئل أحد أساتيذ السيد الطباطبائي عن تقريب دلالة الآية على عصمة الإمام، فأجاب: «أن الناس بحسب القسمة العقلية على أربعة أقسام: من كان ظالماً في جميع عمره، ومن لم يكن ظالماً في جميع عمره، ومن هو ظالم في أول عمره دون آخره، ومن هو بالعكس، هذا وإبراهيم عليه السلام أَجَلُّ شأناً من أن يَسأل الإمامة للقسم الأول والرابع من ذريته، فبقي قسمان: وقد نفى الله أحدهما، وهو الذي يكون ظالماً في أول عمره دون آخره، فبقي الآخر وهو الذي يكون غير ظالم في جميع عمره»[٢].

ومن النصوص الدالة على ضرورة عصمة الإمام، قوله تعالى: ﴿**أَطِيْعُوْا اللهَ وَأَطِيْعُوْا الرَّسُوْلَ وَأُوْلِيْ الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾[٣]، فقد جَمَعَتْ الآية بين طاعة الله تعالى وطاعة الرسول صلى الله عليه وآله وأولي الأمر معاً، وقد ورد لفظ الطاعة في قوله: ﴿**أَطِيْعُوْا اللهَ وَأَطِيْعُوْا الرَّسُوْلَ** ...﴾، مطلقاً من التقييد وهذا إنّ دلَّ فإنّه يدلُّ على عصمتهم جميعاً؛ لذا استدلَّ السيد الطباطبائي على عصمة أولي الأمر من الآية بقوله: «ولا يجوز على الرسول أن يأمر بمعصية أو يغلط في حكم فلو جاز شيء من ذلك على أُولي الأمر لم يّسَعْ إلّا أن يذكر القيد الوارد عليهم، فلا مناص من أخذ الآية مطلقة من دون أيّ تقييد، ولازمه اعتبار العصمة في جانب أولي الأمر كما أُعتُبِرَ في جانب رسول

(١) سورة البقرة، الآية ١٢٤.

(٢) الطباطبائي، الميزان، ج١، ص٢٧٤.

(٣) سورة النساء، الآية ٥٩.

الله صلى الله عليه وآله»[1]؛ لأنَّ غير المعصوم قد يأمر بمعصية وعندها تُحَرُمُ طاعته فيها.

وقد تحلّى الإمام الحسن العسكري عليه السلام بالعصمة التي هي شرط أساس في الإمام عند الشيعة الإمامية، ويعنون بها امتناعه عن اقتراف الذنوب عمداً وسهواً، وقد شنَّ خصوم الشيعة عليهم ـ بسبب ذلك ـ حملة شعواء، عادّين في زعمهم أنه لا فرق بين الإمام، وسائر الناس في اقتراف الذنب، وارتكاب المعصية، وهذا القياس لا واقع له موازين العلم، فإن الدراسة الجادة لسيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام تعطينا هذه النتيجة بوضوح، فإنَّ كل واحد منهم لم يؤثر عنه في جميع أدوار حياته ومراحلها أنه اقترف ذنباً، أو شذ في سلوكه عما أمر الله به، ألم يقل سيد العترة الطاهرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله تعالى في جلب شعيرة، وأسلبها من فم جرادة، ما فعلت»، أليست هذه هي العصمة؟

إن الحق بجميع مظاهره وصوره وألوانه قد تجلّى في سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام، والمتتبع لسلوكهم والقارئ لسيرتهم لا يجد لهم أية زلة في القول ولا في العمل، وإنما يجد الإيمان والتقوى في الدين ماثلة فيهم، ولا نعني بالعصمة إلّا ذلك، وبذلك يمكن القول: إن من أبرز القيم الأصيلة والمثل العليا التي تحلّى بها الإمام الزكي أبو محمد عليه السلام هي العصمة.

الخصوصية الثالثة: العبودية لله تعالى.

إنَّ الله تعالى خلق الإنسان من روح وجسد، فالجسد مخلوق أرضي مزوَّد بقوَّةِ الوَهْمِ، والشْهوَةِ، والغضَبِ، والروحُ مخلوق ملكوتي مزوَّدة بقوَّة العقل الذي يمتلك القابلية على تنمية الكمالات النفسانية التي تؤهل الإنسان لخلافة الأرض يأتي في صدارة تلك الكمالات بلوغ أعلى درجات القرب من الله تعالى عن طريقة العبودية الحقة

(١) الطباطبائي، الميزان، ج٤، ص٣٩١.

بوصفها غاية خلق الإنسان لقوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾(١)، لأنَّ العبودية الحقة أداة ضابطة لتصرفات الإنسان، وطريقٌ موصلة إلى أعلى درجات الكمال؛ لذا أمر الله تعالى بها عباده الصالحين، بقوله: ﴿**اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾(٢)، وقال أيضاً: ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾(٣)، وبها أرسل الله تعالى جميع أنبيائه عليهم السلام، فقد قال: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾(٤).

فالعبودية إذن مرتبة من مراتب الأولياء، ومُؤهِّلٌ من مُؤهِّلات الاصطفاء لمنصب الإمامة، قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ**﴾(٥)، فالآية تثبت أنَّ مقام الإمامة هو مقامٌ جعليٌ موهوبٌ من الله تعالى نظراً لتوفر شروطه، وتحقق موجباته التي يأتي في مقدمتها شرط العبودية لله تعالى بعد أن قررت الآية الكريمة أن الجعل في الإمامة ناظرٌ إلى ملكة العبودية له وحده، إذ قالت: ﴿**وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ**﴾.

ثم يذكر القرآن الكريم ثمرة هذا الجعل، فيقول: ﴿**يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ**﴾، والملاحظ أنَّ القرآن الكريم لم يقل: وأوحينا لهم أن اعملوا الخيرات، وإنّما قال: وأوحينا لهم فعل الخيرات، فالقول الأول لا يدل على وقوع الفعل، وتحققه في الخارج، وأمّا القول الثاني فيدلُّ على أنّ ما فعلوه من الخيرات إنما هو بوحي باطني وتأييد سماوي، وهذا يعني أنَّ افعال الإمام خيرات

(١) سورة الذاريات، الآية ٥٦.
(٢) سورة الاعراف، الآية ٥٩.
(٣) سورة الأنبياء، الآية ٩٢.
(٤) سورة الأنبياء، الآية ٢٥.
(٥) سورة الأنبياء، الآية ٧٣.

يهتدى إليها لا بهداية من غيره بل باهتداء من نفسه بتأييد إلهي، وتسديد رباني[١].

وتأسيساً على ما تقدم يتضح أنَّ الملاك في الإمامة المجعولة من الله تعالى هو ملاك العبودية، فقد ذكر السيد الطباطبائي أنَّ النص: «يدل بظاهره على أنَّهم كانوا قبل ذلك عابدين لله، ثم أُيِّدوا بالوحي، وبيَّن أنَّ عبادتهم لله إنَّما كانت بأعمال شَرَعَها لهم الوحي المشَّرع قبلاً»[٢]، وقد ذكر السيد العلّامة أنَّ الوحي المتعلّق بفعل الخيرات إنّما هو وحي تسديد وليس وحي تشريع، ثم انتهى إلى نتيجة مفادها هي: أنّهم كانوا مؤيَّدين بروح القدس والطهارة، مُسَدَّدينَ بقوة ربانية تدعوهم إلى فعل الخيرات وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة[٣].

ولعل الظاهرة المتميزة في شخصية الإمام العسكري عليه السلام الخشية من الله تعالى والعبودية له منذ طفولته عليه السلام، فقد كان خائفاً وجلاً منه، فقد روى المؤرخون أن شخصاً مرَّ به وهو واقف مع أترابه من الصبيان يبكي، فظنَّ ذلك الشخص أن هذا الصغير يبكي متحسراً على ما في أيدي أترابه؛ ولذا فهو لا يشاركهم لعبهم، فقال له: أشتري لك ما تلعب به؟ فردَّ عليه:

- «لا، ما للعب خلقنا! ..».
- وبهر الرجل فقال له: «لماذا خلقنا؟ ..».
- «للعلم والعبادة».
- «من أين لك هذا؟».
- «من قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً﴾».

---

(١) ينظر: الطباطبائي، الميزان، ج١، ص٢٧٤.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٢٧٤.

(٣) المصدر نفسه، ج١٤، ص٣٠٥.

وبهت الرجل، ووقف حائراً، وانطلق يقول له: «ما نزل بك، وأنت صغير لا ذنب لك!!؟».

- «إليك عني، إني رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار، فلا تتقد إلّا بالصغار، وإني أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم..»[1]، ولقد كان الإيمان بالله تعالى عنصراً من عناصره، ومقوماً من مقوماته، فلم يخشَ إلّا الله، ولم يخف إلا منه، وظلت هذه الظاهرة ملازمة له طوال حياته.

الخصوصية الرابعة: التحلي بالصبر بمفهومه العام.

يُعدُّ الصبر من أبرز الفضائل التي أكَّدها القرآن الكريم بما لا مزيد عليه بوصفه مناط جميع الكمالات الإنسانية، وترجع عناية القرآن به لما له من أهمية كبيرة في حياة الإنسان بوصفه مفتاح سعادته، وحبل نجاته من المهالك، إذ إنَّه يزود الإنسان بوقود الإرادة، ويحرك عنده روح العزيمة والإصرار، والآيات الواردة في فضيلة الصبر تخْرُجُ عن حد الاستقصاء، فقد دار الحديث عنه بما يربو على سبعين موضعاً قرآنياً فضلاً عن الأخبار المادحة له التي تجعله بمثابة الرأس من الجسد، فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «الصبر من الإيمان بمنزلة الصبر من الجسد، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد، كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان»[2].

ولو نظرنا إلى مراتب الكمالات الإنسانية لرأينا أنَّها منوطة بالصبر، ومضافةٌ إليه، فالحِلْمُ صْبرٌ عن الاستسلام لثورة الغضب، والعفَّةُ صبرٌ عن إجابة نداء الشهوة، والعفو صَبْرٌ عن الاستسلام لداعي الانتقام، وما إلى ذلك من الكمالات، فما من

(١) جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام، ص١٥٥؛ دائرة المعارف للبستاني، ج٧، ص٤٥، للمزيد ينظر: رعاية الطفولة والإعداد التربوي في مرويات الإمام الحسن العسكري عليه السلام، الدرويش، د. جاسم ياسين، مزهر، رواء عبد الحسين، (بحث منشور) في مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، العدد ٣،ج، المجلد ٤٣، ص٣٣٣.

(٢) الكليني، الكافي، ج٢، ص٨٧، ح٢.

فضيلة إلّا وهي فرع الصبر، وما مِنْ رذيلة إلّا وهي فرع العجلة، والتهوُّر.

ومن هذا المنطلق فإنَّ من أبرز الدرجات المضافة إلى فضيلة الصبر درجة الارتقاء إلى مقام الإمامة الإلهية، وهذا ما يؤكده قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾[1]، فَبَيَّنَ تعالى أنَّ الإمامة مقام موهوب منه، «ثم إنَّه تعالى بيّن سبب موهبة الإمامة، بقوله: ﴿**لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾ فَبَيَّنَ أنَّ الملاك في ذلك صبرهم في جنب الله»[2].

ومن الصفات الرفيعة والمثل العليا التي تحلّى بها الإمام الحسن العسكري عليه السلام الصبر، فقد كان أحلم الناس، وأكثر كظماً للغيظ، وقد قابل من أساء إليه بالعفو والصفح عنه.

وقد عمد الحكام العباسيون إلى اعتقاله، وزجه في سجونهم، وهو صابر محتسب، ولم ينبس ببنت شفة، ولم يَشْكُ لأي أحد ما هو فيه من الضيق، وقد أوكل أمره إلى الله تعالى، وكان ذلك من آيات حلمه وصبره.

ولقد تميز الإمام أبو محمد عليه السلام بصبره، وإرادته الصلبة، فقد جهدت الحكومة العباسية في إدراجه في جهازها، وبذلت جميع طاقاتها لإخضاعه لرغباتها فلم تستطع، وأصرَّ الإمام عليه السلام على استقلاليته، وبعده عنها، وعدّه العباسيّون الممثل الوحيد لقوى المعارضة لسياستهم المبنية على الاستغلال، وقهر الشعوب.

لقد صمد الإمام عليه السلام وقاوم المغريات التي بذلتها له الحكومة العباسيّة لإدراجه في سلكها، وآثر طاعة الله، وإرضاء ضميره على كل شيء.

---

(١) سورة السجدة، الآية ٢٤.

(٢) الطباطبائي، الميزان، ج١، ص٢٧٢.

الخصوصية الخامسة: بلوغ أعلى درجات اليقين.

من أبر الشروط والخصائص الموصلة إلى مرتبة الإمامة بلوغ الإنسان أعلى درجات اليقين بوصفه أعلى مرتبة من المعرفة والدراية؛ لأنَّ المعرفة لا توصف باليقين، وكذا الدراية؛ ولذا قال الراغب الأصفهاني: «يقال: علم يقين ولا يقال: معرفة يقينية، وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم»[١]، وعرفه الجرجاني بأنّه: «العلم الذي لا شكَّ فيه»[٢].

وقد أولى القرآن الكريم هذا المفهوم عناية خاصة بعد أن تحدث عنه بما يربو على الثلاث والعشرين مرَّة وبصيغ مختلفة بوصفه منزلة ملازمة لرؤية الملكوت؛ ولذا كانت صفة اليقين من الصفات التي تفرد بها الأنبياء، والأوصياء عليهم السلام، قال تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ**﴾[٣]، قال السيد الطباطبائي: «والآية كما ترى تعطي بظاهرها أن إراءة الملكوت لإبراهيم كانت مقدمة لإفاضة اليقين عليه، ويتبين به أن اليقين لا ينفك عن مشاهدة الملكوت»[٤]، فلم يكن إبراهيم عليه السلام مُطّلعاً فقط على عالم الملك، وهو عالم الشهود، وإنما كشف له عن عالم الملكوت، فاطَّلع على حقائق عالم الباطن الأمر الذي جعله مؤهلاً لبلوغ مقام الإمامة الإلهية.

ومن هذا المنطلق جعل القرآن الكريم بلوغ مرتبة اليقين واحدةً من أهم مِلاكات النهوض بأعباء الإمامة الإلهية، وشرطاً أساساً من شروط اللائق بتحملها بدلالة قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنا مِنْهُمُ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾، قال السيد

(١) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص٨٩٢.

(٢) الجرجاني، التعريفات، ص٢١٧.

(٣) سورة الأنعام، الآية٧٥.

(٤) الطباطبائي، الميزان، ج١، ص٣٧٣.

الطباطبائي: «فالإمام يجب أن يكون إنساناً ذا يقين مكشوفاً له عالم الملكوت»[١].

وتجدر الإشارة إلى إنَّ هذه الدرجة لا تحصل إلّا للكمَّل من أولياء الله تعالى، وهي تعني أن يكون الإنسان إنساناً إلهياً، بمعنى: «أن تحصل وحدة معنوية وربط حقيقي بين العاقل والمعقول بحيث يرى العاقل ذاته رشْحَةً من المعقول، ومرتبطاً به غير منفك عنه، ويشاهد دائماً ببصيرته الباطنية فيضان الأنوار، والآثار منه إليه»[٢]، وهذا ما عبَّر عنه الإمام علي عليه السلام: «لو كشف لي الغطاء لما ازددت يقيناً»[٣].

وفيما يتعلّق بالإمام الحسن العسكري عليه السلام، فقد بلغ عليه السلام أعلى درجات اليقين، فدعا عليه السلام إلى التفكر في أمر الله الهادف إلى الإيمان، إذ قال عليه السلام: «ليست العبادة كثرة الصيام والصلاة، وإنما العبادة كثرة التعبد: التفكر في أمر الله»[٤].

لقد وضع الإمام العسكري عليه السلام في أحاديثه القواعد التي يرتكز عليها الإيمان بالله، ومن أهمها التمعن في أمر الله، والنظر في بدائع صنعه التي تمثل أعلى درجات اليقين، فإن ذلك مما يدفع إلى الإيمان المطلق بالخالق العظيم.

الخصوصية السادسة: التحلي بصفة العلم.

يُعدُّ المؤهل العلمي الطريقة المثلى للوصول إلى الغايات، وتحقيق الأهداف المنشودة؛ لأنَّ العالم هو من يعقل الأمور، ويميز بين صحيحها وسقيمها، فيوضحها بنور عقله، بخلاف الجاهل الذي لا يستدل على طريقه؛ لأنه فاقد لنور العلم؛ ولذا قال الإمام الصادق عليه السلام: «العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق، لا تزيده

(١) الطباطبائي، الميزان، ج١، ص٣٧٣.

(٢) النراقي، جامع السعادات، ج١، ص١٢٨.

(٣) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ج١، ص٣١٧.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٨، ص٣٧٣.

سرعة السير إلا بعداً»[١].

وعلى هذا الأساس لابدَّ للإمام من أن يكون جامعاً لأصول الكمالات العلمية بوصفها جزء لا يتجزَّأ من شروط الإيمان بالله تعالى؛ لقوله جلّ وعلا: ﴿**فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[٢]، وعليه فلا توجد طائفة من طوائف المسلمين إلاّ وهي مشروطة بالإمام أن يكون عالماً، فقيهاً، ملماً بأحكام الشريعة، ومطلعاً عليها؛ لئلا تلتبس عليه الأمور؛ ولذا قال الماوردي في شروط الإمام: «وَأَمَّا أَهْلُ الْإِمَامَةِ فَالشُّرُوطُ الْمُعْتَبَرَةُ فِيهِمْ سَبْعَةٌ، أَحَدُهَا: الْعَدَالَةُ عَلَى شُرُوطِهَا الْجَامِعَةِ، وَالثَّانِي: الْعِلْمُ الْمُؤَدِّي إلَى الِاجْتِهَادِ فِي النَّوَازِلِ وَالْأَحْكَامِ...»[٣]؛ لأنَّ الإمام هو الحجة على الناس المؤدي عن صاحب الرسالة، والقائم مقامه، ولو كان جاهلاً ببعض تلك الأمور أو كلَّها لما صحَّ أن يؤدي عن الرسول صلى الله عليه وآله ما بعث به، ولما صحَّ أن يقوم مقامه.

وبما أنَّ الإمامة فرع مقام النبوة كان من الضروري إطِّلاع الإمام على شؤون الناس ليتسنى له التفريق بين المؤمن، والمنافق بوصفه يؤدي ذات الوظائف التي يؤديها النبي صلى الله عليه وآله، وعليه يكون اطِّلاعَه على أعمال الناس سنخ إطِّلاع الرسول صلى الله عليه وآله؛ لقوله تعالى: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[٤]، فظاهر الآية: «أنَّ المراد هو الوقوف على حقائق الأعمال، ومقاصدهم من أعمالهم وهو ما لا يمكن الاطِّلاع عليها من طريق الآثار والنتائج، بل يتوقف على إدراك غيبي»[٥].

---

(١) الكليني، الكافي، ج١، ص٤٣.

(٢) سورة التوبة، الآية ١٣.

(٣) الماوردي، الأحكام السلطانية، ينظر: فقه الخلافة وتطورها، ص٩٢.

(٤) سورة التوبة، الآية١٠٥.

(٥) السبحاني، مفاهيم القرآن، ج٣، ص٤٢٦.

ومما تجب الإشارة إليه أنَّ الله تعالى جعل من العلم ملاكاً في اصطفاء بعض أوليائه، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾(١)، وآل إبراهيم وآل عمران ليسوا كلهم أنبياء، وإنَّما منهم الأنبياء ومنهم الأوصياء، ولهذا عبّر عنهم بـ(آل)، وقد أطْلَقت الآيةُ مفهوم الاصطفاء، فيكون اصطفاؤهم من الزلل في الرأي، والقول والعمل مندرجاً ضمن مفهوم الاصطفاء.

وعليه يكون مفهوم الاصطفاء في الآية الكريمة هو الجهة الجامعة بين المصطفين؛ ولذا كان اصطفاء آدم عليه السلام بتعليمه الأسماء كلها، كما في قوله تعالى: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ**﴾(٢)، وكان اصطفاءُ نوح عليه السلام باطْلاعِهِ على غيبه، بقوله: ﴿**قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ**﴾(٣)، وقد اصطفى الله تعالى إبراهيم عليه السلام واطْلَعَهُ على ملكوت السماوات والأرض، بقوله عزّ من قائل: ﴿**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ**﴾(٤).

وتأسيساً على ذلك فقد أكَّد القرآن الكريم هذا المعنى في إمامة طالوت بقوله تعالى: ﴿**قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ**﴾(٥)، فكان اصطفاء طالوت ناظراً إلى توفر ملكة العلم؛ ولذا منَّ الله تعالى عليه بأن بسط له العلم لئلا ينقبض عنه في يوم من الأيام ليكون، ولذلك كان انبساط العلم له مؤهلاً للارتقاء إلى مقام الإمامة.

---

(١) سورة آل عمران، الآية٣٣.

(٢) سورة البقرة، الآية ٣١ ـ ٣٣.

(٣) سورة هود، الآية ٤٨، ٤٩.

(٤) سورة الأنعام، الآية ٧٥.

(٥) سورة البقرة، الآية ٢٤٧.

وأن انبساط العلم لديه من الله تعالى أهَّله لأن يُخْبرَ بالمغيبات، إذ قال لجنوده: ﴿إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾[١]، ليقرِّر أنَّ العلم أحد أهم المميزات الضرورية، والصفات اللازمة التي يتحلّى بها الإمام عليه السلام؛ ليتمكن من الاطلاع على كل مقاصد الشريعة بمفهومها الواسع، ولو لم تكن له مثل هذه الملكة لتعذر عليه الإلمام بها إذا ما قيست بالإمكانات البشرية المحدودة.

ومهما يكن من أمر فإن الشيء الذي اتفق عليه المترجمون للإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه كان أعلم أهل عصره، وأفضلهم لا في شؤون الشريعة، وأحكام الدين فحسب، وإنّما في جميع أنواع العلوم على اختلافها من عقلية ونقلية، يقول بختشوع الطبيب المسيحي إلى تلميذه بطريق في شأن الإمام عليه السلام: «وهو أعلم في يومنا هذا ممن هو تحت السماء»[٢].

ومن الروايات الدالة على علم الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

١- عن أبي حمزة نصر الخادم، أنه قال: سمعت أبا محمّد عليه السلام غير مرة يكلّم غلمانه بلغاتهم، وفيهم ترك، وروم وصقالبة، فتعجّبت من ذلك، وقلت: هذا ولد بالمدينة ولم يظهر لأحد حتى مضى أبو الحسن ـ أي الإمام الهادي عليه السلام ـ ولا رآه أحد، فكيف هذا؟! أُحدّث نفسي بذلك، فأقبل عليَّ فقال: إنّ الله جلّ ذكره أبان حجّته من سائر خلقه وأعطاه معرفة كل شيء، فهو يعرف اللغات، والأسباب، والحوادث، ولولا ذلك لم يكن بين الحجّة والمحجوج فرق[٣].

٢- وقال الحسن بن ظريف: اختلج في صدري مسألتان أردت الكتاب بهما إلى

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٤٩.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٦١.

(٣) الكليني، أصول الكافي، ج١، ص٥٠٩، ح١١، المفيد، الإرشاد، ج٢، ص٣٣٠، الطبرسي، إعلام الورى، ج٢، ص١٤٥، الإربلي، كشف الغمة، ج٣، ص٢٠٢.

أبي محمّد عليه السلام، فكتبت أسأله عن القائم إذا قام بِمَ يقضي؟ وأين مجلسه الذي يقضي فيه بين الناس؟ وأردت أن أسأله عن شيء لحُمّى الربع، فأغفلت ذكر الحُمّى، فجاء الجواب:

سألتَ عن القائم، وإذا قام قضى بين الناس بعلمه كقضاء داود عليه السلام ولا يسأل البينة، وكنت أردت أن تسأل عن حمّى الرُّبع فأنسيت فاكتب في ورقة وعلّقه على المحموم: ﴿**يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاَماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ**﴾، فكتبت ذلك وعلّقته على المحموم فبرئ وأفاق[1].

٣- وروى الشيخ المفيد عن أبي القاسم جعفر بن محمّد عن محمّد بن يعقوب عن إسماعيل بن إبراهيم بن موسى بن جعفر، قال: كتب أبو محمّد الحسن عليه السلام إلى أبي القاسم إسحاق بن جعفر الزبيري قبل موت المعتز بنحو من عشرين يوماً: الزم بيتك حتى يحدث الحادث، فلما قُتل بريحة كتب إليه: قد حدث الحادث، فما تأمرني؟ فكتب إليه: ليس هذا الحادث، الحادث الآخر، فكان من المعتز ما كان[2].

أي أنّ الإمام عليه السلام أشار إلى موت المعتز، فطلب من مواليه أن يلتزموا بالبقاء في بيوتهم حتى ذلك الوقت لظروف خاصة كانت تحيط بالإمام عليه السلام، وبهم من الشدة وطلب السلطان وجلاوزته لهم، ومن الطبيعي أنّ موت الخليفة يعقبه غالباً اضطراب في الوضع يمكّن معارضيه من التحرك والتنقل بسهولة.

ولو أن طغاة بني العباس فسحوا المجال لأئمة أهل البيت عليهم السلام، ولم يفرضوا عليهم الرقابة المكثفة لملأوا الدنيا بعلومهم، ومعارفهم، ولشاهدت الإنسانية ألواناً

---

(١) الكليني، أصول الكافي، ج١، ص٥٠٩، ح١٣، المفيد، الإرشاد، ج٢، ص٣٣١، الطبرسي، إعلام الورى، ج٢، ص١٤٥، الإربلي كشف الغمة، ج٣، ص٢٠٣.

(٢) الكليني، أصول الكافي، ج١، ص٥٠٦، ح٢، المفيد، الإرشاد، ج٢، ص٣٢٥، الإربلي، كشف الغمة، ج٣، ص٢٠٠.

من العلوم، والتطور الفكري لم تعهده في جميع عصورها، وأدوارها.

لقد أيقن العباسيون بأنهم إذا لم يحولوا بين رجال الفكر، والعلم، والأئمة الطاهرين، فإنهم (سلام الله عليهم) سينشرون طاقات من العلم، والوعي ما تتقدم به الأمة في مجالاتها الفكرية والعلمية، وتنفتح لها آفاق جديدة لا في ميادين العلوم فحسب، وإنّما في ميادين الوعي السياسي والاجتماعي، وتقف بذلك على جهل العباسيين، وبُعدهم عن القيم الإسلامية، ومن الطبيعي أن ذلك مما يهدد كراسيهم بالخطر؛ فلذا عملوا جاهدين على الحيلولة بين الأمة، وبين قادتها الواقعيين.

الخصوصية السابعة: سلامته من المنفرات:

إنَّ الله تعالى أرسل أنبياءه ورسله عليهم السلام من أجل هداية الناس، وتعليمهم وتزكيتهم، وإخراجهم من ظلمات الجهل إلى فضاءات المعرفة، ونور العلم، فجعلهم القدوة المثلى، والمثل الأعلى الذي يحتذى به، وعليه يجب أن يتصفوا بكل ما يوجب نجاحهم في غايتهم؛ ولأجل ذلك فقد جملهم الباري جلَّ وعلا بأجمل الصفات، وأحسن الأخلاق، مثل الصدق، والأمانة، والشجاعة، والعفة، وغيرها؛ ولذا قال بحقِّهم: ﴿**وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى العَالَمِينَ**﴾[1]، قال الشيخ المظفّر: «ونعتقد أنّ النبي كما يجب أن يكون معصوماً يجب أن يكون متصفاً بأكمل الصفات الخلقية، والعقلية وأفضلها من نحو الشجاعة، والسياسة، والتدبير، والصبر، والفطنة، والذكاء حتى لا يدانيه بشر سواه»[2].

والصفات ذاتها يجب توافرها بالإمام من منطلق أنَّ الكلام حول صفات الأئمة هو فرع الكلام عن صفات الأنبياء عليهم السلام؛ ولأجل ذلك ينبغي اتصافهم بكل ما يوجب انجذاب الناس إليهم، ومن ذلك ما يرجع إلى أبدانهم، وعقولهم، فتحليهم

(١) سورة الأنعام، الآية٨٦.

(٢) المظفر، عقائد الإمامية، ص٥٥.

بمثل هذه الصفات، يجعل من انقياد الناس إليهم أمراً يسيراً، ومن ثمَّ تحقيق الغاية التي اختارهم الله تعالى لأجلها، وبخلاف ذلك ينتقض الغرض، وتتعطل الغاية.

ولأجل ذلك كان التحلي ببعض الصفات على صعيد البدن أحد أهم الملاكات للارتقاء إلى منصب الإمامة، والاصطفاء، والبعثة في القرآن الكريم، وهذا ما قرره قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[1]، فالآية المباركة جعلت الكمالات العلمية، والكمالات الجسمية بمصافٍ واحد، ودرجة واحدة، إذ قالت: ﴿**وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ**﴾ على حدٍّ سواء، مما يعني أنَّ واحدةَ من أهم ملاكات البعثة هي المزايا البدنية، فالآية واضحة الدلالة على أنَّ اصطفاء طالوت إنّما كان ناظراً لتوفر تلك المزايا، «فقد كان أعلم بني إسرائيل في وقته، وأجملهم، وأتمهم، وأعظمهم جسماً، وأقواهم شجاعةً»[2]، الأمر الذي يعني توافر شروط القيادة الناجحة فيه.

وعليه يكون الكمال على مستوى البُنْيَةِ الجسدية أحدَ مقومات بعثة طالوت، فعلى الرغم من أنّه لم يكن من اسباط النبوة، ولا من أسباط الملك، فقد كانت النبوَّة في بني لاوي، والملك في أسباط يهوذا، وطالوت كان من أبناء بنيامين بن يعقوب[3]، إلّا أنَّ الله تعالى اصطفاه عليهم، وجعله ملكاً؛ لتوفر مقومات الملك، وتحقق شروط

(١) سورة البقرة، الآية ٢٤٦-٢٤٧.

(٢) الطبرسي، مجمع البيان، ج٢، ص١٤٢.

(٣) ينظر: الطبري، تاريخ الطبري، ج١، ص٣٣٦.

الاصطفاء، لكنَّهم اعترضوا على هذا الاختيار بقولهم: ﴿**أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ**﴾، فقال لهم نبيهم: ﴿**إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾، أيَّ أنَّه تعالى لم ينظر إلى نسبه، ولا إلى وفرة ماله، وإنّما نظر إلى ما يمتلك من كمالات ولياقات أهلته للارتقاء إلى هذا المنصب.

وعليه فالآية فيها إشارة واضحة إلى أنّ الله تعالى يصطفي من يشاء من عباده، ويفيض عليه من فضله متى ما تحققت شروط الفيض الإلهي، وأنّ لم يكن عن طريق وحي النبوَّة، وأمثال هذا الفيض قد تحقق في اصطفاء طالوت على بني اسرائيل، وكان أثر ذلك الاصطفاء أن زاده تعالى بسطةً في العلم، والجسم لتكمل عنده مؤهلات القيادة الناجحة من العلم، والشجاعة، وسلامة البدن من المنفرات، فقد رأى الشيخ الطوسي أن تقديم طالوت على قومه كان ناظراً إلى كمالاته العلمية، والجسمية مستدلاً بالآية على شروط الإمام، إذ قال ما نصه: «قال أصحابنا فيها دلالة على أن من شرط الإمام أن يكون أعلم رعيته، وأفضلهم في خصال الفضل؛ لأن الله تعالى علل تقديمه عليهم بكونه أعلم وأقوى، فلولا أنه شرط وإلا لم يكن له معنى»[1].

وتأسيساً على ما تقدم فإنَّ الإمام يجب أن يكون متصفاً بمجموع ما تقدم ذكره من الصفات، ومتحلياً بمجموعة من الخصائص على نحو التميُّز، والتفرد ليكون لائقاً؛ لأن يؤدي عن النبي صلى الله عليه وآله بمقدار ما يمكن أن يمتد إليه سلطانه، ويهيمن عليه نظام الشريعة، فلا يمكن أن يخيِّم العدل، والإصلاح، ويسود الأمن الأمان ما لم يكن للقائم بالأمر الحظ الأوفر من مجموع الصفات، والخصائص التي ذكرها البحث، ولو لم يكن كذلك لما قامت لله الحجة البالغة على جميع خلقه؛ لأنّ الحجة لا تقوم بذي

(١) الطوسي، التبيان، ج٢، ص٢٩٠.

الجهل، أو العلم المحدود[1].

ولقد كان الإمام الحسن العسكري عليه السلام في معالي أخلاقه نفحة من نفحات الرسالة الإسلامية، فقد كان على جانب عظيم من سمو الأخلاق، يقابل الصديق، والعدو بمكارم أخلاقه، ومعالي صفاته، وكانت هذه الظاهرة من أبرز مكوناته النفسية، ورثها عن آبائه وجده رسول الله صلى الله عليه وآله الذي وسع الناس جميعاً بمكارم أخلاقه، وقد أثرت مكارم أخلاقه على أعدائه والحاقدين عليه، فانقلبوا من بغضه إلى حبه، والإخلاص له[2].

ونقل المؤرخون أن المتوكل الذي عُرف بشدة عدائه لأهل البيت عليهم السلام، وحقده على الإمام علي عليه السلام أمر بسجن الإمام العسكري عليه السلام، والتشديد عليه إلّا أنّه لمّا حلّ في الحبس ورأى صاحب الحبس سمو أخلاق الإمام عليه السلام، وعظيم هديه وصلاحه انقلب رأساً على عقب، فكان لا يرفع بصره إلى الإمام عليه السلام إجلالاً وتعظيماً له، ولمّا خرج الإمام من عنده كان أحسن الناس بصيرة، وأحسنهم قولاً فيه[3].

(١) ينظر: المظفر، محمد حسين، علم الإمام، ص٢٤.

(٢) القرشي، الشيخ باقر شريف، حياة الإمام الحسن العسكري ـ دراسة وتحليل، ص٤٢.

(٣) الكليني، أصول الكافي، ج١، ص٥٠٨، ح٨، المفيد، الإرشاد، ج٢، ص٣٢٩ ـ٣٣٠، الطبرسي، إعلام الورى، ج٢، ص١٥٠، الإربلي، كشف الغمة، ج٣، ص٢٠٢.

الخاتمة

يختلف المسلمون حول بعض الصفات الواجب وجودها في شخص الإمام الذي يقوم مقام النبي صلى الله عليه وآله للنهوض بأعباء الخلافة من بعده، وقد انبثق عن هذا الخلاف جملة من الخلافات، كالخلاف على مفهوم عصمة الإمام، وتعيين شخوصهم ومسمياتهم، وما إلى ذلك من الخلافات، وقد توصل البحث من دراسة موضوع (**ملامح الشخصية القيادية للإمام الحسن العسكري** عليه السلام) إلى مجموعة من النتائج والتوصيات التي أسفرت عنها هذه الدراسة، وهي كالآتي:

أولاً: النتائج

١- لا يوجد في الكتاب العزيز، ولا في غيره من الروايات شيءٌ يرسم لنا الخطوط العامة لنوع الحكومة وأركانها، وصفات الحاكم وبرامجه، وأنَّ كلَّ الاستدلالات التي ساقها أصحاب نظرية الشورى وغيرها من النظريات ليس فيها من الوضوح ما يكفي لاعتمادها مبدأً في رسم معالم الحكم في الدولة الإسلامية.

٢- وجد البحث أنَّ أوفقَ النظريات التي تحدد معالم الحكم في الدولة الإسلامية بشكل واضح، وتجلِّي صفات الحاكم هي نظرية التنصيص في الإمامة من الله تعالى، وأنّها أصحُّ النظريات لوفرة النصوص عليها من الكتاب، والسنة الصحيحة.

٣- إنَّ الإمام لا يكون إماماً ما لم تتوافر فيه مجموعة من الشروط، والصفات سواءٌ على الصعيد الروحي أو الجسدي؛ لأنَّ الإمامة منصب ربّاني لا يكون إلّا بجعلٍ من الله تعالى على حدٍّ جعل النبوة والرسالة.

٤- تبين أنَّ الإمام شخص هادي بأمرٍ ملكوتي، مطَّلعٌ على عالم الغيب، لا تخفى عليه خافية، مطَّلع على أعمال العباد على حدٍّ اطِّلاع النبي صلى الله عليه وآله.

٥- إن الإمام الحسن العسكري عليه السلام شخصية قيادية أثرت الفكر الإنساني بما تمتلكه من ملامح الشخصية القيادية، وما تتمتع به من مؤهلات لقيادة الإمة

الإسلامية، وما قدمته من سلوك قيادي في أوقات الرخاء والشدة.

٦- يعدّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام مدرسة فكرية متعددة الاتجاهات، وكان لها الدور الواضح في رفد الفكر الإنساني بسلاح العلم والمعرفة، فلقد زخرت مدرسة أهل البيت عليهم السلام في عصره بالعلم، والدعوة إلى خط أهل البيت، والدفاع عن الشريعة الإسلامية من خلال كوكبة أصحاب الإمام ورواة حديثه وطلاب مدرسته.

٧- لقد خاض الإمام الحسن العسكري عليه السلام كآبائه الكرام عليهم السلام ملحمة الكفاح السياسي لمواجهة الظلم، والإرهاب، والتلاعب بالسلطة، ومقدرات الأمة، ومصالحها فحافظ على أصول الشريعة، والقيم الرسالية، ومهّد بذلك خير تمهيد لعصر الغيبة الذي أخبر النبي صلى الله عليه وآله، وأئمة أهل البيت عليهم السلام عن حتميته وضرورته.

٨- على الرغم من حراجة الظروف السياسية التي كان يعيشها الإمام الحسن العسكري عليه السلام فقد كان جاداً في الدفاع عن الشريعة، ومحاربة البدع، وهداية المترددين، والشاكّين، وجذبهم إلى حظيرة الدين.

ثانياً: التوصيات.

١- نوصي بضرورة إعداد دراسات تبحث في شخصية الإمام الحسن العسكري عليه السلام من جوانبها المتعددة وظروف عصره السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

٢- نوصي بضرورة إقامة مؤتمرات علمية عربية، وإقليمية، وعالمية تبحث في شخصية الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وتتناول تراثه الخالد، واهتماماته الفكرية والعلمية ووصاياه وكتبه وتوقيعاته ورسائله.

٣- نوصي بضرورة إبراز الدور القيادي للإمام الحسن العسكري عليه السلام في الإعداد الفكري، والذهني لعصر الغيبة، فقد قام عليه السلام تبعاً لآبائه عليهم السلام باستعراض فكرة الغيبة على مدى التاريخ وطبّقها على ولده الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، وطالبهم بالثبات

على الإيمان بوصفه يتضمن عنصر الإيمان بالغيب، وشجّع شيعته على الثبات، والصبر وانتظار الفرج وبيّن لهم طبيعة هذه المرحلة، ومستلزماتها وما سيتحقق فيها من امتحانات عسيرة يتمخض عنها تبلور الإيمان، والصبر، والتقوى التي هي قوام الإنسان المؤمن بربه، وبدينه، وبإمامه.

٤- ضرورة العمل على ترسيخ قيم الاحترام، والمحبة بين الناس، والتحلي بالصبر والتواضع فيما بينهم؛ تأسياً بالشخصية القيادية للإمام الحسن العسكري عليه السلام.

٥- ضرورة تثقيف المجتمع بأن محبة الإمام الحسن العسكري عليه السلام تتم بالعمل على نهجه في مقارعة الظلم، والظالمين الذين لاقى منهم أشد العنت، والتضييق، والملاحقة والاعتقال عدة مرات، ويتم ذلك من خلال إقامة حلقات نقاشية، ودورات تثقيفية بهذا الخصوص.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. إبراهيم، د. محمد حمزة، جهود الإمامين العسكريين عليهما السلام في التصدّي لبعض الإشكاليات الفكرية، (بحث منشور) في مجلة تراث سامراء، العدد (١)، السنة (١)، ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م.

٢. ابن الصباغ، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، علي بن محمد أحمد المالكي المكي، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨١هـ.

٣. ابن سينا، الشفاء (الإلهيات)، تحقيق: محمد يوسف موسى وسليمان دنيا وسعيد زايد، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم المقدسة ـ إيران، ١٤٠٤هـ.

٤. ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، (ت٥٨٨هـ)، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٩م.

٥. الإربلي، أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح، كشف الغمة، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان، ١٩٨٥م.

٦. الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، منشورات ذوي القربى، قم المقدسة ـ إيران، ط٦، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٧. الأميني، العلّامة عبد الحسين أحمد، الغدير، (ت١٣٩٢هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط٤، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٨. البستاني، بطرس، دائرة المعارف، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ١٩٩٨م.

٩. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الحنفي المعروف بالشريف، التعريفات، (ت٨١٦هـ)، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت

ـ لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٠. الخوارزمي، أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي، مقتل الحسين عليه السلام، (ت٥٦٨ هـ)، منشورات مكتبة المفيد، قم المقدسة ـ إيران، (د ت).

١١. الدرويش، د. جاسم ياسين، الحسين، رواء عبد الحسين، إمامة الإمام الحسن العسكري عليه السلام والظروف المحيطة بها، (بحث منشور) في مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، العدد (٣/ ب)، المجلد (٤٣)، ٢٠١٨م

١٢. الدرويش، د. جاسم ياسين، مزهر، رواء عبد الحسين، رعاية الطفولة والإعداد التربوي في مرويات الإمام الحسن العسكري عليه السلام، (بحث منشور) في مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، العدد (٣/ ج)، المجلد (٤٣)، ٢٠١٨م.

١٣. السبحاني، الشيخ جعفر، مفاهيم القرآن الكريم، مؤسسة التأريخ العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

١٤. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم، تفسير السمرقندي، (ت٣٧٣هـ) تحقيق: د. محمد مطرجي، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ٢٠١١م.

١٥. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، (ت ٩١١هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

١٦. الشيرازي، الشيخ ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مكارم مدرسة الإمام علي بن أبي طالب، قم المقدسة ـ إيران، ١٤٢٦هـ.

١٧. صبحي، أحمد محمود، نظرية الإمامة لدى الشِّيَعة الاثني عشرية، دار النهضة العربية، بيروت ـ لبنان، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

١٨. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي، إكمال الدين وإتمام النعمة، (ت٣٨١هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابع لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، قم المقدسة ـ إيران، ١٤٠٥هـ.

١٩. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، (ت١٤٠٢هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان، ١٣٩٤هـ.

٢٠. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، (ت٥٤٨هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٢١. الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الورى بأعلامِ الهدى، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدسة ـ إيران، ١٤١٧هـ.

٢٢. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، (ت٣١٠هـ)، تحقيق: نخبة من العلماء، ط/ ٤، مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٣/ ١٩٨٣م.

٢٣. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، قم المقدسة ـ إيران، ١٤٠٩هـ.

٢٤. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، الغيبة، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٤١١هـ.

٢٥. العكبري المفيد، الشيخ محمد بن محمد بن نعمان، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت – لبنان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٢٦. العكبري، محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد، أوائل المقالات، (ت٤١٣هـ)، تحقيق: إبراهيم الأنصاري، دار المفيد، بيروت ـ لبنان، ط/ ٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٢٧. العكبري، محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد، تصحيح اعتقادات الإمامية، (ت٤١٣هـ)، تحقيق: حسن دركاهي، دار المفيد للطباعة والنشر

والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٢٨. العلّامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٩. القرشي، الشيخ باقر شريف، حياة الإمام الحسن العسكري دراسة وتحليل، دار الكتاب الإسلامي، قم المقدسة ـ إيران، ١٩٨٨م.

٣٠. القرغولي، محمود بن وهيب، جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام، مطبعة الآداب، بغداد، ١٣٢٩هـ.

٣١. الكافي، الكليني الرازي، الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق، (ت٣٢٩هـ)، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٥، ١٣٦٣ش.

٣٢. الماوردي، محمد بن الحسين الحنبلي، الأحكام السلطانية، (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٢١هـ.

٣٣. المظفر، محمد حسين، علم الإمام، (ت١٣٨١هـ)، دار الزهراء، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٣٤. المظفر، محمد رضا، عقائد الإمامية، (ت١٣١٨هـ)، مكتبة الأمين، النجف الأشرف، ١٩٦٨م.

٣٥. النراقي، محمد مهدي، جامع السعادات، (ت١٢٠٩هـ)، تحقيق: السيد محمد كلانتر، تقديم: محمد رضا المظفر، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، ١٩٦٨م.

الفهرس

العقيدة..... ٥

البحث الأول: التوحيد الأفعالي عند الإمام علي الهادي عليه السلام دراسة كلامية فقهية. ٧

البحث الثاني: دلائل التوحيد عند الإمام الحسن العسكري عليه السلام البسملة أنموذجاً ٣٩

البحث الثالث: إمامة الحسن العسكري عليه السلام وظروفها السياسية ٦٥

البحث الرابع: البُعد العقائدي في فكر الإمام الحسن العسكري عليه السلام.....٩٥

البحث الخامس: الإمام العسكري عليه السلام وسياسة التمهيد للغيبة المهدوية..... ١٤٣

البحث السادس: سياسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في عصر الظهور ١٧٧

البحث السابع: الإمام الحسن العسكري عليه السلام ورعايته للشيعة وأثره في التمهيد لغيبة خلفه عليه السلام والتكليف في زمن الغيبة من منظوره..... ٢٢٥

البحث الثامن: توظيف البعد الغيبي سياسياً واجتماعياً في فكر الإمام الحسن العسكري عليه السلام في إصلاح المجتمع (دراسة تاريخية)..... ٢٥٣

البحث التاسع: الإمام العسكري عليه السلام ورعايته لشؤون الشيعة وتحضيرهم لزمن الغيبة ٢٨٧

البحث العاشر: ملامح الشخصية القيادية للإمام الحسن العسكري عليه السلام ٣١٧